



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

0093460
Bibliotheca Alexandrina

حياة
الإمام الحسين عليه السلام

باقر شرفیہ الفرشی

حياة

الإمام الحسين بن علي

دراسة وتحليل

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التسجيل	299,64
رقم التسجيل	2/10

الجزء الثالث

الطبعة الثانية:
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

الطبعة الاولى:
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

الطبعة الرابعة:
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الثالثة:
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام - ج ٣	الكتاب:
باقر شريف القرشي	المؤلف:
مدرسة العلمية الايرواني	الناشر:
باقري	المطبعة:
ليتوگرافي تيزهوش/قم	الغلم والالواح الحساسة (الزنك):
٢٠٠٠ نسخة	الكمية:
مؤسسة الامام المجتبي	التوزيع:
	السعر:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

تقديم

(١)

وصنع الامام الحسين (ع) يوم الطف الكرامة الانسانية التي يسمو بها كل انسان . وحسبه أنه وحده في تأريخ هذه الدنيا قد قدم أنبل التضحيات في سبيل ما يرتأيه ضميره من اشاعة الحق والعدل بين الناس . لقد كانت صور الفداء التي بذها الامام لاقامة الحياة الكريمة في الاسلام مذهلة ومدهشة فقد اهتز من هولها الضمير العالمي ، وتركت أثراً عميقاً للحزن في دخائل القلوب ، وأثرت حتى في نفوس أقل الناس احساساً . والشيء المهم الذي تميزت به قضية الحسين هو الصمود الرائع أمام الأحداث المفزعة فقد تسلم الامام بصبر لا حد لابماده ، فكان فيما يقول المؤرخون يستقبل المحن الشاقة التي اواكبت عليه بالرضا والتسليم لأمر الله من دون أن تبدو عليه أي بادرة من بوادر الضعف والانهيار ، فكان كلما رزى بكارثة تعصف بالصبر تنفرج شفثاه بكلمة الايمان العميق الذي صار من ابرل ذاتياته قائلاً :

« هَوْنٌ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللَّهِ . . . »

لقد كان هذا الايمان هو سر الاعجاز وسر الخلود في قضية الحسين وستبقى بمثلها مدرسة للاجيال تضيء لها الطريق ، وتوفر لها العطاء وهي ندية تنفجر بينابيم الخير والاصلاح حتى يرث الله الأرض ومن عليها
لقد كان يوم الطف - حقاً - مسرحاً للقيم الكريمة التي تميزت بالوفاء والاخلاص وتكران الذات ، وهو ليس مما يخص المسلمين أو طائفة منهم وإنما هو لجميع أمم العالم وشعوب الأرض يمدها بالالهام والوعي ،

والنحرر من رهقة العبودية والاستغلال .
 لقد انتصرت رسالة الحسين ، وعاد مع أصحابه في عرف المجتمع
 الانساني الرواد الأوائل للحق والعدل بين الناس ، وليس هناك أسمى من
 هذا الانتصار ولا أروع منه . (٢)

ولم ينته يوم الطف باشجانه واحزانه حتى أقبل الناس بلهفة على
 التعرف على شؤون هذه الحادثة التي سجلت فخراً للاسلام وعزاً للمسلمين
 وقد عنى بها العلماء والكتاب من مختلف الطوائف ، واحتلت الصدارة
 في الأحداث العالمية التي غيرت مجرى التاريخ ، وقد حفل بها القدامى
 بصورة موضوعية فدونوا جميع شؤونها ودقائقها ، وكان من بينهم المؤرخ
 الاسلامي الكبير أبو مخنف لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي (١) فقد
 ألف كتاباً باسم (مقتل الحسين) وإليه يستند الطبري فيما اثبت في تاريخه
 من أحداث كربلاء الا أن النسخة المطبوعة المنسوبة له لم تنفق مع روايات

(١) ابو مخنف راوية عالم بالسير والأخبار امامي من أهل الكوفة
 واهيه يرجع الفضل في تدوين اكثر الأحداث التي جرت في عصره ، واثني
 عليه المستشرقون يقول موسى : « او أن أبا مخنف لم يكتب لخسر التاريخ
 خسارة كبيرة » ويقول فلهوزن : « والطبري قد حفظ لنا قطعاً كبيرة
 جداً من روايات أبي مخنف الرواية المحقق فحفظ لنا بذلك أقدم وأحسن
 ما كتبه نائر عربي نعرفه » ويقول المستشرق « يل » في دائرة المعارف
 الاسلامية البريطانية ١ / ٣٩٩ صنف أبو مخنف ٣٢ رسالة في التاريخ عن
 حوادث مختلفة وقعت في اهان القرن الأول للهجرة وقد حفظ لنا الطبري
 معظمها « توجد ترجمته مفصلة في معجم الأدباء ١٧ / ٤١ ، تاج العروس
 ٦ / ١٠٥ ، فوات الوفيات ٢ / ٢٨٨ ، النجاشي (ص ٢٢٤) فهرست
 الطوسي (ص ١٢٩) الدررمة ١ / ٣٤٨ ، الاعلام ١ / ٣٤٨ .

الطبرى التي نقلها عنه ، واكبر الظن ان هذا الكتاب إلى غيره ممن الف
في مقتل الحسين ونسب إليه .

ومن الف في مقتل الحسين نصر بن مزاحم بن سيار التميمي الكوفي (١)
ولا وجود لهذا الكتاب في المكتبات التي راجعناها ، والف الواقدي ،
ومحمد بن زكريا وجابر بن يزيد وغيرهم من اعلام تلك العصور مما يربو
على ستين مؤلفا كلها بعنوان « مقتل الحسين » (٢) الا انا لم نعثر على
واحد منها بالرغم من شدة التتبع والفحص في المكتبات ، ولعل بعضها
توجد في المكتبات في الخارج الحافلة بكثير من المخطوطات العربية .

(٣)

وبهذا الجزء تنتهي دراستنا عن حياة الامام الحسين (ع) وقد عاليت
جهداً شاقاً وعسيراً في مراجعة المخطوطات العربية والافلام المصورة التي
جلبت من الخارج ، وقد حفلت بها مكتبة الامام أمير المؤمنين ومكتبة
الامام الحكيم ، ومكتبة الامام كاشف الغطاء ، ويجد القارىء في هامش

(١) نصر بن مزاحم من مؤرخي الشيعة القدامى من كتبه « الجمل »
و « أخبار المختار الثقفي » و « وقعة صفين » و « النهروان » وغيرها
وقد اتهمه بعض المترجمين له أنه من غلاة الشيعة ، وقالوا : « انه كان
زائفاً عن الحق مائلا » ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٨٣ / ١٣
وقال ابن أبي الحديد فيه : « هو ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ،
توجد ترجمته في ميزان الاعتدال ٣ / ٢٣٢ ، لسان الميزان ٦ / ١٥٧ ،
الذريعة ١ / ١٤٧ ، الاعلام ٨ / ٣٥٠ ، روضات الجنات .

(٢) فهرست ابن النديم ، وفهرست الطوسي والنجاشي

الكتاب اسما تلك الكتب التي راجعتها ومع هذا التبع المرهق لا ادعي
أني الممت بالموضوع أو احطت به فاني - فيما اعتقد - لم اعط في دراستي
عن الامام الحسين (ع) الا اضواءً خافتة عن شخصيته الكريمة التي هي
أرى شخصية عرفها التاريخ في معطياتها الفكرية والاجتماعية للناس ، فان
الامام بها أو ما يقرب من ذلك يحتاج إلى المزيد من المراجعات في المخطوطات
العربية الموجودة في الخارج .

وعلى أي حال فان هذا الكتاب ما هو إلا صفحة من حياة الامام
الحسين ، ومثل موجز عن حياته الطيبة التي يعتز بها كل انسان .
وقبل أن انهي هذا التقديم اكرر شكري الجزيل إلى سيادة المحسن
الكبير الحاج رشاد عجينة على ما أبداه من الاحسان لي في تأليف هذا
الكتاب والانفاق على طبعه من مبرات والده المغفور له الحاج محمد جواد
عجينة سائلا من الله تعالى أن يشيبه على ذلك أجزل الثواب ، كما أن من
الحق علي أن اذكر بالخير ما أسداه علي من الطاف سماحة الحججة العلامة
أخي الشيخ هادي القرشي من مراجعات كثير من المصادر التي تخص
الموضوع ، وملاحظاته القيمة في كثير من البحوث ، والله هو الذي يتولى
جزاءه عن ذلك انه ولي التوفيق .

باقر شريف القرشي

النجف الأشرف

١٦ / صفر / ١٣٩٦ هـ

إختيار والمُهجرة الى العراق

واختار الامام الحسين (ع) الهجرة إلى العراق دون غيره من اقاليم العالم الاسلامي ، وهو على علم بما مني به أهل العراق من التلذذ والاضطراب في ساوكتهم ، ولعل سبب اختياره له دون غيره يعود لما يلي .
 أولاً - ان العراق في ذلك العصر كان قلب الدولة الاسلامية وموطن المال والرجال ، وقد انشأت فيه الكوفة حامية الجيوش الاسلامية وقد لعبت دوراً خطيراً في حركة الفتح الاسلامي ، فقد شاركت في فتح رامهرمز والسوس وتستر ونهاوند ، وكان عمر بن الخطاب يستنجد بها ، فقد كتب إلى واليه سعد بن أبي وقاص : « ان ابعث إلى الأهواز بعثاً كثيفاً مع النعمان بن مقرن » وكثيراً ما تمر في أخبار الفتوح الاسلامية هذه العبارة « وأمدتهم عمر بأهل الكوفة » وكان عمر يثني عليهم ويقول : « جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ، ويمدون أهل الامصار ، وقال فيهم رجل من أهل الشام : « انكم كنز الاسلام ان استمدكم أهل البصرة أمددتموهم ، وان استمدكم أهل الشام امددتموهم » (١) .
 ومضافاً إلى ان العراق كان قاعدة حربية فانه قد اشتهر منذ القدم بترائه « فهو قلب الأرض ، وخزانة الملك الأعظم ، وما قد خص الله جل وعلا به أهل الكوفة من عمل الوشي والحز ، وطير ذلك من انواع الفواكه والتمور » (٢) وكان الأمويون قد اتخذوه مورداً مهماً لبيت المال في دمشق (٣) وقد بلغت جباية معاوية للكوفة وسوادها خمسين الف الف درهم (٤)

(١) الطبقات الكبرى ٦ / ٨٥

(٢) مختصر كتاب البلدان (ص ٥٢) للهمداني

(٣) فتوح البلدان (ص ٢٩٣)

(٤) اليعقوبي ٢ / ٢٥٨

وبلغ خراج البطائح (١) خمسة آلاف الف درهم (٢) .
 لقد كان العراق قلب الدولة الاسلامية النابض وقد بز سائر الامصار
 في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وقد نهافت عليه جميع الثائرين (٣)
 ليتخذوه منطلقاً لاهدافهم السياسية . . . ان الكوفة كانت البلد الوحيد
 في الأفطار الاسلامية التي تفقه قيم الاحداث ومغزى التيارات السياسية
 فقد ساد فيها الوعي الاجتماعي إلى حد كبير وقد كان الكوفيون يقرضون
 آرائهم على حكامهم ، وإذا لم يحققوا رغباتهم سلوا في وجوههم السيوف
 وثاروا عليهم .

وعلى أي حال فقد اختار الامام الهجرة إلى الكوفة باعتبارها مركز
 القوة في العالم الاسلامي ، يقول عبد المتعال الصعيدي :
 « ولم يخطيء الامام الحسين حينما ازمع على الهجرة إلى العراق لأنه
 المركز الصالح لقيام حكم عام يجمع أمر الملمين ، ولهذا اختاره من قبله
 وقد حققت الأيام للعراق هذا الحكم فقامت به الدولة العباسية التي حكمت
 المسلمين نحو خمسمائة سنة ، (٤) .

ثانياً - ان الكوفة كانت مهداً للشيعه وموطناً من مواطن العلويين
 وقد اعلنت اخلاصها لأهل البيت في كثير من المواقف ، فقد اندفعت
 جموع الثائرين تحت قيادة مالك الاشر النخعي أحمد اعلام الشيعه ، إلى

-
- (١) البطائح : أرض واسعة تقع ما بين واسط والبصرة ، كانت
 قرى متصلة وارضاً واسعة معجم البلدان ١ / ٦٦٦ .
 (٢) الخراج وصناعة الكتابة (ص ٢٤٠) لقدامة بن جعفر
 (٣) العراق في ظل الحكم الأموي (ص ٩)
 (٤) مجلة الغري السنة التاسعة العدد ١١ - ١٤ ص ١٠٨

يثرّب فحاصروا عثمان واجهزوا عليه ، وقاموا بترشيح الامام للخلافة ، وقد غرست بذرة التشيع في الكوفة منذ خلافة عمر ، فقد كان من ولاتها عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، فأخذوا يشيعان في اوساطها متأثر الامام وفضائله ، وما أثر عن النبي (ص) في حقه حتى تغدوا على حبه والولاء له ، وقد خاض الكوفيون حرب الحمل وصفين مع الامام وكانوا يقولون له : سر هنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن حزبك وانصارك نعادي من عاداك ، ونشايع من أذاب اليك واطاعك ، (١) وكان الامام أمير المؤمنين يثني عليهم ثناءً عاطراً فيرى أنهم أنصاره وأعدائه المخلصون له يقول لهم : « يا أهل الكوفة أنتم اخواني وأنصاري وأعدائي على الحق ومجيبني إلى جهاد المخالفين ، بكم أضرب المدبر ، وارجو أتمام طاعة المقبل ، (٢) ويقول (ع) : « الكوفة كنز الايمان ، وجمجمة الاسلام ، وسيف الله ورعته يضعه حيث يشاء ، (٣) .

وقد خاض العراق أعنف المعارك وأشدّها ضراوة من أجل أهل البيت فانتقم من قتلهم وأخذ بثأرهم على يد الثائر العظيم المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، لقد كان اختيار الامام للهجرة إلى الكوفة ناشئاً عما عرف به أهل هذه المدينة من الولاء العميق لأهل البيت .

بالنّاء - ان الكوفة كانت المقر الرئيسي لمعارضة الحكم الأموي ، فقد كان الكوفيون طوال فترة حكم الأمويين لم يكفوا عن معارضتهم ، ويتمنون زوال دولتهم ، ويعزو فلهوزن سبب بغض الكوفيون للأمويين إلى أن الخلافة قد انتقلت من الكوفة إلى دمشق ، وانهم - بعد أن كانوا

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٣١

(٢) الامامة والسياسة ١ / ٢٣٠

(٣) مختصر البلدان لابن الفقيه (ص ١٦٣)

أصحاب الدولة - أصبحت مدينتهم مجرد ولاية في الدولة الجديدة وان دخلهم من خراج الأرض التي فتحوها قد فقدوه ، ولم يعد أمامهم إلا أن يقنعوا بالفتنات الذي يتساقط عليهم من موائد سادتهم الأمويين ، وليكنهم - مع الأسف - لم يشعروا بهذه المرارة إلا بعد فوات الأوان ، ومن هنا لم يكن من الغريب أن يروا في حكم أهل الشام نيراً ثقيلاً على رقابهم يتربصون به الفرصة الملائمة ليتخلصوا منه ، ويلقوه بعيداً عنهم .

ومما زاد في نقمة الكوفيين على الأمويين أن معاوية ولى عليهم شلذاذ الآفاق كالغيرة بن شعبة وزيايد بن أبيه فأشاعوا فيهم الظلم والجور ، واخرجوهم من الدعة والاستقرار ، وبالغوا في حرمانهم الاقتصادي ، واتبعوا فيهم سياسة التجويع والحرمان . . . وظلت الكوفة مركزاً للمؤامرات على حكم الأمويين ، ولم يثنهم عن ذلك ما عاونه من التعذيب والقتل والبطش على أيدي الولاية .

لقد كانت هجرة الامام إلى الكوفة واختيارها مقراً للثورة باعتبارها البلد الوحيد المعادي للأمويين ، وقد وصل الحماس فيها ضد الأمويين ذروته بعد هلاك معاوية .

رابعاً - ان الامام الحسين انما اختار الهجرة للعراق للدعوات الملحة والاصرار البالغ من الأغلبية الساحقة من أهل الكوفة للقدوم حتى في زمن معاوية ، فقد توافدت عليه كتبهم ، وهي تحثه على المسير إليهم ، وتحمله المسؤولية أمام الله والأمة إن تأخر عن اجابتهم لا سيما بعد أن كتب إليه سفيره مسلم بن عقيل يخبره باجتماع الناس على بيعته وتطلعهم إلى قدومه ويحثه على السفر إليهم فلم ير (ع) هدأ من اجابتهم يقول الدكتور محمد حلمي : « انه لم يخرج الحسين من الحجاز في اتجاه الكوفة استجابة للدعوات التي وصلته من أهلها طالبة إليه القدوم عليهم لينزعهم ثورتهم على

خلافة يزيد . . . لم يخرج الحسين إلا بعهد أن يختبر استعداد الكوفيين للقيام بهذه الثورة وذلك بإرسال ممثل له ، ليتعرف على مدى هذا الاستعداد وذهب مسلم بن عقيل بن أبي طالب في هذه المهمة ، ونجح في فترة قصيرة في قيادة اثني عشر ألفاً في ثورة عارمة بايعت الحسين ، ونزعت بيعة يزيد ، وكتب مسلم بهذا إلى الحسين الذي قرر الخروج لقيادة الحركة بنفسه ، وهذا لم يكن الحسين متسرعاً في خروجه ، ولا مندفعاً ، فقد أئنه الكتب ، وأراد أن يطمئن على مدى جديتها ، فاطمأن بخروج هؤلاء الآلاف في الفترة القصيرة التي نشط فيها ممثله ، (١)

خامساً - ان الامام الحسين لو نزع إلى قطر آخر غير الكوفة فان الجيش الأموي لا يهد أن يلاحقه ، ولا يلد أن يستشهد فيتمجه له اللوم والتقريم ويقال له : لماذا لم تنجحه إلى العراق البلد الذي يضم أنصارك وشيعتك ، وقد بعث إليك أهله آلاف الرسائل تحثك على القدوم إليهم ، فماذا يكون حينئذ جوابه لو سار إلى قطر آخر ولاحقه جيوش الأمويين ؟
هذه بعض الأسباب التي حفزت الامام إلى اختيار الهجرة إلى الكوفة ليجعلها مقراً لثورته .

الاعراض عن الحجاز :

بقي هنا شيء وهو ان الامام لماذا لم يبق بالحجاز ويتخذ منه منطلقاً للثورة ، ولعل السبب في رفضه لذلك يعود إلى ما يلي :

أ - ان البيئة الحجازية كانت تتصف بقلة الموارد الاقتصادية فقد اشاع معاوية فيها الفقر والبؤس ، ومن الطبيعي أن الثورة تحتاج إلى دعم مالي

(١) الخلافة والدولة في العصر الأموي (ص ١١٥ - ١١٦)

كبير ، ومع انعدام المال في الحجاز كيف يهجر الامام ثورته فيه .
ب - انعدام الوعي السياسي في الحجاز فقد انصرفت الأكترية الساحقة
فيه عن الشؤون السياسية في حين أن العراق كان مشعل الوعي السياسي
في البلاد العربية .

ج - ان الحجاز كان لا يصلح لأن يكون مركزاً للثورة فقد أصبح
مهتداً بالغزو من الجيوش الأموية ، فقد بعث يزيد بجيش مكثف لقتال
ابن الزبير بقيادة أخيه عمرو بن الزبير .

د - ان الحجاز لم تكن فيه حامية عسكرية حتى يلجأ إليها الامام
لتقوم بالذب والدفاع عنه .

هـ - ان الأغلبية الساحقة في الحجاز كانت تحقد على أهل البيت
عليهم السلام ، وكانت ميولها مع بني أمية ، يقول أبو جعفر الاسكافي .
« أما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضون علياً ، وكانت قريش كلها
على خلافه ، وكان الجمهور مع بني أمية » (١) ويقول الامام علي بن
الحسين (ع) : « ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا » (٢) ومع شيوع
الكرهية في الحجاز لأهل البيت (ع) كيف يتخذ الامام مقرأ له ؟ . .
لقد نزع الامام من الحجاز بمرأى ومسمع من جميع الحجازيين فلم ينفروا
معه ، ولم يتبعه أحد منهم سوى أهل بيته ، للقيام بنصرة والذب عنه .

(١) شرح النهج ٤ / ١٠٣

(٢) شرح النهج ٤ / ١٠٤

الاعراض عن مصر :

وأعرض الامام عن مصر ، ولم يرسل أحداً منهم ، وذلك لأن أهلها كانوا طيلة عهد الخلفاء وطيلة الحكم الأموي ميالين إلى الدعة والسلام ، والبعد عن التيارات السياسية على أنه لم ترد منهم أية رسالة للامام يدعونه فيها للقدوم إليهم ، فكيف يهاجر إليهم الامام ، ومضافاً إلى ذلك فان في مصر نزعة عثمانية ، وقد كان واليه عمرو بن المعاص ، فأشاع فيها البغض والكراهية لأهل البيت (ع) وحرص فيها الولاء لبني أمية ، فكيف يقصدها الامام .

الاعراض عن اليمن :

وأشار ابن الحنفية وغيره على الامام أن يهاجر إلى اليمن لأن فيها شيعة له ولأبيه ، ولم يستجب الامام إلى هذا الرأي ، وفيما نحسب أن أسباب اعراضه عنه تعود إلى ما يلي :

١ - انه لم تكن في اليمن حامية عسكرية حتى تتمكن على حمايته والذب عنه إذا داهمته جيوش بني أمية ، فقد كان الباليون عزلاً من السلاح والعتاد ، ولا قابلية لهم على الخوض في عمليات الحروب .

٢ - ان جماهير اليمن لم تقم بحماية بلادهم حينما دهمتهم جيوش معاوية بقيادة الباغي بسر بن أبي ارطاة فاشاع فيهم القتل ، وسبى نساءهم وباعها في الاسواق فمن كانت أعظم ماقاً بيعت بثمن أكثر ، ولم يثاروا للدفاع عن اعراضهم ، وانما استسلموا للعدوان الأموي الذي أصاب سن دمائهم وأموالهم حسب ما شاء ومع هذا الحال كيف يهاجر الامام إليها ؟

٣ - ان اليمن قسد منيت بالفقر والبؤس فكانت الحياة الاقتصادية فيها مشلولة ، ولا قدرة لأهلها على مد الثورة بما تحتاج اليه من المال والسلاح ، وقد نزح الكثيرون منها إلى الكوفة طلباً للرزق والرفاهية .

٤ - ان الامام لوذهب إلى اليمن لما تركه يزيد وأرسل إليه جيوشه لمناجزته وتسفك بذلك الدماء ، ويتهم الامام باثارة الفتنة وشق عصا الطاعة وتضيق بذلك عدالة قضيته حسب ما يقول الدكتور أحمد محمود صبحي (١) وبما ذكرناه من هذا التحقيق يتضح ومن ما ذهب اليه الدكتور على حسين الخربوطلي من تخطأ الامام على عدم ذهابه لليمن وتخليه عن الحجاز لأن بها أنصاره الحقيقيين وشيعة أبيه المخلصين ، وان اليمن كانت تمتاز ببعدها عن مركز الخلافة ، ومناعة حصونها وكثرة شعابها (٢) وهذا الرأي لا يحمل أي طابع من التحقيق فان الامام لم يكن عنده أنصار حقيقيون في الحجاز ، ولو كانوا لخرجوا معه حينما أعلن الذهاب إلى العراق ، وما تركوه وحده فريسة بيد الطاغية ابن مرجانة ، وأما اليمن فقد ذكرنا أنها غير صالحة استراتيجياً لأن يتخذها الامام مقراً لثورته .

الاعراض عن فارس :

وأعرض الامام عن فارس لأنه لم يكن له فيها أي رصيد ، ولم تتبلور فيها الدعوة لأهل البيت (ع) وانما كانت مركزاً لدعوة العلويين بعدد ربح من الزمن حينما نزلت إليها المجموعة الكبيرة من الشيعة التي نفاها

(١) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص ٣٤٣)

(٢) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (ص ١٢١) وذهب

لذلك الصولي في كتابه الدولة الأموية في الشام (ص ٥٣) .

زياد إليها فقد أخذت تعمل على نشر التشيع هناك ، وقد استغل دعاة بني العباس تلك الثمرة التي أوجدتها دعاة الشيعة في فارس فأنخذوها مقراً لهم ، ومنها انطلقت الثورة على بني أمية فأطاحت بعرشهم ، وسلطانهم .

الاعراض عن البصرة :

وأعرض الامام عن البصرة لأنها كانت عثمانية الهوى ، وكان الكثيرون من أبنائها شيعة للزبير وطلحة ، يقول أبو جعفر الاسكافي ، وكان أهل البصرة كلهم يبغضون علياً ، (١) وسبب ذلك حرب الجمل التي حصلت رؤوس الكثيرين من أبنائها فاترعت نفوسهم بالكراهية للامام وأبنائه نعم فيها بعض الشيعة وقد كاتبهم الامام عندما أراد التوجه إلى الكوفة . وعلى أي حال فان الكوفة كانت أصلح مركز لاعلان الثورة على الأمويين فقد تزعمت هذه المدينة الثائرة الحركة المعارضة لبني أمية ، كما كانت أهم موقع استراتيجي في العالم الاسلامي ، وقد نهيات نهياً تاماً بعد هلاك معاوية لدعوة الامام كما كانت الوطن الأم لشيعة ، فقد كانت قلوب أهلها تفيض بالحُب والولاء له .

لقد كان اختيار الامام (ع) الهجرة إلى الكوفة دون غيرها مبنياً على دراسته الوثيقة لواقع الأقطار الاسلامية واحاطته باتجاهات المواطنين فيها سواء في الميادين السياسية أو العقائدية ، ومدى قدرتهم الاقتصادية

(١) شرح النهج ٤ / ١٠٣

والعسكرية ، ففسد خبر الامام كل ذلك ووقف عليه ، فلم ير هناك قطراً
تنوفر فيه الاستراتيجية الكاملة لحماية الثورة وضمان نجاحها سوى الكوفة
التي كانت تضم القوى المؤيدة له ، والمنحرفة عن الحكم الأموي ، فكان
الانجاء إليها ضرورة ملحة لا غنى له عنها .

مُسْفِقُونَ وَمُنْدَدُونَ

ولما أذيع تصميم الحسين (ع) وعزمه على مغادرة الحجاز والتوجه إلى الكوفة أشفق عليه جماعة من أهل بيته وشيعته كما اظهر له الاخلاص رياءً بعض ذوي الأطماع السياسية كعبد الله بن الزبير ، والأشدق الذي أشفق عليه بالخروج خوفاً على انهيار الحكم الأموي وقد حذروا الامام وخافوا عليه من انقلاب أهل الكوفة وغدرهم به كما غدروا بأخيه الامام الحسن من قبل ، وقد أشاروا عليه بأن لا يتوجه لهذا القطر ولا يقرب منه ، كما ندد بخروجه جماعة من عملاء السلطة وأذابها خوفاً على تصدع الحكم الأموي وانهياره ، وقال بمثل مقالتهم جماعة من المنحرفين عن أهل البيت في كثير من العصور ، وفيما يلي آراء كلا الفريقين .

المشفقون :

أما المشفقون من شيعة الامام الحسين وأهل بيته فكانت قلوبهم تدوب أسى وحرزاً على مغادرة الامام للحجاز ، وكانوا يتكلمون بلبسة العاطفة ويفكرون في شيء لم يكن الامام يفكر به ، فكانوا يشيرون عليه بمهادنة السلطة والبيعة ليزيد ليكون بئامن من شروره واعتدائه ، وكان (ع) يرى دين جده (ص) قد صار العوثة بيد حفيد أبي سفيان ، فلا بد أن يثار لكرامة هذا الدين ويضحى بكل شيء لحمايته ، فهذا هو مغزاه الذي كان لا يثنيه عنه شيء . . . ولنستمع إلى حديث المشفقين عليه ، والعاذلين له .

١ - المسور بن مخزومة

وذعر المسور بن مخزومة (١) حينما سمع بعزم الامام على مغادرة الحجاز والتوجه إلى العراق فكتب إليه هذه الرسالة :

« إياك أن تغتر بكتب أهل العراق ، ويقول لك ابن الزبير : الحق بهم فانهم ناصروك ، اياك أن تبرح الحرم ، فانهم - أي أهل العراق - ان كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الابل حتى يوافوك ، فتخرج إليهم في قوة وعدة . »

ولما قرأ الامام رسالته اثني على عواطفه ، وقال لرسوله : « استخبر الله في ذلك ، (٢) :

٢ - عبد الله بن جعفر

وخاف عبد الله بن جعفر على ابن عمه حينما علم بعزمه على التوجه إلى العراق ، فحاطت به موجات من الاسى ، فبعث إليه بابنيه عون ومحمد ، وكتب معها هذه الرسالة :

« أما بعد : فاني أسألك الله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فاني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك ، واستئصال أهل بيتك

(١) المسور بن مخزومة بن نوفل القرشي الزهري ، ولد بعد الهجرة بسنتين ، وقد روى عن النبي (ص) وكان من أهل الفضل والدين ، كان مع ابن الزبير فلما كان حصار مكة أصابه حجر من حجارة المنجنيق فتوفي جاء ذلك في الاصابة ٣ / ٤٠٠ .

(٢) تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٩ من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين .

إن هلكت اليوم اطفأ نور الأرض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ،
فلا تعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام .

وأصرع ابن جعفر وهو خائر القوى ذاهل اللب إلى عمرو بن سعيد
حاكم مكة فأخذ منه كتاباً فيه أمان للحسين ، وجاء مسرعاً إليه وكان معه
يحيى بن سعيد بن العاص ، فعرض عليه الإقامة في مكة وعدم النزوح إلى
العراق فلم يستجب الامام له ، وأخذ يتضرع إليه عبد الله ويتوسل في أن
ينصرف عن نيته ، فقال الامام :

« اني رأيت رسول الله (ص) في منامي ، وأمرني بأمر لا بد أن
انتهي إليه . . »

فسأله ابن جعفر عن الرؤيا ، فأبى أن يحدثه بها وقل له : « ما حدثت
بها أحداً ، وما أنا بمحدث بها حتى ألقى الله عز وجل ، (١) وانصرف
ابن جعفر وهو غارق بالأسى والشجون وأيقن بنزول الرزء القاسم وقد
أمر ابنه بمصاحبة خالهما الحسين .

٣ - عبد الله بن عباس

وأصرع عبد الله بن عباس وهو حزين كئيب إلى الامام ، فقال له :
« إن الناس أرجفوا بأنك سائر إلى العراق ، فهل هزمت على شيء
من ذلك ؟ » .

« نعم قد أجمعت على المسير في أحد يومي هذين إلى الكوفة أريد
اللاحق بابن عمي مسلم إن شاء الله تعالى » .
وفزع ابن عباس فقال للامام :

(١) تأريخ الطبري ٦ / ٢١٩ ، البداية والنهاية ٨ / ١٦٣ ، سير
أعلام النبلاء ٢ / ٣٤٣ .

« اني اصيلك بالله من ذلك ، اخبرني أنسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ، فان كان قد فعلوا سر إليهم وان كانوا انما دعوك وأميرهم ، عليهم ، قاهر لهم ، وعاملهم تجبي بلادهم ، وتأخذ خراجهم فانما دعوك إلى الحرب ، ولا آمن عليك أن يفروك ، ويكذبوك ، ويخذلوك ويبيعوك فيكونوا أشد الناس عليك . . . »

ولم تخف شيء من هذه النقاط الحساسة على الامام ، فقد كان على بصيرة من أمره فقال لابن عباس .

« اني استخير الله ، وانظر ما ذا يكون ؟ » (١)

وأحاطت بابن عباس موجات من القلق والاضطراب ، فلم يتمكن ان يهدأ اعصابه ، فراجع الامام ، وقال له :

« اني اتصبر ، ولا اصبر ، اني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال . . . ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربهم ، أقم في هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز ، فان كان أهل العراق يريدوك - كما زعموا - فاكتب إليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ، ثم أقدم عليهم ، فان أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فان بها حصوناً ، وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس في عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعواتك فاني أرجو ان يأتبك عند ذلك الذي تحب في عافية . . . »

واخبره الامام عن تصميمه على السفر ، وأنه قد بتَّ به ، فقال له

(١) وسيلة المآل في عد مناقب الآل (ص ١٨٧) من مصورات مكتبة امير المؤمنين ، وكذلك روى في الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٢٨٥) للسيد محمود الشبخاني القادري ، من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين .

ابن عباس : « إن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فاني لحائف
أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . . . لقد أقررت عين
ابن الزبير بخروجك من الحجاز ، وهو اليوم لا ينظر إليه احد معك .
وفقد ابن عباس اهابه ، واندفع بثورة عارمة ، فقال حسبنا يروي
المؤرخون :

« والله الذي لا إله إلا هو لو اءلم اني إن اخذت بشعرك وناصيتك
حتى يجتمع علينا الناس اطعمني فاقمت لفعالت » ولم يخف على الامام كل
ما قاله ابن عباس فقد كان مصمماً على غايته التي بها انتصار الاسلام .
وخرج ابن عباس وهو يتعثر في خطاه ، قد نخر الحزن قلبه فالججه
نحو ابن الزبير فقال له :

« لقد قوت عينك يا ابن الزبير ، ثم أنشد :

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز . . . (١)

ان الامام لو كان يروم الملك والسلطان لاستجاب لرأي ابن عباس
ولكنه (ع) كان يبغي الاصلاح ، واعادة الحياة الاسلامية إلى واقعها
المشرق ، وأيقن أن ذلك لا يتحقق إلا بالتضحية الحمراء فهي وحدها التي
تتحقق ما يصبو إليه .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٥ - ٢٧٦

٤ - ابو بكر المخزومي

وهرع ابو بكر بن عبد الرحمن المخزومي (١) الى الامام فقال له :
 « إن الرحم يظأرني (٢) عليك ولا أدري كيف أنا في النصيحة ؟ كان
 أبوك أشد بأساً ، والناس له ارجى ، ومنه اسمع ، وعليه اجمع فسار الى
 معاوية ، والناس مجتمعون عليه إلا اهل الشام - وهو اهزمته - فخذلوه
 وتناقلوا عنه حرصاً على الدنيا وضناً بها فجرعوه القيط - وخالفوه حتى
 صار الى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه . . . ثم صنعوا بأخيك
 بعد ابيك ما صنعوا - وقد شهدت ذلك كله ورأيتك - ثم انت تسير الى
 الذين عدوا على ابيك واخيك تقاثل بهم اهل الشام واهل العراق ، ومن
 هو اعد منك ، واقوى ، والناس منه اخوف ، وله ارجى ، فلو بلغهم
 مسيرك لإلهم لاستطعموا الناس بالأموال - وهم عبيد الدنيا - فيقاتلك من
 قد وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من انت أحب إليه من ينصره ، فاذا ذكر
 الله في نفسك . . . » .

وشكر له الامام نصيحته وعواطفه ، وعرفه انه مصمم على ما عزم
 عليه ، ويثس ابو بكر فانطلق وهو يقول :
 « عند الله نحتسب أبا عبد الله »

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي القرشي أحد
 الفقهاء السبعة ، ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش لكثرة
 صلته ، وكان مكفوفاً ، وهو من سادات قريش توفي سنة (٩٥ هـ)
 جاء ذلك في تهذيب التهذيب ٢ / ٣٠ .

(٢) يظأرني : أي يدفعني عليك العطف والحنو

واقبل ابو بكر على والي مكة وهو يقول :
كم ترى ناصحاً يقول فيعصى وظنين المغيب يلقى نصيحاً
« ما ذاك يا أبا بكر ؟
فأخبره بما قال للحسين : فقال له ، نصحت له ورب الكعبة ، (١)

٥ - عبد الله بن جمعة

واشفق عبد الله بن جمعة بن هبيرة على الامام فالحقه بولده هون
وبعث إليه رسالة يسأله فيها الرجوع ، ويذكر فيها تخوفه في مسيره إلى
العراق ، فلم يعجب الامام ذلك (٢)

٦ - جابر بن عبد الله

وخف جابر بن عبد الله الانصاري إلى الامام وطلب منه ان لا يخرج
فأبى (ع) (٣) .

٧ - عبد الله بن مطيع

والتقى الامام بعبد الله بن مطيع ، وكان في طريقه إلى العراق ،
وعرف عبد الله قصد الامام فقال له :
« يا بن رسول الله اذكرك الله في حرمة الاسلام أن تنتهك ، انشدك
الله في حرمة قريش وذمة العرب ، والله لئن طلبت ماني يد بني أمية
ليقتلوك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك احداً ابداً . . . والله انها لحرمة

(١) مروج الذهب ٣ / ٦ ، الطبري ٦ / ٢١٦

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٣٤٢

الاسلام وحرمة قريش ، وحرمة العرب ، فالله الله لا تفعل ولا تأت الكوفة ، ولا تعرض نفسك لبني امية ، (١) .

٨ - عمرو بن سعيد

وارسل عمرو بن سعيد الأشدق رسالة للامام يتعهد فيها له بالامان وعدم التعرض له بمكروه ، وقد جاء فيها :
 « انني اسأل الله ان يلهمك رشداً ، وان يعرفك عما يراد بك ، بلغني انك قد عزمت على الشخوص إلى العراق ، فاني اعيدك بالله من الشقاق ، فان كنت خائفاً فاقبل إلي فلك عندي الامان والصلوة ، وكيف يخضع أبي الضميم للأشدق ، ويطلب منه الامان ، لقد اراد الأشدق ان يكون الامام تحت قبضته حتى لا يملك من امره شيئاً ولم يخف على الامام ذلك فأجابه .

و ان كنت اردت بكتابك صلتني فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة . .
 وانه لم يشاقق من دعا الى الله وعمل صالحاً وقال : انني من المسلمين ، وخير الامان امان الله ، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا ، فنسأل الله

(١) وسيلة المال في عد مناقب الآل (ص ١٨٩) وفي تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٨ ان عبد الله بن مطيع قال للحسين : (فذاك أبي وأمي متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق فو الله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذونا خولاً وعبيداً ، وفي العقد الفريد ٣ / ١٣٣ انه لقي الامام فقال له : يا أبا عبد الله لاسقانا الله بعدك ماءً طيباً أين تريد ؟ فقال (ع) : مات معاوية ، وجاءني اكثر من حمل صحف ، فقال عبد الله : لا تفعل فوالله ما حفظوا أباك وكان خيراً منك فكيف يحفظونك ؟ والله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلا استحلت .

مخافة في الدنيا توجب امان الآخرة عنده ، (١) .

٩ - محمد بن الحنفية

وكان محمد بن الحنفية في يثرب ، فلما علم بعزم اخيه على الخروج الى العراق توجه الى مكة (٢) ، وقصد وصل إليها في الليلة التي اراد الخروج في صبيحتها الى العراق ، وقصده فور وصوله فبادره قائلاً :
« يا اخي ان اهل الكوفة قد عرفت غدرهم بابيك واخيك ، وقد خفت ان يكون حالك حال من مضى ، فان اردت ان تقيم في الحرم فانك اعز من بالحرم ، وامنعهم » .
وشكر له الامام عواطفه ونصيحته وقال له :
« خفت أن يفتلني يزيد بن معاوية ، فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت » .

فقال محمد : « فان خفت ذلك فسر إلى اليمن او بعض نواحي البر فانك امنع الناس به ، ولا يقدر عليك احد » .
قال الحسين : « انظر فيما قلت » (٣)
ولما كان وقت السحر بلغه شخوصه إلى العراق وكان يتوضأ فبكى حتى سمع وقع دموعه في الطست (٤) واسرع محمد إلى أخيه ، فاخذ بزمام

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٠

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٣٤٢

(٣) الدر المنلوک ١ / ١٠٩ ، وقريب من هذا الحديث جرى بين

الامام وأخيه حينما كان في يثرب .

(٤) أنساب الأشراف ق ١ ج ١ ، وفي الصواعق المحرقة (ص ١١٧)

انه بكى حتى ملأ الطست من دموعه .

ناقته ، وقال له :

« يا أخي ألم تعدني فيما سألتك ؟ »

« بلى ولكن أتاني رسول الله (ص) بعد ما فارقتك ، وقال لي

يا حسين اخرج فان الله شاء أن يراك قتيلاً . »

وذعر محمد ، وسرت الرعدة باوصاله ، ودموعه تتبلور على خديه

وهو يقول :

« فما معنى حمل هؤلاء النساء والاطفال ، وانت خارج على مثل

هذا الحال . »

فاجابه الامام بعزم وطمانينة قائلاً :

« قد شاء الله ان يراهن سيابا » (١) .

١٠ - السيدة أم سلمة

وفزعت ام المؤمنين السيدة ام سلمة حينما علمت ان الامام قد عزم على الخروج إلى العراق ، وكان في ذلك الوقت في يثرب قبل ان يتوجه إلى مكة فنهضت إليه قائلة بصوت حزين الزهيرات :

« يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فاني سمعت جسدك

رسول الله (ص) يقول : يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في ارض يقال لها كربلاء ، وعندني تربتك في قارورة دفعها إلي النبي ، .

فاجابها الامام بعزم ورباطة جأش قائلاً :

« يا اماه ، وانا اعلم اني مقتول مذبح ظلماً وعدواناً ، وقد شاء

عز وجل ان يري حرمي ورهطي مشردين ، واطفالي مذبحين ، مأسورين

(١) الدرر المسلوكة ١ / ١٠٩

مقيدين ، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً . . .

فالتاعت أم سلمة ورفعت صوتها قائلة :

« واعجبا فأين تذهب وأنت مقتول ؟ ! ! »

فاجابها الامام وهو ضاخر من الموت وهازيء من الحياة قائلاً :

« يا أماه إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً ، وإن لم أذهب في غد

ذهبت بعد غد ، وما من الموت بُد ، واني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه

والساعة التي أقتل فيها ، والحفرة التي أدفن فيها كما اعرفك ، وانظر اليها

كما انظر إليك » (١) .

١١ - عبد الله بن الزبير

ولما عزم الامام على مغادرة مكة خف إليه عبد الله بن الزبير من باب

المجاملة قال البلاذري : وانما أراد ابن الزبير بذلك لئلا يتهمه وان يعذر في

القول فاظهر له الجنان والولاء قائلاً :

« ابن تذهب إلى قوم قتلوا أباك ، وطعنوا أخاك ؟ »

فقال (ع) :

« لئن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من تستحل بي - يعني

مكة - (٢) .

وأصر الامام على فكرته ، ولم يصدده عنها عدل العاذلين ، واشفاق

(١) مقتل المرقم (ص ١٥٢) وذكر الخوارزمي ان هذا الحديث

كان بين الحسين وبين ابن عمر في مكة ، وكان قد دعاه إلى المضي معه

إلى المدينة .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٧

المشفقين عليه فقد أيقن أنه لا يمكن بأي حال ان تلتصر القضية الاسلامية وتعلو كلمة الله في الأرض الا بالتضحية والفداء ، يقول الاستاذ خالد محمد خالد :

« إن القضية التي خرج البطل حاملاً لواءها لم تكن قضية شخصية تتعلق بحق له في الخلافة . . أو ترجع إلى عداوة شخصية يضمورها ليزيد كما انها لم تكن قضية طموح يستحوذ على صاحبه ، ويدفعه إلى المغامرة التي يستوي فيها احتمال الربح والخسران .

كانت القضية أجل وأسمى واعظم

كانت قضية الاسلام ومصيره والمسلمين ومصيرهم

وإذا صمت المسلمون جميعهم تجاه هذا الباطل الذي أنكره البعض بلسانه ، وانكره الجميع بقاوبهم فمعنى ذلك ان الاسلام قد كفت عن انجاب الرجال .

معناه ان المسلمين قد فقدوا أهلية الانتباه لهذا الدين العظيم : : : ومعناه أيضاً أن مصير الاسلام والمسلمين معا قد امسى معلقاً بالقوة الباطشة فمن غاب ركب ، ولم يعد للقرآن ولا للحقيقة سلطان . .

تلك هي القضية في روع الحسين

وبهذا المنطق اصر على الخروج (١)

لقد رغب إليه المشفقون ان لا يجيب دعاة الكوفة ، ويقبع في بيته مسالماً ليزيد ، ولكن أبي الضمير كان يرى مالا يرونه ، كان يرى أن الحياة الاسلامية قد امتحنت بفقير الدم امتحانا ادى بها الى الهلكة والدمار وانه لا يهد ان يرربها من دمه الزاكي لتعود للمسلمين لهم الحياة نشطة تندفق بها الحيوية من دمه الذي هو دم جده الرسول .

(٢) ابتداء الرسول في كربلاء (ص ١٢٣ - ١٢٤)

منددون :

وندد جماعة بخروج الامام ، وشجبوا اعلانه للجهاد لأن فيه تصديماً للحكم الأموي الذي كانوا ينعمون بخيراته وصلاته ، وقد قال بمثل مقالتهم بعض المتأخرين من الكتاب الذين اندلعت اقلامهم تحمل شرراً من نار لنقد الامام على خروجه على حكومة يزيد التي لانحتمل اي طابع شرعي ، وهذه آراؤهم .

١ - عبد الله بن عمر

وندد عبد الله بن عمر بخروج الامام ، ونعى عليه الدخول في المعترك السياسي فقال : « هلبنا الحسين بن علي بالخروج ولعمري لقد رأى في ابيه واخيه عبرة ، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ، ما كان ينبغي ان يتحرك ما عاش ، وان يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فان الجماعة خير » (١) .

(١) تدهيب التهذيب ١ / ١٥٢ ، تاريخ الاسلام ١ / ٣٤٢ ، تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٩ ، وجاء في تدهيب التهذيب ١ / ١٥٥ قال الشعبي : كان ابن عمر قدم المدينة فأخبر أن الحسين قد توجه إلى العراق فلاحقه على مسيرة ليلتين ونهاه ، وقال : هذه دولتهم ان الله خير نبيه بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة ، وانكم بضعة منه ، لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها منكم إلا للذي هو خير ، فارجم فأبى فاعتنقه ابن عمر ، وقال : استودعك الله من قتيل ، وجاء في الدر المنثور للحرم العاملي ١ / ١٠٦ ان عبد الله بن عمر أشار على الحسين بصالح أهل الضلال ، وجذره من القتل والقتال ، فقال له الحسين : يا أبا عبد الرحمن أما علمت ان =

٢ - سعيد بن المسيب

وشجب سعيد بن المسيب خروج الامام ، وقال : لو أن حسيناً
لم يخرج لكان خيراً له (١) :

٣ - ابو واقد الليثي

وكان ابو واقد الليثي من صنائع بني امية ، فاقبل على الامام وجعل
يناشده الله أن لا يخرج على يزيد ولم يكن بذلك مدفوعاً بدافع الحب للامام
وانما خوفاً على ملك بني امية ، فلم يعن به الامام واعرض عنه (٢) .

٤ - ابو سلمة

ومن الشاجين لخروج الامام على يزيد ابو سلمة بن عبد الرحمن (٣)

= من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى يحيى من
بغايا بني اسرائيل ، أما علمت أن بني اسرائيل كانوا يقتلون من طلوع
الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ، ثم يجلسون في اسواقهم يبيعون
ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً فلم يعجل الله عليهم بل امهلهم وأخذهم
بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ، اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٩ ، تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٣

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٩ ، تاريخ ابن كثير ٨ / ١٦٣ ،

تاريخ الاسلام ١ / ٣٤٢ .

(٣) ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني ذكره ابن

سعد في الطبقة الثانية من المدلين توفي سنة (١٠٤ هـ) جاء ذلك في

تهذيب التهذيب ١٢ / ١١٦ .

قال : « كان لحسين أن يعرف أهل العراق ، ولا يخرج إليهم ، ولكن شجعه ابن الزبير ، (١) :

• - أبو سعيد

وزدد أبو سعيد بخروج الامام وقال : « غلبني الحسين على الخروج وقد قلت له : اتق الله والزم بيتك ، ولا تخرج على امامك ، (٢) .

٦ - عمرة بنت عبد الرحمن

وكانت عمرة بنت عبد الرحمن (٣) تدين بالولاء لبني أمية ، وتخشى على سلطانهم ، وقد رفعت إلى الامام رسالة استعظمت فيها خروجه على يزيد ، وحثته على الطاعة ولزوم الجماعة وحذرتة من الخروج وانه سوف يساق إلى مصرعه ، وذكرت في رسالتها انها سمعت عائشة تروى عن النبي (ص) انه قال : يقتل ولدي الحسين ، ولما قرأ الامام رسالتها ، وما جاء فيها من أخبار النبي (ص) بقتله قال : لا بد اذاً من مصرعي ، (٤) .

هؤلاء بعض المتدينين بخروج الحسين من معاصريه ، ولم ينظروا إلى

(١) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٦٣

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٣٤٢

(٣) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد الانصارية المدنية كانت في حجر

عائشة وروت عنها وهي اعلم الناس بحديثها توفيت سنة (١٠٣ هـ) تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٣٨ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٩

خروجه من زاوية الحكم الشرعي ، وانما نظروا إليه بعين المنفعة المادية
فقد كان الحكم الأموي يغلق عليهم بالأموال ، فخافوا عليه من الانهيار
والدمار .

المستحدثون :

وندد جماعة من المتأخرين بخروج الامام علي يزيد واعتبروه خروجاً
على ارادة الأمة .

١ - الشيخ محمد الخضري

وتنكر الشيخ الخضري شيخ الأزهر في بحوثه التاريخية والاسلامية
لاهل البيت (ع) الذين أمر الله بمودتهم والاخلاص إليهم فقال في الحسين
« إن الحسين اخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ للأمة وبال
الفرقة والاختلاف : وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا » (١) .
ان الامام قد أصاب كل الصواب وأحسن الى الأمة في خروجه ، فله الفضل
على كل مسلم فانه لولا توضيحته لما بقى للاسلام اسم ولا رسم فقد قضى
عليه السلام ، على المخططات الأموية الهادفة إلى محو الاسلام وازالة جميع
ارصده ، وقد فدى الحسين بتضحيته دين الاسلام وكلمة التوحيد .

٢ - محمد النجار

يقول محمد النجار : « أما أحقية الحسين بالخلافة فهي فكرة تنطوي
عليها قلوب الغالبية من الناس ، ولكن ما قيمة هذه القلوب اذا لم تؤيدها

(١) تأريخ الأمة الاسلامية ١ / ٥١٧

السيوف وهي مع ذلك لا تقتضي الخروج ، فان امامة المفضول مع وجود الأفضل جائزة ، وقد كان علي بن أبي طالب يعتقد أحقيته بالخلافة ولم يخرج على أحد ، (١) .

وبرى النجار ان خلافة يزيد كانت شرعية ، وانها من امامة المفضول التي هي سائغة عندهم . . . اما امامة المفضول مع وجود الأفضل فقد توفرت الأدلة العلمية على بطلانها ، وقد أقام المتكلمون من الشيعة الأدلة الحاسمة على زيفها ، وذكروا ان الالتزام بذلك خروج على المنطق وخروج على هدي الاسلام الذي يتبع في تشريعاته سنن الحياة ، وما تلميه المصلحة العامة ، وليس من المنطق في شيء تسويغ تقديم المفضول على الفاضل فان فيه هدماً للكفآت وخروجاً على صالح الأمة ، وقد أنكر القرآن الكريم المساواة بينهما قال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ولو سلمنا - كما يقول الأصوليون هذه القاعدة فالها لاتنطبق على خلافة يزيد فقد كان باجماع المسلمين - لا فضل فيه ، وإنما كان انساناً مسوخاً قد تمرس في الجرائم وهام في المنكرات فكان الخروج عليه واجباً شرعياً .

٣ - محمد الغزالي

وندد الشيخ محمد الغزالي بنهضة الامام الحسين ، ووصفها بأنها مجازفة لا أثر فيها لحسن السياسة (٢) وقد كان المتعين على الحسين حسب ما يراه الغزالي أن يبايع ليزيد ، ويخضع لقيادة هذا الخليع الماجن الذي لا يملك أية كفاءة لقيادة الأمة ، وهذا مما ياباه الحسين ويأباه مثله العليا وهو المسؤول

(١) الدولة الأموية في الشرق (ص ١٠٢ - ١٠٣)

(٢) من معالم الحق (ص ١٣١) .

بالدرجة الأولى عن صيانة الاسلام والحفاظ على مقدساته وقيمه .

٤ - احمد شبلي

واحمد شبلي من المسعورين في الدفاع عن يزيد والانكار على الامام في خروجه عليه قال : « نجبيء إلى الحسين انقر - مع الأسف - ان تصرفاته كانت في بعض نواحي هذه المشكلة غير مقبولة فهو - اولاً - لم يقبل نصيح الناصحين وخاصة عبد الله بن عباس ، وامتد برأيه و - ثانياً - نسي أو تجاهل خلق أهل الكوفة وما فعلوه مع أبيه وأخيه وهو - ثالثاً - يخرج بنسائه وأطفاله كأنه ذاهب إلى نزهة خلوية أو زيارة قريب ويعرف في الطريق غدر أهل الكوفة ومع هذا يواصل السير اليهم وينقاد لرأي بني عقيل ويذهب بجماعة من الأطفال والنساء وقبيل من الرجال ليأخذ بشأ مسلم بالله قد تكون ولاية يزيد العهد عملاً خاطئاً ، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطأ والعودة إلى الصواب ؟ » (١) .

ولم ينظر شبلي بعمق ودراسة الى واقع الحياة الاسلامية في عهد يزيد وإنما نظر إليها حسب ميوله التقليدية والعاطفية ، فراح يشد ويسلك في المنعطفات فيما كتبه ، لقد كان الاسلام مهدداً بالخطر والدمار في عهد يزيد وان خروج الامام كان من أجل اعادة الحياة إلى شرايين الأمة الاسلامية وقد أعلن (ع) أنه لم يخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً وإنما خرج ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحطم معالم الحياة الجاهلية التي تبناها الحكم الأموي ، وقد ألمعنا في الجزء الثاني إلى أسباب نهضة الامام بما يوضح القصد وينفي الشبهات :

وهذا ينتهي بنا الحديث عن المنددين بخروج الامام على حكومة يزيد .

(١) التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ٢ / ٢٠١

الى العراق

أف لهذه الدنيا ، وبُعداً لهذه الحياة مثل ابن رسول الله (ص)
وريحانته تضيق عليه الدنيا ، وتتقاذفه أمواج من الهموم فلا يدري إلى أين
مسراه ومولجه ، فقد وافته الأنباء أن الطاغية يزيد قد عهد إلى شرطته
باغتياله ، ولو كان متعلقاً باستار الكعبة .

لقد أيقن سبط رسول الله (ص) أن يزيد لا يتركه وشأله ، ولا بد
أن يسفك دمه وينتهك حرمة وقد أدلى بذلك في كثير من المواطن ،
وكان منها :

١ - ما رواه جعفر بن سليمان الضبعي انه (ع) قال : « والله
لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة - وأشار إلى قلبه الشريف - من
جوفي فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يلهم حتى يكونوا أذل من
فرم (١) الأمة . ، (٢) .

٢ - قال (ع) لأخيه محمد بن الحنفية : « لو دخلت في جحر
هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني » (٣) .

٣ - ما رواه معاوية بن قررة قال : قال الحسين : « والله ليعتدن
علي كما اعتدت بنو اسرائيل في السبت » (٤) .

واستولت الحيرة على الامام واحاطت به موجات من الأسى والشجون
وتلبد أمامه الجو بالمشاكل الرهيبة والأحداث المفزعة فهو إن بقي في مكة
يخش من الاحتياك وان ذهب إلى العراق فانه غير مطمئن من أهل
الكوفة وانهم سيغدرون به ، وقد أدلى بذلك لبعض من شاهده في الطريق

(١) فرم الأمة : هي خرقة الحيض التي تلقيها النساء .

(٢) تأريخ ابن كثير ٨ / ١٦٩ ، تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٣

(٣) البحار

(٤) تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٣ ، تأريخ ابن كثير ٨ / ١٦٩

حسباً برويه عنه يزيد الرشك يقول : حدثني من شافه الحسين قال : لاني رأيت أجنبية مضروبة بفلاة من الأرض فقلت :

« لمن هذه ؟ »

« هذه للحسين »

فأبنته ، فاذا شيخ يقرأ القرآن ، والدموع تسيل على خديه واحيته قلت له : بأبي وأمي وابن بنت رسول الله ما أنزلك هذه للبلاد والفلاة التي ليس بها أحد ؟ فقال : هذه كتب أهل الكوفة إلي ، ولا أراهم الا قاتلي ، فاذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها ، فيسلط الله عليهم من يلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة (١) .

لقد كان متشائماً من أهل الكوفة فهو يعلم غدوهم وعدم وفائهم ، وانهم سيكونون إلبا عليه ، وبدأ لأهدائه .

وعلى أي حال فانا نعرض لبعض الأحداث التي جرت على الامام في مكة قبل سفره منها ، ونتبين دوافع هجرته إلى العراق وما جرى له في أثناء سفره .

رسالته لبني هاشم :

ولما صمم الامام على مغادرة مكة إلى العراق كتب هذه الرسالة لبني هاشم ، وقد جاء فيها بعد البسملة :

« من الحسين بن علي إلى أخيه محمد ، ومن قبله من بني هاشم ،

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٥ ، تاريخ ابن كثير ٨ / ١٦٩
تدبيب التهذيب ١ / ١٥٦ ، تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٣ ، الدر النظيم (ص ١٦٧) .

أما بعد : فإنه من لحق بي منكم استشهد ، ومن لم يلحق بي لم يدرك
الفتح والسلام . « (١) .
لقد أخبر (ع) الأسرة النبوية بأن من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة
ومن لم يلحق به فإنه لا ينال الفتح فأبي فتح هذا الذي عناه الامام ؟
انه الفتح الذي لم يحرزه غيره من قادة العالم واطال التاريخ ،
فقد انتصرت مبادئه ، وانتصرت قيمه وتألفت الدنيا بتضحيته ، وأصبح
اسمه رمزاً للحق والعدل ، واصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكاً لأمة
دون امة ولا لطائفة دون أخرى ، وانما هي ملك للانسانية الفلدة في كل
زمان ومكان فأبي فتح أعظم من هذا الفتح ، وأي نصر أسمى من
هذا النصر ؟

التحاق بني هاشم به :

ولما وردت رسالة الامام إلى بني هاشم في يثرب بادرت طائفة منهم
إلى الالتحاق به ليفوزوا بالفتح والشهادة بين يدي رجالة رسول الله (ص)
وكان فيهم أبناء عمومته واخوته (٢) كما سافر معهم محمد بن الحنفية ليصعد
الامام عن السفر إلى العراق إلا انه لم يستجب له ، وقد ذكرنا حديثه
في البحوث- السابقة .

(١) كامل الزيارات (ص ٧٥) دلائل الامامة (ص ٧٧)
(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧١ من مصورات مكتبة الامام
امير المؤمنين .

أسباب الهجرة من مكة :

أما بواعث هجرة الامام من مكة ، وخروجه إلى العراق بهذه السرعة فهي - فيما نحسب - تعود إلى ما يلي :

١ - الحفاظ على الحرم

وخاف الامام على انتهاك بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً فان بني أمية كانوا لا يرون له حرمة فقد عهد يزيد الى عمرو بن سعيد الأشدق أن يناجز الامام الحرب ، وان عجز عن ذلك اختلفه ، وقدم الأشدق في جند مكثف إلى مكة ، فلما علم الامام خرح منها (١) فلم يعصم بالبيت الحرام حفظاً على قداسته يقول (ع) : « لأن أقتل خارجاً منها - أي من مكة - بشبر أحب إلي ، ويقول (ع) لابن الزبير : « لئن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تستحل - يعني مكة - » (٢) وقد كشفت الأيام عدم تقديس الأمويين لهذا البيت العظيم ، فقد قذفوه بالمنجنيق وأشعلوا فيه النار عندما حاربوا ابن الزبير ، كما استباحوا المدينة قبل ذلك . : لقد تخرج الامام كأشد ما يكون التحرج على قداسة بيت الله من أن تنتهك حرمة ، فنزح عنه لئلا تسفك فيه الدماء .

٢ - الخوف من الاغتيال

وخاف الامام من الاغتيال في مكة أو يقع غنيمة هاردة بأيدي الأمويين

(١) مرآة الزمان (ص ٦٧) من مصورات مكتبة الامام

امير المؤمنين .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٦

فقد دس إليه يزيد شرطته لاغتيااله ، يقول عبد الله بن عباس في رسالته ليزيد : « وما انس من الأشياء فلست بناس اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله (ص) إلى حرم الله و دسك إليه الرجال تغتاله فاشخصنه من حرم الله إلى الكوفة فخرج منها خائفاً يترقب وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً وأعز أهلها بها حديثاً ، واطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحل بها قتالا ، (١) .

٣ - رسالة مسلم

ومما دعا الامام إلى الخروج من مكة رسالة سفيره مسلم بن عقيل التي تحثه على السفر إلى العراق ، وقد جاء فيها أن جميع أهل الكوفة معه وان عدد المبايعين له يربو على ثمانية عشر ألفاً . . . هذه بعض الأسباب التي حفزت الامام على الخروج الى العراق ، وان من أوهى الأقوال القول بأن هروجه من مكة كان راجعاً إلى وجود ابن الزبير فيها ، فان ابن الزبير لم تكن له أية أهمية حتى يخرج الامام منها ، وانما الأسباب التي أُلغنا إليها فقد أصبحت مكة لا تصلح لأن تكون مركزاً للحركات السياسية بعد أن أصبحت مهددة بغزو الجيوش الأموية لها .

خطابه في مكة :

ولما هزم الامام على مغادرة الحجاز والتوجه الى العراق أمر بجمع الناس ليلقي عليهم خطابه التاريخي ، وقد اجتمع إليه خلق كثير في المسجد الحرام من الحجاج وأهالي مكة فقام فيهم خطيباً فاستهل خطابه بقوله :

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢١

والحمد لله وما شاء الله ، ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على رسوله
 خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى
 اسلافني اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقية كأني بأوصالي
 تقطعها عسلان الفلاة (١) بين النواويس وكربلأ ، فيملأن مني اكراشا
 جوفاً ، واجربة سغبا ، لا محيص عن يوم خُط بالقلم ، رضا الله رضانا
 أهل البيت نصبر على بلائه ، ويوفينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن
 رسول الله (ص) لحمته ، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس ، تقر بهم
 عينه ، وينجز بهم وعده ، ألا ومن كان فينا بأذلا مهجته ، موطناً على
 لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحا ان شاء الله تعالى ، (٢) .
 لا أعرف خطاباً ابلغ ولا اروع من هذا الخطاب فقد حفل بالدعوة
 إلى الحق والاستهانة بالحياة في سبيل الله ، وقد جاء فيه هذه النقاط :

١ - انه نعى نفسه ، ورحب بالموت ، واعتبره زينة للانسان كالقلادة
 التي تزين بها جيد الفتاة ، وهذا التشبيه من اروع وابدع ما جاء في
 الكلام العربي . . ومن الطبيعي ان الموت الذي يتحل به الانسان انما
 هو الموت في سبيل الله والحق .

٢ - انه اعرب عن شوقه البالغ إلى اسلافه الطيبين الذين استشهدوا
 في سبيل الله ، وقد كان شوقه إليهم كاشتياق يعقوب إلى يوسف حسب
 ما يقول :

٣ - انه اخبر ان الله تعالى قد اختار له الشهادة الكريمة ، والميعة
 المشرفة دفاهاً عن الحق وذوداً عن الاسلام .

(١) عسلان الفلاة : ذئاب الفلاة :

(٢) الحدائق الوردية ١ / ١١٧ ، مفتاح الافكار (ص ١٤٨)

كشفت الغمة ٢ / ٢٤١ .

٤ - انه اعلن عن البقعة الطيبة التي يسفك على صعيدها دمه الزاكي وهي ما بين الزوايس وكر بلا ، فيها تنقطع اوصاله ، وتتناهب الراح جسمه الشريف :

٥ - انه اخبر ان الذئاب الكاسرة من وحوش بني امية واذا نهبهم لا يقر لهم فرار حتى تمتلئ اكراشهم من لحمه ودمه ، وهو كناية عن تسلطهم على الأمة بعد قتله ، فيمعنون في نهب ثروات الأمة وخيراتهما .
٦ - واخبر عليه السلام ان ما يجرى عليه من الخطوب والأهوال امر لا محيص عنه ، فقد خط عليه بالقلم وجرى في علم الله ، وليس من الممكن بأي حال من الأحوال تبديل او تغيير ما كتبه الله عليه .

٧ - أعلن ان الله تعالى قد قرن رضاه برضا اهل البيت ، وقرن طاعته بطاعتهم ، وحقا ان يكون ذلك فهم دعاة دين الله والادلاء على مرضاته وتحملوا من الأهوال التي لا توصف في سبيله .

٨ انه تحدث عن نزعة كريمة من نزعات اهل البيت (ع) وهي الخلود إلى الصبر ، والتسليم لأمر الله على ما يجرى عليهم من عظيم المحن والخطوب ، وان الله تعالى قد اجزل لهم الثواب ووفاهم بذلك اجور الصابرين .

٩ - واخبر (ع) ان الواقع المشرق لأهل البيت انما هو امتداد ذاتي لواقع الرسول الأعظم (ص) فهم لحمته وفرعه والفرع لا يختلف عن اصله ، وسوف نقر عين النبي (ص) في حضيرة القدس بعثرته التي سهرت على اداء رسالته وجاهدت كاعظم ما يكون الجهاد في الدود عن دينه .

١٠ - انه دعا المسلمين الى الخوض معه في ساحات الجهاد ، وان من ينطلق معه فقد بذل مهجته ووطن نفسه على لقاء الله .

وهذه النقاط المشرفة في خطابه دلت على انه آيسن من الحياة وعازم على الموت ، ومصمم على التضحية ولو كان يروم الملك لما عرض لذلك وكان عليه ان يقدم الوعود المعسولة ، والآمال البراقة لمن يسير معه . ولم يستجب لنداء الامام أحد من اهالي مكة ، ولا احد من الحجاج الذين سمعوا خطابه سوى نفر يسير من المؤمنين . وهذا مما يكشف عن قلة الوعي الديني ، وتخدير المجتمع ، وانحرافه عن الحق .

اتمام العمرة :

ولما عزم الامام على مغادرة مكة احرم للعمرة المفردة فطاف بالبيت وسعى وقصر وطاف طواف النساء ، واحل من عمرته ، وذكر الشيخ المفيد ان الامام الحسين لما أراد التوجه إلى العراق طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل من احرامه وجعلها عمرة لأنه لم يتمكن من اتمام الحج مخافة أن يقبض عليه بمكة فينقلبه إلى يزيد (١) وهذا لا يخلو من تأمل فان المصدرود عن الحج يكون احلاله بالهدي حسبما نص عليه الفقهاء لا بقلب احرام الحج إلى عمرة فان هذا لا يوجب الاحلال من احرام الحج ، أما ما ذكرناه فتدعمه روايتان ذكرهما الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة في كتاب الحج في (باب انه يجوز أن يعتمر في أشهر الحج عمرة مفردة ، ويذهب حيث شاء) .

أما الروايتان فهما :

١ - رواها ابراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله (ع) أنه سئل عن رجل خرج في أشهر الحج معتمراً ثم خرج إلى بلاده قال : لا بأس

(١) الارشاد (ص ٢٤٣) وذكر ذلك الشيخ الطبرسي في اعلام الوري

وان حج من عامه ذلك وأفرد الحج فليس عليه دم ، وان الحسين بن علي (ع) خرج يوم التروية إلى العراق وكان معتمراً :

٢ - رواها معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله : من أين افترق المتمتع والمعتمر ؟ فقال (ع) : ان المتمتع مرتبط بالحج ، والمعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء ، وقد اعتمر الحسين (ع) في ذي الحجة ثم راح يوم التروية إلى العراق ، والناس يروحون إلى منى ، ولا بأس بالعمرة في ذي الحجة لمن لا يريد الحج (١) وهذه الرواية نص فيما ذكرناه .

الخروج قبل الحج :

والشيء الذي يدعو إلى التساؤل هو ان الامام (غ) فد غادر مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة وهو اليوم الذي يتأهب فيه الحجاج للخروج إلى عرفة فلماذا لم يتم حجه ؟ وفيما أحسب أن هناك عدة عوامل دعت إلى الخروج من مكة بهذه السرعة وهي :

١ - ان السلطة قد ضايقته مضايقة شديدة حتى اطمئن انها ستفتح معه باب الحرب أو تغتاله وهو مشغول في اداء مناسك الحج ، وتستحل بذلك حرمة الحج ، كما تضع أهدافه المقدسة التي منها تحرير الأمة تحريراً كاملاً من الدل والعبودية .

٢ - انه اذا لم تناجزه السلطة أيام مناسك الحج ، فانها حتماً ستناجزه الحرب بعدها فيصبح في مكة امامقاتلاً أو مقتولاً وفي كلا الأمرين سلك للدماء في البيت الحرام وفي الشهر الحرام فغادر مكة حفاظاً على المقدسات الاسلامية .

(١) وسائل الشيعة ١٠ / ٢٤٦ - ٢٤٧

٣ - ان خروجه في ذلك الوقت الحساس كان من أهم الوسائل
الإعلامية ضد السلطة في ذلك العصر فان حجاج بيت الله الحرام قد
حملوا إلى أقطارهم نبأ خروج الامام في هذا الوقت من مكة وهو غضبان
على الحكم الأموي ، وانه قد أعلن الثورة على يزيد ، ولم يبق في مكة
صيانة للبيت الحرام من أن ينتهك على أيدي الأمويين . . هذه بعض
الأسباب التي حفزت الامام على الخروج قبل اتمام حجه .

مع ابن الزبير :

ولما علم ابن الزبير بمغادرة الامام إلى العراق خف إليه يسأله عن
مسألة لم يهتد إليها فقال له :
« يا بن رسول الله لعلنا لا نلتقي بعد اليوم ، فأخبرني متى يرث
المولود ويورث ؟ وعن جوائز السلطان هل تحمل أم لا ؟ »
فاجابه (ع) « أما المولود فاذا استهل صارخاً . . وأما جوائز
السلطان فخلال ما لم يقصب الأموال » (١) .
ولم تكن عند ابن الزبير أية بضاعة فقهية فراح بسنتي الامام في
مثل هذه الأمور الواضحة ، والغريب انه مع هذا الحال كيف يتصدى
لامامة المسلمين وخلافتهم ؟ ! !

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٦٧) من مخطوطات

مكتبة امير المؤمنين .

السفر إلى العراق :

وقبل أن يغادر الامام مكة انطلق إلى البيت الحرام فأدى له التحية بطوافه وصلاته ، وكان ذلك هو الوداع الأخير له وأدى فيه فريضة صلاة الظهر ثم خرج مودعاً له (١) لقسد انطلق الحسين مودعاً الكعبة حاملاً روحها بين جنبيه وشعلتها بكلتا يديه .

تواكبه الملائك وتباركه وتطيف به كأنها حذرة عليه . . .

فانه البقية من ارث السماء على الأرض (٢) .

لقد نزع عن مكة خائفاً من حفيد أبي سفيان ، كما نزع عنها جده الرسول (ص) خوفاً من المشركين بزعامه أبي سفيان ، وقد صحبه اثنا عشر وثمانون رجلاً من أهل بيته وخاصته ومواليه (٣) كما صحب معه السيدات من مخدرات الرسالة وهقائل النبوة . . لقسد خرج الامام وهو يحمل معه التحرير الكامل للأمة الاسلامية يريد أن يقيم في ربوعها حكم القرآن ، وعدالة السماء ويرد عنها كيد المعتدين .

وكان خروجه فيما يقوله أكثر المؤرخين في اليوم الثامن من ذي الحجة

(١) جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين .

(٢) الامام الحسين (ص ٥٥٧)

(٣) دائرة المعارف للبيستاني ٧ / ٤٨ ، وسيلة المال في عد مناقب

الآل (ص ١٨٨) وفي تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧١ وخرج متوجهاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة ، وفي تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٣٤٣ فسار من مكة وخف معه من بني عبد المطلب تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان .

سنة ستين من الهجرة (١) وقد خيم الأسي على أهل مكة فلم يبق أحد إلا حزن لخروجه (٢) . . . وانفصل الركب عن مكة ، فلم ينزل الامام منزلاً إلا حدث أهل بيته عن مقتل يحيى بن زكريا (٣) متنبئاً بما سيجرى عليه من القتل كما جرى على يحيى .

ملاحقة السلطة له :

ولم يبعد الامام كثيراً عن مكة حتى لاحقته مفرزة من الشرطة بقيادة يحيى بن سعيد ، فقد بعثها والي مكة عمرو بن سعيد لصد الامام عن السفر إلى العراق ، وجرت بينهما مناوشات ، وقد عجزت الشرطة عن المقاومة (٤) وكان ذلك الاجراء فيما نحسب سوريا ، فقد خرج الامام في وضوح النهار من دون أية مقاومة تذكر . . . لقد كان الغرض من ارسال هذه المفرزة العسكرية ابعاد الامام عن مكة ، والتعجيب عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه بسهولة ، وأكد ذلك الدكتور عبد المنعم ماجد بقوله :

(١) خطط المقرئزي ٢ / ٢٨٦ ، دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٤٨
(٢) الصواعق المحرقة (ص ١١٨) الصراط السري في مناقب

آل النبي (ص ٨٦) .

(٣) نظم در السمطين (ص ٢١٥)

(٤) ابن الأثير ٣ / ٢٧٦ ، البداية والنهاية ٨ / ١٦٦ ، وجاء في

سمط النجوم ٣ / ٥٧ ، وفي جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب (ص ١٣٣) ان عمرو بن سعيد لما بلغه خروج الحسين من مكة قال لشرطته : اركبوا كل بعير بين السماء والأرض في طلبه ، وكان الناس يتعجبون من قوله فطلبوه فلم يدركوه .

« ويبدو لنا أن عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولة جدية لمنع الحسين من الخروج من مكة إلى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في عمله ، بل لعله قدر سهولة القضاء عليه في الصحراء بعيداً عن انصاره ، بحيث ان بني هاشم فيما بعد اتهموا يزيد بأنه هو الذي دس إليه الرجال حتى يخرج . » (١) .

اتصال دمشق بالكوفة :

وكانت دمشق على اتصال دائم بالكوفة ، كما كانت على علم بجميع تحركات الامام ، وقد اضطرت من فشل المؤامرة التي دبرتها لاغتياله في مكة ونزوحه إلى العراق ليتولى بنفسه قيادة الثورة التي عهد بشؤونها إلى سفيره مسلم بن عقيل . . . وقد صدرت من يزيد عدة رسائل إلى حاكم الكوفة الطاغية ابن زياد ، وهي تضع له المخططات الرهيبة التي يسلكها وتأمره بالحزم امام الاحداث التي تعترض طريقه ، ومن بين هذه الرسائل .

١ - كتب يزيد هذه الرسالة إلى ابن زياد بعدما خرج الامام من مكة وقد جاء فيها « أما بعد عليك بالحسين بن علي لا يفوت بادره قبل أن يصل الى العراق » (٢) .

ومنطق هذه الرسالة الزام السلطة بالكوفة بالمبادرة التامة لقتال الحسين في الصحراء قبل أن يصل إلى العراق ، وعدم التماهل في ذلك .

(١) التاريخ السياسي للدولة العربية ٢ / ٧٢ - ٧٣ .

(٢) المناقب والمثالب للقاضي نعمان المصري .

٢ - وقد جاء فيها « أما بعد : فقد بلغني أن حسيناً قد سار إلى الكوفة ، وقد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلدك من بين البلدان ، وابتليت به أنت من بين العمال ، وعندها تعنت أو تعود عبداً كما يعتق العبيد » (١) :

وتحمل هذه الرسالة طابعاً من القسوة والشدة ، فقد انذر فيها زيد عامله ابن زياد فيما إذا قصر في مهمته ، ولم يخلص في حربه للحسين أن يفصم التحاقه ببني أمية ، ويعود إلى جده عبيد الرومي فيكون عبداً كسائر العبيد يباع ويعتق . . . وقد أعلن ابن زياد - فور وصول هذه الرسالة إليه - الأحكام العرفية ، واغلق جميع الحدود العراقية فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام ، وإلى طريق البصرة ، فلم يدع أحداً يلج إلى صحراء العراق ولا أحداً يخرج منه (٢) كما شكل قطعات من الجيش تجوب في العراق للتفتيش عن الامام الحسين ، ومن بينها الكتيبة العسكرية التي تضم زهاء الف فارس بقيادة الحر بن يزيد الرياحي ، وهي التي أرغمت الامام على النزول في كربلا ، وصرفته من التوجه إلى بلد آخر .

٣ - وعهد يزيد إلى ابن زياد أن يجزل بالعطاء إلى الزعماء والوجوه وغيرهم حتى يستميل ودهم ، وهذا نص رسالته .
« أما بعد : فزد أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في اعطياتهم مائة مائة ، (٣) واغلق ابن زياد الأموال على الأعيان والوجوه فاستمالهم لحرب ابن رسول الله .

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٢ ، تاريخ الاسلام الذهبي ١ / ٣٤٤
المعجم الكبير للطبراني ، كفاية الطالب ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب ،

(٢) و (٣) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

موقف الأمويين :

أما موقف الأمويين ازاء تحرك الامام ، ومغادرته الحجاز إلى العراق فقد كان مضطرباً فطائفة منهم كانت تحب العافية ، وتخاف عواقب الأمور وتخشى على الامام أن يناله ابن زياد بمكروه فيكون ذلك سبباً لزوال ملكهم وطائفة كانت تخاف على العرش الأموي ، وتحذر من ذهاب الملك منهم وترى ضرورة البطش بالامام ومقابلته ليسلم لهم الملك والسلطان ، أما الطائفة الأولى فيمثلها الوليد بن عتبة ، وأما الثانية فيمثلها عمرو بن سعيد الأشدق ، وقد كتب كل منها رسالة لابن زياد تمثل رأيه واتجاهه .

١ - رسالة الوليد بن عتبة

وليس في بني أمية مثل الوليد بن عتبة في اصالة رأيه وعمق تفكيره فقد فرغ حينما علم بمغادرة الامام للحجاز وتوجهه إلى الكوفة ، وهو يعلم بغرور يزيد وطيش ابن زياد ، فرفع رسالة الى ابن زياد يحذره فيها من أن ينال الامام بمكروه فان ذلك يعود بالاضرار البالغة على بني أمية ، وهذا نص رسالته :

« من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله بن زياد ، أما بعد : فان الحسين ابن علي قد توجه نحو العراق ، وهو ابن فاطمة ، وفاطمة بنت رسول الله (ص) فأحذر يا ابن زياد من أن تبعث إليه رسولا فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخصاص والعام والسلام . . . » .
ولم يعن به ابن زياد ، وانما مضى سادراً في غيه وطيشه مطبقاً لما عهدت إليه حكومة دمشق (١) .

(١) الفتوح ٥ / ١٢١ - ١٢٢

اشتباہ ابن کثیر :

واشتبه ابن کثیر فزعم أن مروان كتب لابن زياد ينصحه بعدم التعرض للحسين ، ويجذره مغبة الأمر ، ورسالته التي بعثها إليه تضارع رسالة الوليد السابقة مع بعض الزيادة عليها وهذا نصها :

« أما بعد : فإن الحسين بن علي قد توجه إليك ، وهو الحسين ابن فاطمة . وفاطمة بنت رسول الله (ص) وثا لله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين ، فإياك أن تهيج على نفسك مالا يسده شيء ، ولا تنسأ العامة ، ولا تدع ذكره آخر الدهر والسلام » (١) .

ان من المقطوع به ان هذه الرسالة ليست من مروان فإنه لم يفكر بأي خير يعود للأمة ، ولم يفعل في حياته أي مصالحة للمسلمين ، يضاف إلى ذلك مواقفه العدائية للعترة الطاهرة وبالأخص للامام الحسين فهو الذي أشار على حاكم المدينة بقتله ، وحينما بلغه مقتل الامام أظهر الفرح والسرور فكيف يوصي ابن زياد برعايته والحفاظ عليه ؟

٢ - رسالة الأشدق

وأرسل إلى ابن زياد عمرو بن سعيد الأشدق رسالة يأمره فيها بأن يتخذ مع الامام جميع الاجراءات الصارمة ، وقد جاء فيها :

« أما بعد : فقد توجه إليك الحسين ، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسرق كما تسرق العبيد » (٢) .

(١) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٦٥

(٢) تاريخ ابن عساکر ١٣ / ٧١

مصادرة أموال ليزيد :

ولم يبعد الامام كثيراً عن مكة حتى اجتازت عليه وهو في
 و التنعيم ، (١) قافلة من العير تحمل ورساً (٢) وحللاً كثيرة أرسلها
 والي اليمن . بجير بن يسار إلى الطاغية يزيد فأمر الامام بمصادرتها ، وقال
 لأصحاب الابل من أحب منكم أن ينصرف معنا إلى العراق أوفينا كراهه
 واحسنا صحبته ، ومن أحب المفارقة أعطينا من الكراء على ما قطع من
 الأرض ، ففارقه بعضهم بعد أن استوفى كراهه ، ومضى في صحبته من
 أحب منهم (٣) وقد انقذ الامام هذه الأموال من أن تنفق على موائد
 الخمر ، وتدعيم الظلم ، والاسائة إلى الناس ، وقد تقدم أن الامام قام
 بنفس هذه العملية أيام معاوية ، وقد ذهب آية الله المغفور له السيد مهدي
 آل بحر العلوم إلى عدم صحة ذلك ، فان مقام الامام أسمى وأرفع من
 الاقدام على مثل هذه الأمور (٤) والذي نراه أنه لا مانع من ذلك اطلاقاً
 فان الامام كان يرى الحكم القائم في أيام معاوية ويزهد غير شرعي ، ويرى
 أن أموال المسلمين تنفق على فساد الأخلاق ونشر العيب والمجون فكان من
 الضروري انقاذها لتنفق على الفقراء والمحتاجين وأي مانع شرعي أو اجتماعي
 من ذلك ؟

(١) التنعيم : موضع بمكة في الحل يقع بين مكة وسرف على فرسخين
 من مكة ، وقيل اربعة ، سمي بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم ،
 وآخر عن شماله يقال له ناعم ، جاء ذلك في معجم البلدان ٤٩ / ٢ .

(٢) الورس : نوع من الثياب الحمر

(٣) تأريخ الطبري ٦ / ٢١٨ ، البداية والنهاية ٨ / ١٦٦

(٤) رجال بحر العلوم ٤ / ٤٨

مع الفرزدق :

ولما انتهى موكب الامام إلى موضع يسمى با « لصفاح » (١) التقى الشاعر الكبير الفرزدق همام بن غالب بالامام ، فسلم عليه وحياه ، وقال له :

« بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله (ص) ما اعجلك عن الحج »

« لو لم اعجل لأخذت » (٢)

وبادره الامام قائلاً :

- من أين أقبلت يا أبا فراس (٣) ؟

- من الكوفة

- بين لي خبير الناس

- على الخبير سقطت ، قلبت الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية

(١) الصفاح : موضع بين حنين وانصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش ، وقد نظم الفرزدق التقاءه بالامام في هذا المكان بقوله :

لقيت الحسين بأرض الصفاح عليه اليلامق والدرق

جاء ذلك في معجم البلدان ٣ / ٤١٢ ، وفي تذكرة الحفاظ للذهبي

ان ملاقة الامام مع الفرزدق كانت بدأت عرق ، وفي مقتل الخوارزمي

ان الملاقة كانت في (الشقوق) وفي اللهوف (ص ٤١) انها في « زبالة »

والصحيح انها كانت في الصفاح لنظم الفرزدق ذلك .

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٦٧

(٣) فراس : بكسر الفاء وتخفيف الراء

والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء . . . وربنا كل يوم هو في شأن (١) .

واستصوب الامام حديث الفرزدق فقال له :

« صدقت لله الأمر من قبل ومن بعد » يفعل الله ما يشاء ، وكل يوم ربنا في شأن ، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه . وهو المستعان على اداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعد من كان الحق نيته والتقوى سريره : « (٢)

وانشأ الامام يقول :

لئن كانت الدنيا تعد نفيسة	فئدار ثواب الله أعلى وأبلبل
وان كانت الأبدان للموت أنشئت	فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وان كانت الأرزاق شيئاً مقدرأ	فقلة سعي المرء في الرزق أجمل
وان كانت الأموال للترك جمعها	فما بال متروك به المرء يبخل (٣)

وسأله الفرزدق عن بعض المسائل الشرعية فاجابه عنها ، ثم سلم عليه وانصرف عنه . . . ويعطينا هذا الالتقاء صورة عن خنوع الناس ، وعدم اندفاعهم لنصرة الحق ، فالفرزدق الذي كان يملك وعياً اجتماعياً ووعياً ثقافياً مع علمه بأن الامام سيقتل لم يندفع إلى نصرته والالتحاق بموكبه ليذب عنه ، فاذا كان هذا حال الفرزدق ، فكيف بغيره من سواد الناس وجهالهم .

(١) وسيلة المآل (ص ١٨٨)

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٦٦ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢١٨ ، تاريخ

ابن الأثير ٣ / ٢٧٦ ، الصواعق المحرقة (ص ١١٨) .

(٣) وسيلة المآل (ص ١٨٨) الصراط السوي في مناقب آل النبي

(ص ٨٦) .

وعلى أي حال فقد واصل الامام مسيرته بعزم وثبات ، ولم يشنه عن نيته قول الفرزدق في تخاذل الناس عنه ، وتجاوبهم مع بني أمية ، ولو كان الامام يروم الملك لصدده قول الفرزدق عن التوجه الى العراق ،

كتاب الحسين لأهل الكوفة :

ولما وافى الامام الحسين الحاجر من بطن ذي الرمة ، وهو أحد منازل الحج من طريق البادية كتب كتاباً لشيعته من اهل الكوفة يعلمهم بالقدوم اليهم ، وقد جاء فيه بعد البسملة :

و من الحسين بن علي إلى أخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فان كتاب مسلم ابن عقيل جائي يخبرني بحسن رأيكم واجتماع ملتكم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فنسأل الله ان يحسن لنا الصنيع ، وان يثيبكم على ذلك أعظم الأجر وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية ، فاذا قدم عليكم رسولي فاكنتموا أمركم ، وجدوا فاني قادم عليكم من أيامي هذه إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، (١) .

ودفع الكتاب بيد البطل القد قيس بن مسهر الصيدواوي فأخذ يجد في السير لا يلوي على شيء حتى انتهى الى القادسية فاستولت عليه مفرزة من الشرطة اقيمت هناك تفتش كل من يدخل للعراق ويخرج منه تفتيشاً دقيقاً ، وأسرع قيس إلى الكتاب فخرقه لثلاث تطلعم الشرطة على ما فيه

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٦٨ ، وفي الفتوح ٥ / ١٤٣ صورة أخرى مطولة للكتاب ، وفي أنساب الأشراف ق ١ ج ١ صورة أخرى لهذا الكتاب :

وارسلته الشرطة مخفوراً ومعه القطع المخرقة من الكتاب إلى الطاغية ابن زياد فلما مثل عنده قال له :

- من أنت ؟

- رجل من شيعة امير المؤمنين الحسين بن علي

- لمَ خرقت الكتاب الذي كان معك ؟

- خوفاً من أن تعلم ما فيه

- ممن الكتاب وإلى من ؟

- من الحسين إلى جماعة من اهل الكوفة لا اعرف أسماءهم

وغضب الطاغية وفقد اياه وصاح به

« والله لا تفارقني أبداً ، او تدلني على هؤلاء القوم الذين كتب

إليهم هذا الكتاب ، أو تصعد المنبر فتسب الحسين واهله واخاه ، فتنجس

من يدي او لأقطعنك » .

فقال له قيس :

« أما هؤلاء القوم فلا اعرفهم ، وأما اللعن فافعل » .

وظن ابن زياد أنه من قبيل أوغاد اهل الكوفة الذين تغريهم المادة

ويرهبهم الموت وما عرف أنه من افذاذ الأحرار الذين يصنعون تاريخ

الأمم والشعوب ، وترتفع بهم كلمة الحق والعدل في الأرض . . وأمر

ابن مرجانة بجمع الناس في المسجد الأعظم ليريهم من لعن قيس لأهل البيت

- كما توهم - أمثلة لنكث العهد حتى يحملهم عليها ويجعلها من أخلاقهم

وذاتياتهم .

وانبرى البطل العظيم وهو هازيء من الموت وساخر من الحياة

ليؤدي رسالة الله بأمانة واخلاص ، فاعتلى منصة المنبر فحمد الله وأثنى عليه

وصلى على الرسول الأعظم (ص) وأكثر من الترحم على علي وولده (١)
ثم لعن عبيد الله ولعن أباه وعتاة بني أمية عن آخرهم ، ورفع صوته
المأدر الذي هو صوت الحق والأسلام قائلاً :

« أيها الناس . . . ان الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة
بنت رسول الله (ص) أنا رسوله إليكم ، وقد فارقتك بالحاجر
فأجيبوه . . . » (٢) .

واسرعت الجلاوزة الى ابن زياد فأخبرته بشأنه فتميز غيضاً ، وأمر
أن يصعد به من اعلى القصر فيرمى منه وهو حي ، وأمسكته الشرطة
والقت به من اعلى القصر فتنقطعت أوصاله وتهشمت عظامه ، ومات ميتة
الأبطال في سبيل مبدئه وعقيدته . . . ولما بلغ مقتله الحسين بلغ به الحزن
اقصاه ، واستعبر باكياً واندفح يقول :

« اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً عندك ، واجمع بيننا وإياهم
في مستقر رحمتك انك على كل شيء قدير ، » (٣) .

مع أبي هرة :

ولما انتهى الامام الى ذات عرق خف إليه ابو هرة فقال له : يا ابن
رسول الله ما الذي اخرجك عن حرم الله ، وحرم جدك رسول الله (ص)
وتأثر الامام ، فقال له :

(١) الفتوح ٥ / ١٤٦ - ١٤٧

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٧

(٣) الفتوح ٥ / ١٤٧

« ويحك يا ابا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت وايم الله لتقتلني الفئة الباغية ، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً ، وسيماً قاطعاً ، وليسلطن عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم حتى أذلتهم ، (١) .

وانصرف الامام ، وهو ملئناح حزين من هؤلاء الناس الذين لا يملكون وعياً لنصرة الحق قد آثروا العافية وكرهوا الجهاد في سبيل الله .

مع بعض مشايخ العرب :

ولما انتهت قافلة الامام إلى (بطن العقبة) بادر إليه بعض مشايخ العرب المقيمين هناك فقال له :

« أنشدك الله إلا ما انصرفت ، ما تقدم إلا على الأسنة وحاد السيوف وان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ، ووطؤوا لك الأمور فقدمت على غير حرب كان ذلك رأياً واما على هذا الحال الذي ترى فلا أرى لك ذلك » .

فقال (ع) : « لا يخفى علي شيء مما ذكرت ، ولكنني صابر ومحتسب إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً » (٢) .

(١) الدرر السلوك ١ / ١١٠

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٦٧)

فزع السيدة زينب :

وسارت قافلة الامام حتى انتهت إلى (الخزيمية) وهي إحدى منازل الحج فأقام فيها الامام يوماً وليلة ليستريح من جهد الطريق وعناء السفر ، وقد خفت إليه اخته الحوراء عقيلة بنى هاشم ، وهي تجر ذيلها وقلبها الزاكي يتقطع من الأسى والحزن ، وهي تقول له بنبرات مشفوعة بالبكاء لاني سمعت هاتفاً يقول :

ألا يا عين فاحتفلي بجهد فمّن يبكي على الشهداء بعدي

على قوم تسوقهم المنايا بمقدار الى انجاز وعدي

فقال لها أبي الضميم :

« يا اختاه كل الذي قضى فهو كائن » (١) .

لقد أراد من شقيقته أن تخلص إلى الصبر ، وأن تقابل الخطوب والرزايا برهابة جأش وعزم حتى تقوى على اداء رسالته .

مع زهير بن القين :

وانتهت قافلة الامام إلى « زرود » فأقام الامام فيها بعض الوقت وقد نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي ، وكان عمالي الهوى ، وقد حج بيت الله في تلك السنة ، وكان يساير الامام في طريقه ، ولا يحب أن ينزل معه مخافة الاجتماع به إلا انه اضطر إلى النزول قريباً منه ، فبعث

(١) المناقب لابن شهر اشوب ٥ / ١٢٧ من مصورات مكتبة الامام

امير المؤمنين ، الفتوح ٥ / ١٢٢ .

إليه رسولا يدعوهُ إليه ، وكان زهير مع جماعته يتناولون طعاماً صنع لهم فابلغهُ الرسول مقالة الحسين فدعر القوم وطرحوا ماني أيديهم من طعام كأن على رؤوسهم الطير ، وانكرت زوجة زهير عليه ذلك وقالت له :

« سبحان الله ! ! أبيعك إني بنت رسول الله ثم لا تأتيه لو أتيته فسمعت كلامه ! ! » وانطلق زهير على كره منه الى الامام فلم يلبث أن عاد مسرعاً وقد تهلل وجهه وامتلأ غبطة وسروراً ثم أمر بفسطاطه وما كان عنده من ثقل ومتاع فحواله إلى الامام الحسين (ع) وقال لزوجته : « أنت طالق » .

ماذا أسر إليه ربحانة رسول الله حتى جعله يتغير هذا التغيير ؟ هل وعده بمال أو مغنم ، ولو وعده بذلك لما طلق زوجته ، ولا ودع أصحابه الوداع الأخير . . . لقد بشره بالشهادة والفوز بالجنة ، وذكره بحديث طالبت عليه الأيام فنسأه . . . وقد حدث به أصحابه قائلاً :

« سأحدثكم حديثاً غزونا (بلنجر) ففتح الله علينا ، وأصبنا غنائم ففرحنا ، وكان معنا سلمان الفارسي ، فقال لنا : أفرحتم بما فتح الله عليكم واصبتم من الغنائم ؟ فقلنا نعم ؛ فقال إذا أدركتم سيد شباب آل محمد (ص) فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم » (١) .

وروى ابراهيم بن سعيد وكان قسداً صحب زهيراً حينما مضى إلى الامام انه (ع) قال له : انه يقتل في كربلاء ، وان رأسه الشريف يحمله زجر بن قيس إلى يزيد يرجو زواله فلا يعطيه شيئاً (٢) .

(١) الارشاد (ص ٢٤٦) تأريخ ابن الأثير ٣ / ١٧٧ ، أنساب

الأشراف ق ١ ج ١ ، الدر النظيم (ص ١٦٧) :

(٢) دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبري .

لقد ساعد التوفيق زهيراً فالتحق بموكب العترة الطاهرة ، وصار من اصلب المدافعين عنها ، ومن ألمع أصحاب الامام ، ففداه بروحه واستشهد في سبيل قضيته العادلة .

النبأ المفجع بمقتل مسلم :

أما النبأ المفجع بمقتل مسلم فقد حمله الى الامام عبد الله بن سليمان والمندر بن المشمعل الأسديان (١) ، وكانا - فيما يقول المؤرخون - قد انتهيا من اداء مناسك الحج ، وكانت لهما رغبة ملحة في الانصال بالامام والتعرف على شؤونه فأخذوا يجذبان في السير حتى التحقا به في زرود ، وبينما هما معه وإذا برجل قد أقبل من جهة الكوفة فلما رأى الحسين عدك عن الطريق ، وقد وقف الحسين يريد مسألته فلما رآه قد مال عنه سار في طريقه ، ولما عرف الأسديان رغبة الامام في سؤاله تبعاه حتى أدركاه فسلما عليه وسألاه عن امرته فأخبرهما أنه أسدي فالتسبا له ثم سألاه عن خبر الكوفة ، فقال لهما : انه لم يخرج منها حتى قتل مسلم بن عقيل وهانىء ابن عروة ، وآهما يجران بأرجلها في الأسواق ، وودعاه ، واقبلا مسرعين حتى لحقا بالامام ، فلما نزل الامام بالثعلبية (٢) قال له :

رحمك الله ان عندنا خبراً ان شئت حدثناك علانية ، وان شئت سرا . . . :

(١) وقيل الذي حمل النبأ إلى الامام هو ابن يزيد التميمي كما في الصواعق (ص ١١٨) وقيل بكر بن المعتقة كما في أنساب الأشراف ق ١ ج ١ .

(٢) الثعلبية : من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية ، وهي ثلثا الطريق معجم البلدان ٢ / ٧٨ .

وتأمل في أصحابه فقال (ع) :

« ما دون هؤلاء سر »

« رأيت الراكب الذي استقبلته عشاء امس ؟ »

« نعم و اردت مسألته »

« والله استبرأنا لك خبره ، وكلفيناك مسألته ، وهو امرؤ منا ذورأي

و صدق وعقل ، وانه حدثنا انه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهانئ.

ورآهما يجران في السوق بارجلهما . » (١) :

وكان النبا المؤلم كالصاعقة على العاوين فالفجروا بالبكاء على فقيدهم

العظيم حتى ارتج الموضوع بالبكاء وسالت الدموع كل مسيل (٢) واستبان

للإمام غدر أهل الكوفة ، و ايقن انه مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه

سيلاقون نفس المهير الذي لاقاه مسلم ، وانبرى إلى الامام بعض أصحابه

فقال له : « ننشذك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة

ناصر ولا شيعة بل نتخوف ان يكونوا عليك »

والتفت الامام الى بني عقيل فقال لهم :

« ما ترون فقد قتل مسلم ؟ »

ووثبت الفتية وهي تعلن استهانتها بالموت قائلين :

« لا والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا او نذوق ماذاق مسلم »

وراح الامام يقول بمقاتلتهم :

« لا خير في العيش بعد هؤلاء » (٣)

(١) الارشاد (ص ٢٤٧)

(٢) الدر السلوك ١ / ١١١

(٣) الارشاد (ص ٢٤٧)

وقال (ع) متمثلاً :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نرى حقاً وجاهد مسلماً
فإن مت لم أندم وإن عشت لم ألم كفى بك عاراً إن تذل وترغماً (١)
لقد مضى الامام قدماً ، وهو مرفوع الجبين وقد ايقن انه يسير إلى
الفتح الذي ليس مثله فتح ، لقد مضى ليؤدي رسالة الله بأمانة واخلاص
كما اداها جده الرسول (ص) من قبل .

وصول النبا بمصرع عبد الله :

ولما انتهت قافلة الامام الى « زبالة » وافاه النبا الفطيع بقتل رسوله
عبد الله بن يقطر ، وكان الامام قد اوفده للقيام بمسلم بن عقيل فالتقت
عليه الشرطة القبض في القادسية ، وبعثته مخفوراً الى ابن مرجانة فلما
مثل عنده صاح به الخبيث :

« اصعد المنبر ، والعن الكذاب ابن الكذاب ، ثم انزل حتى أرى
رأبي فيك . . . » :

وظن ابن مرجانة انه يفعل ذلك ، وما درى انه من أفذاذ الأحرار
الذين ترتفع بهم كلمة الله في الأرض واعتلى البطل العظيم المنبر ، ورفع
صوته الهادر قائلاً :

« أيها الناس أنا رسول الحسين بن فاطمة ، لتنصروه وتؤازروه على
ابن مرجانة الدعي ابن الدعي لعنه الله » (٢) .

(١) الدر النظيم (ص ١٦٧)

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

وأخذ يلعن ابن زياد ، ويذكر مساويء بني أمية ، ويدعو الى نصره ربحانة الرسول (ص) فاستشاط ابن زياد غضباً ، وأمر أن يلقي من فوق القصر كما فعل بهقيس بن مصهر الصيداوي ، فرمته الشرطة من أعلى القصر فتكسرت عظامه ، وبقي به رمق من الحياة فامرغ إليه الوغد الخبيث عبد الملك اللخمي فلبحه ليقرب إلى سيده ابن مرجانة ، وقد عاب الناس عليه ذلك فاعتذر لهم أنه أراد ان يريجه .

ولما انتهى خبره إلى الامام (ع) شق عليه ذلك ، ويشس من الحياة وأمر بجمع أصحابه ، والذين اتبعوه طلباً للعافية لا للحق فقال لهم : « أما بعد : فقد خذلنا شيعتنا ، فمن أحب منكم الانصراف فليصرف ليس عليه منا ذمام . »

وتفرق عنه ذباب المجتمع من ارباب المطامع الذين تبعوه لأجل الغنيمة ، وخلص اليه الصفوة من اصحابه الذين جاؤوا معه من مكة (١) ولو كان الحسين يروم الملك والسلطان لما صارع الذين اتبعوه بالأوضاع

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٨ ، انساب الاشراف ق ١ ج ١ وسيلة المآل (ص ١٨٩) تاريخ أبي الفداء ١ / ٣٠١ تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٥ ، وجاء في روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان (ص ٦٧) ان الامام لما اذن للناس بالتفرق عنه ، تفرقوا عنه ، ولم يبق معه إلا اثنان واربعون رجلاً من اهل بيته ، وجاء في تاريخ الطبري ان الذين صحبوا الامام من المدينة تفرقوا عنه حينما اعلن لهم مقتل عبد الله ابن يقطر ، وفيما نحسب أن هذا اشتباه من الطبري فان الامام لم يمر بالمدينة في حال مجيئه إلى مكة اللهم إلا الذين تبعوه من المدينة وساروا معه إلى مكة او في أثناء الطريق إليها .

الرامنة التي تحيط به ، فقد اعلمهم أن من يلتحق به لا ينال منصباً أو مالا وانما يقسدم إلى ساحات الجهاد فيفوز بالشهادة ولو كان من عشاق الملك لما ادلى بذلك في تلك الساعات الحرجة الذي هو في أمس الحاجة إلى الناصر والصديق الذي يذب عنه .

لقد نصيح الامام أصحابه واهل بيته مراراً في التخلي عنه ، وما ذلك إلا ليحاربوا على بصيرة وبينة من امرهم . . . وفعلا فقد تبعه خيرة الرجال واصلبهم في الدفاع عن الحق ، تبعوه ونفوسهم مليئة بالايمان بالله ، والاخلاص إلى الجهاد في سبيله :

رؤيا الامام الحسين :

وخفق الامام الحسين وقت الظهيرة فرأى رؤياً افزعته ، فانتهبه مذهولاً فاقبل عليه ولده البار علي الأكبر فقال له :

- مالي أراك فزعاً ؟

- رأيت رؤيا اهلتنني

- خيراً رأيت ؟

وفاجأه ابوه بالرؤيا المفجعة قائلاً :

« رأيت فارساً وقف علي ، وهو يقول : انتم تسرعون ، والمنايا

تسرع بكم إلى الجنة ، فعلمت ان انفسنا قد نعيمت إلينا » (١) .

واسرع الولد البار قائلاً :

« السنا على الحق ؟ »

« بلى والذي إليه مرجع امر العباد »

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٦

وظفق فخر هاشم يلقي على الأجيال اروع صور الايمان والتضحية
في سبيل الله قائلًا لأبيه :
« يا أبة لا نبالي بالموت . »
ووجد الحسين في ولده خير عون له على اداء رسالته الكبرى ،
فشكره على ذلك قائلًا :
« جزاك الله يا بني خير ما جزى به ولد عن والده . . » (١)

الالتقاء بالحر :

وانتهى موكب الامام الى شراف ، وفيها عين للماء فأمر الامام
فتيانه ان يستقوا من الماء ، ويكثروا منه ، ففعلوا ذلك ، ثم سارت القافلة
تطوي البيداء ، وبادر بعض أصحاب الامام فكبر ، فاستغرب الامام
وقال له :

— لمَ كبرت ؟

— رأيت النخل

وانكر عليه رجل من أصحاب الامام ممن خبر الطريق وعرفه
فقال له :

« ليس هاهنا نخل ، ولكنها أسنة الرماح وآذان الخيل . »

وتأملها الامام فطفق يقول : وأنا أرى ذلك ، وعرف الامام انها
طلائع جيش العدو جاءت لمناقضته ، فقال لأصحابه :

(١) مقاتل الطالبين (ص ١١١) الدر المنلوک (ص ١٠٩)

الفتوح ٥ / ١٢٣ .

و أما لنا ملجأً نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم من وجه واحد ؟ ، .

وكان بعض أصحابه ممن يعرف سنن الطريق فقال له :
 « بلى هذا ذو حسم (١) إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت إليه فهو كما تريد » :

ومال موكب الامام اليه الا انه لم يبعد كثيراً حتى أدركه جيش مكثف بقيادة الحر بن يزيد الرياحي كان ابن زياد قد عهد إليه ان يجوب في صحراء الجزيرة للفتيش عن الامام ، والقاء القبض عليه وكان عدد الجيش زهاء الف فارس ، ووقفوا قبال الامام في وقت الظهيرة ، وكان الوقت شديد الحر ، وآهم الامام وقد أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ فرق عليهم ، وخفض نظره من أنهم جاؤوا لقتاله وسلك دمه ، فأمر أصحابه أن يسقوهم ، ويرشفوا خيولهم ، وقام أصحاب الامام فسقوا الجيش ثم انعطفوا إلى الخيل فجعلوا يملأون القصاص والطساس فاذا أُعب فيها ثلاثاً او اربعاً أو خمساً عزلت وسقي الآخر حتى سقوا الخيل عن آخرها (٢) لقد كان الامام على استعداد كامل في سفره ، فقد كانت الأواني وحدها تسع لسقاية الف فارس مع خيولهم ، فضلاً عن سائر الأثاث والأمتعة الأخرى .

وعلى أي حال فقد تكرم الامام بانقاذ هذا الجيش الذي جاء لحربه ويقول المؤرخون انه كان من بين هذا الجيش علي بن الطعان المحاربي ، وقد تحدث عن سجادة طبع الامام وعظيم اخلاقه ، يقول : كنت ممن أضر بي للعطش ، فأمرني الحسين بأن انخ الراوية فلم افقه كلامه لأن الراوية

(١) ذو حسم ا بضم الحاء وفتح السين جبل هناك

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٦ ، خطط المقرئزي ٢ / ٢٨٦ .

بلغت الحجاز هي الجمل ، ولما عرف أني لم افهم كلامه قال لي (انخ
 الجمل) فأنخته ولما أردت ان اشرب جعل الماء يسيل من السماء ، فقال لي
 اخنث السماء ، فلم ادر ما اصنع فقام أبي الضمير فخنث السماء حتى ارتويت
 أنا وفروسي .

ولم تهز هذه الأريحية ولا هذا النبل نفس هذا الجيش ، وما تأثر
 أحد منهم بهذا الخلق الرفيع إلا الحور فقد تأثر ضميره باليقظ الحساس
 بهذا المعروف والاحسان ، فاندفع بوحى من ضميره حتى التحق بالامام
 واستشهد بين يديه .

خطاب الامام :

واستقبل الامام قطعات ذلك الجيش فخطب فيهم خطاباً بليغاً أوضح
 لهم فيه انه لم يأتهم محارباً ، وانما قدمت عليه رسالهم وكتبهم تحته بالقدوم
 إليهم ، فاستجاب لهم ، وقد قال بعد حمد الله والثناء عليه :
 « أيها الناس انها معدرة الى الله عز وجل وإليكم . . اني لم آتكم
 حتى أئنني كتبكم ، وقدمت بها علي رسالكم ان اقدم علينا فانه ليس لنا
 امام ، ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى ، فان كنتم على ذلك فقد
 جئتكم ، فاعطوني ما اطمنن به من عهودكم وموائيقكم ، وان كنتم لمقدمي
 كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه إليكم » .
 واحجموا عن الجواب لأن اكثرهم كانوا ممن كاتبوه بالقدوم إليهم
 وبإيعوه على يد سفيره مسلم بن عقيل . . وحضر وقت الصلاة فأمر الامام
 مؤذنه الحجاج بن مسروق ان يؤذن ويقيم لصلاة الظهر ، وبعد فراغه
 قال الامام للحر :

- أتريد أن نصلي باصحابك ؟

- بل نصلي بصلاتك

وأتوا بالامام في صلاة الظهر ، وبعد الفراغ منها انصرفوا إلى اخبيتهم
ولما حضر وقت صلاة العصر جاء الحر مع قومه فاقتدوا بالامام في صلاة العصر

خطبة الامام :

وبعد ما فرغ الامام من صلاة العصر انبرى بعزم وثيق فخطب في
ذلك الجيش خطاباً رائعاً ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه :
« أيها الناس ، إنكم إن تنقوا الله ، وتعرفوا الحق لأهله يكن
أرضى الله ، ونحن اهل البيت اولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين
ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان ، فان انتم كرهتمونا
وجهلتم حقنا وكان رأيكم الآن على غير ما اتفني به كتبكم انصرفت عنكم » .
ودعاهم بهذا الخطاب الى طاعة الله ، والتمسك بدعاة الحق وائمة
الهدى من اهل البيت (ع) فهم اولى بهذا الأمر من بني امية الذين اشاعوا
فيهم الجور والظلم ، وعرض لهم انه ينصرف عنهم اذا تبدل رأيهم ،
ونقضوا بيعتهم . . . وانبرى إليه الحر وهو لا يعلم بشأن الكتب ، فقد
كان - فيما يبدو - في تلك الفترة بمعزل عن الحركات السياسية في
الكوفة ، فقال له :

« ما هذه الكتب التي تذكرها ؟ »

فأمر الامام عقبة بن سمان باحضاها ، فانخرج خرجين مملووين
صحفا نثرها بين يدي الحر ، فبهر الحر ، وأملها وقال :
« لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك »

المشادة بين الحسين والحر :

ووقعت مشادة عنيفة بين الامام والحر ، فقد قال الحر للامام :
قد أمرت أن لا افارقك اذا لقيتك حتى اقدمك الكوفة على ابن زياد .
ولذعت الامام هذه الكلمات القاسية فثار في وجه الحر وصاح به :
« الموت ادنى إليك من ذلك »

لقد ترفع ابي الضميم من مبايعة يزيد ، فكيف يخضع لابن مرجانة الدهي
ابن الدهي ؟ وكيف يتنقاد اسيراً إليه ؟ فالموت ادنى للحر من الوصول
الى هذه الغاية الرخيصة . . و امر الحسين اصحابه بالركوب ، فلما استووا
على رواحلهم امرهم بالتوجه الى يثرب ، فحال بينهم وبين ذلك ، فاندفع
الحسين فصاح به .

« تكلمتك امك ما تريد منا ؟ »

واطرق الحر برأسه الى الأرض ، وتأمل ثم رفع رأسه فخاطب الامام
هأدب فقال له :

« أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي : ما تركت ذكر أمه
بالكلم كأناً من كان ، ولكني والله مالي الى ذكركم من سبيل إلا احسن
ما يقدر عليه . . »

وسكن غضب الامام فقال له :

– ما تريد منا ؟

– أريد ان انطلق بك الى ابن زياد

– وثار الامام فصاح به :

– والله لا اتبعك

– اذن والله لا ادعك

وكاد الوضع أن ينفجر بانفلاق نار الحرب إلا ان الحر ثاب إلى الهدوء فقال للامام :

« اني لم أومر بمقتالك ، وانما امرت أن لا افارقك حتى أقدمك الكوفة ، فاذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة ، حتى اكتب الى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه للعافية من أن ابتلي من امرك ، .

وانفاقاً على هذا ، فتياسر الامام عن طريق العذيب والقادسية (١) واخذت قافلته تطوى البيداء ، وكان الحر يتابعه عن كثب ، ويراقبه كأشد ما تكون المراقبة .

قول شاذ :

من الأقوال الشاذة التي لا مدرك لها ما ذكره البستاني ، وهذا نصه :

« لما قرب الحسين من الكوفة لقيه الحر بن يزيد الرياحي ، ومعه الف فارس من أصحاب ابن زياد ، وقال له : أرسلني عميد الله عيناً عليك ، وقال لي ان ظلمت به لا تفارقه أو تجيء به ، وأنا كاره أن يبتلني الله بشيء من أمرك فخذ غير هذا الطريق ، واذهب الى حيث شئت ، وأنا أقول : لابن زياد انك خالفتني في الطريق ، وانشدك الله في نفسك ، وفيمن معك ، فسلك الحسين (ع) طريقاً غير الجادة ، ورجع قاصداً الى الحجاز ، وسار هو واصحابه ليلتهم ، فلما أصبحوا لقوا الحر ، فقال له الحسين : ما جاء بك ؟ قال : سعي بي الى ابن زياد أني اطلقتك ، بعد

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٠

ما ظفرت بك ، فكتب إلي أن ادركك ، ولا افارقك حتى تأتي مع الجيوش . . . (١) .

وهذا القول من الاماطير فان التقاء الامام بالحر لم يكن قريباً من الكوفة ، وانما كان في أثناء الطريق على مرحلة قريبة من (شراف) ، ومضافاً إلى ذلك فان الحر لم يعرض على الامام أن يسير حيثما شاء ، وانما صدرت إليه الأوامر المشددة من ابن زياد أن يلقي عليه القبض ، ويأتي به إلى الكوفة حسبما ذكرناه ، وهو مما اجتمع عليه المؤرخون وأرباب المقاتل .

خطأ ابن عنبه :

من الأخطاء الفاحشة ما ذكره النسابة ابن عنبه من ان الحر أراد ارغام الامام على الدخول إلى الكوفة فامتنع ، وعسك نحو الشام قاصداً إلى يزيد بن معاوية ، فلما صار إلى كربلاء منعه عن المسير ، واصلوا إليه ثلاثين الفا عليهم عمر بن سعد ، وارادوا دخوله إلى الكوفة والنزول على حكم عبيد الله بن زياد فامتنع عليهم ، واختار المضي نحو يزيد فمنعه وناجزوه الحرب (٢) ولم يذهب لهذا القول أحد من المؤرخين ، فقد اجتمعوا على ان الامام بقي مصمماً على رفض البيعة ليزيد ، ولو انه أراد ان يبايع ليزيد لما فتحوا معه باب الحرب ، وما شهروا في وجهه السيوف .

(١) دائرة المعارف للبستاني ٧ / ٤٨

(٢) عمدة الطالب (ص ١٨١)

خطبة الامام :

ولما انتهى موكب الامام الى « البيضة » القى (ع) خطباً على الحر واصحابه ، وقد ادلى بدوافعه في الثورة على يزيد ، ودعا القوم الى نصرته وقد قال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أيها الناس إن رسول الله (ص) قال : « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ، ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » .

الا ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، واطهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالقيء ، واحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا احق بمن غيري ، وقد اتني كتبكم ، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم انكم لانسلموني ، ولا تخذلوني ، فان اقمتم علي بيعتكم تصيبوا رشدي وانا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) نفسي مع انفسكم واهلي مع اهليكم ، وانكم في اسوة ، وان لم تفعلوا ، ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتي ، فلعمرى ما هي لكم بنكر ، لقد فعلتموها بأبي واخي وابن عمي مسلم ، فالمغرور من اغتر بكم فحظكم اخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، وسيقتني الله عنكم والسلام .

وحل هذا الخطاب المشرق بكثير من النقاط المهمة ، وهي :

اولا - انه انما اعلن الثورة على حكومة يزيد استجابة للواجب الديني الذي كان يقضي عليه ، فان الاسلام لا يقر السلطان الجائر ، ويلزم بمناهضته ، ومن لم يستجب للجهاد يكون مشاركاً لما يقترفه من الجور والظلم .

ثانياً - انه زدد بالأمويين ، وشجب سياستهم القائمة على طاعة الشيطان ، ومعصية الرحمن ، واطهار الفساد ، وتعطيل حدود الله ، والاستئثار بالفيء ، وتحليل الحرام ، وتحريم الحلال .

ثالثاً - ان الامام احق وأولى من غيره بالقيام بتغيير الأوضاع الراهنة التي تنذر بالخطر على الاسلام ، فانه (ع) المسؤول الأول عن القيام باعباء هذه المهمة .

رابعاً - انه (ع) عرض لهم انه اذا تقلد شؤون الحكم ، فسيجعل نفسه مع انفسهم ، واهله مع اهلهم . من دون أن يكون له أي امتياز عليهم .

خامساً - انهم اذا تكثروا ببيعتهم ، ونقضوا عهودهم التي اعطوها له فانه ليس بغريب عليهم فقد غدروا من قبل بابيه واخيه وابن عمه ، وقد اخطؤا بذلك حظهم ، وحرموا نفوسهم السعادة .

لقد وضع الامام بهذا الخطاب النقاط على الحروف : وفتح لهم منافذ النور ، ودعاهم الى الاصلاح الشامل الذي ينعمون في ظلاله .

ولما سمع الحر خطابه اقبل عليه فقال له : « إني اذكرك الله في نفسك ، فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، وانبرى الامام قائلاً له :
« اباالموت تخوفني ، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ، وما ادري ما أقول : لك ؟ ! ! ولكنني اقول : كما قال اخو الأوس لأبن عمه وهو يريد نصرة رسول الله اين تذهب فانك مقتول ؟ فقال له :

سأمضي وما بالموت هار على الفتى اذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرمًا
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً (١)

(١) تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢٨١ ، والطبري

ولما سمع الحر ذلك تنحى عنه وعرف أنه مصمم على الموت ، وعازم على التضحية في سبيل غايته الهادفة إلى الإصلاح الشامل .

التحاق جماعة من الكوفة بالامام :

ولما انتهى الامام الى عذيب المهجانات وافاء أربعة أشخاص من أهل الكوفة جاؤا إلى نصرته ، وقد أقبلوا على رواحلهم يحنون فرسا لتافع ابن هلال ، ولم يخرج أحدا لاستقبال الحسين من أهل الكوفة سواهم وهم

١ - نافع بن هلال المرادي

٢ - عمرو بن خالد الصيداوي

٣ - سعد مولى عمرو بن خالد

٤ - مجمع بن عبد الله العابدي من مدحج

وأراد الحر منهم من الالتحاق بالحسين ، فصاح به الامام :

« إذا أمنهم بما أمنم فيه نفسي ، انما هؤلاء انصاري ، واعواني وقد جعلت لي أن لا تعرض بي حتى يأتيك كتاب ابن زياد » .

وكف الحر عنهم ، فالتحقوا بالامام فرحب بهم ، وسألهم عن أهل الكوفة فقالوا له :

« اما الأشراف فقد عظمت رشوتهم ، وملئت غرائرهم (١) ليستال ودعهم ، وتستنزف نصابيهم ، فهم عليك إلبا واحداً ، وما كتبوا إليك الا ليجعلوك سوفاً ومكسباً . . وأما سائر الناس فافتدتهم تهوي إليك ، وسيوفهم هدأ مشهورة عليك » (٢) .

(١) الغرائر جمع غرارة وهي الكيس من الشعر أو الصوف

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ص ٢٤١

وكشف هذا الحديث عن نقاط بالغة الأهمية وهي :

١ - ان السلطة قد اشترت ضمائر الوجوه والاشراف من اهل الكوفة بالأموال واغرتهم بالجاه والنفوذ فصاروا البأ واحداً مجتمعين ومتفقين على حرب الامام ، وقد مهر الامويون في هذه السياسة الماكرة فكانوا يستميلون الوجوه بكل الوسائل الممكنة . واما الرعاغ فيلهبون ظهورهم بالسياط .

٢ - ان اشراف اهل الكوفة انما كاتبوا الحسين بالقدوم إليهم لا ايماناً منهم بعدالة قضيته وباطل الأمويين وانما كتبوا إليه ليكون سوفاً ومكسباً للظفر باموال بني أمية ، فكانوا يعلنون لهم انكم ان لم تغدقوا علينا بالأموال فستكون من انصار الحسين ، فكانت كتبهم إليه وسيلة من وسائل الكسب .

٣ - ان سواد الناس كانت قلوبهم مع الحسين ، ولكنهم منقادون لزعمائهم من دون ان تكون لهم أية ارادة او اختيار على متابعة ما يؤمنون به ، فكانوا جنود السلطة واداتها الضاربة .
هذه بعض النقاط المهمة التي حفل بها كلام هؤلاء القوم ، وقد دلت على دراستهم الوثيقة لشؤون مجتمعهم .

مع الطرماح :

والتحق الطرماح بالامام في اثناء الطريق ، وقد صحبه بعض الوقت وقد أقبل الامام على اصحابه ، فقال لهم :
« هل فيكم احد يخبر الطريق على غير الجادة ؟ »
فانبرى إليه الطرماح بن عدي الطائي فقال له :

« أنا اخبر الطريق »

« سر بين أيدينا »

وسار الطرماح يتقدم موكب العترة الطاهرة ، وقد ساورته الهموم

فجعل يحدو بالاهل بصوت حزين وهو يرتجز :

يا ناقتي لا تدعري من زجري	وامضي بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر	آل رسول الله أهل الفخر
السادة البيض الوجوه الزهر	الطاعنين بالرماح السمر
الضاربين بالسيوف البتر	حتى تحلى بكريم النجر
بما جد الجدر حبيب الصدر	أنى به الله لخير أمر
عمره الله بقاء الدهر	يا مالك النفع معا والضمر
امدد حسينا سيدي بالنصر	على الطغاة من بقايا الكفر
على اللعينين سليلي صخر	يزيد لا زال حليف الخمر
والعود والصنج معا والزمر	وابن زياد العهر وابن العهر (١)

واسرعت الابل في سيرها على نعمات هذا الشعر الحزين ، وقد
فاضت عيون اصحاب الحسين وأهل بيته من الدموع ، وهم يؤمنون على
دعاء الطرماح للحسين بالنصر والتأييد ، وحلل الدكتور يوسف خليف هذا
الرجز بقوله : « والرجز هنا - ولعله اول شعر كوفي يظهر فيه الحديث
عن الحسين - يعتمد على البساطة في عرض الفكرة ، فهو لا يعدو أن يكون
صورة من تحية البدو وترحيبهم بضيف عزيز قادم إليهم ، وهم خارجون
لاستقباله . فالراجز يبحث ناقتة على السير السريع لتحل برحاب هذا الضيف

(١) مقاتل الطالبين (ص ١١٩) أنساب الأشراف ج ١ ق ١ ،
ص ٢٤٢ ، مروج الذهب ٢ / ٧٢ ، الفتوح .

الذي يضيف عليه صفات المدح المألوفة عند البدو ، ويخلع عليه ما يتمثله البدوي في الرجل من مُثُل وفضائل فهو عنده كريم الأصل ، ماجد حر واسع الصدر . . . لأن هذا الضيف ليس شخصاً عادياً ، وإنما هو حفيد رسول الله (ص) ومبعوث العناية الالهية إليهم لأمر هو خير الأمور ، ثم يختم هذه التحية البدوية بدعاء فطري ساذج ، ولكنه معبر عما يحمله له في نفسه من محبة صادقة وإخلاص أكيد فيدعو أن يبقيه الله بقاء الدهر « (١) وقال الطرماح للامام : « والله إنني لأنظر فما أرى معك أحداً ، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازمين لك مع الحر لكان ذلك بلاءً فكيف وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة بيوم ظهر الكوفة مملوءاً رجالاً فسألت عنهم فقيل ليوجهوا الى الحسين ، فناشدتك الله أن لا تقدم إليهم شراً الا فعلت » (٢) .

وإلى أي مكان يرجع الامام ؟ واين يذهب ؟ والأرض كلها تحت قبضة الأمويين ، فلم يكن له بد من الاستمرار في سفره إلى العراق ، وعرض له الطرماح أن يسير معه إلى جبل بني طي ، وتعهد له بعشرين الف طائي يقاتلون بين يديه ، ولم يستجب الامام لهذا الوعد الذي هو غير مضمون ، واستأذن الطرماح من الامام ان يمضي لأهله ليوصل إليهم الميرة ويعود إلى نصرته ، فأذن له وانصرف إلى أهله ، فمكث أياماً ثم قفل راجعاً إلى الامام فلما وصل إلى عذيب الهجانات بلغه مقتل الامام ، فأخذ يبكي على مافاتة من شرف الشهادة مع ريحانة رسول الله (ص) (٣) .

(١) حياة الشعر في الكوفة (ص ٣٧٣)

(٢) أنساب الاشراف ج ١ ق ١ ص ٢٤٢

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٣٣٠

مع عبيد الله بن الحر :

واجتازت قافلة الامام على قصر بني مقاتل (١) ، فنزل الامام فيه وكان بالقرب منه بيت مضروب ، وامامه رمح قد غرس في الأرض يدل على بسالة صاحبه وشجاعته ، وقبالة فرس ، فسأل الامام عن صاحب البيت ، فقبل له انه عبيد الله بن الحر ، فاوفد للقياه الحجاج بن مسروق الجمعي فخف إليه ، فبادره عبيد الله قائلاً :

- ما ورائك ؟

- قد أهدى الله إليك كرامة

- ماهي ؟

- هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته ، فان قاتلت بين يديه أجرت ، وان مِتَّ فقد استشهدت .

- ما خرجت من الكوفة الا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها - فلا أنصره لأنه ليس له فيها شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدنيا إلا من عصم الله ! !

وقفل الحجاج راجعاً فأدى مقاتله الى الامام ، ورأى (ع) أن يقيم عليه الحججة ويجعله على بيته من أمره فانطلق إليه مع الصفوة الطيبة من أهل بيته واصحابه ، واستقبله عبيد الله استقبالا كريماً ، واحتفى به احتفاءً بالغا ، وقد غمرته هيبة الامام ، فراح يتحدث عنها بعد ذلك يقول :

« ما رأيت قط أحسن من الحسين ، ولا املاً للعين ، ولا رقت على أحد قط رقتي عليه حين رأيت به بمشي والصبيان من حوله ، ونظرت

(١) ذكر الخوارزمي في مقتله ان ملاقة الامام بعبيد الله بن الحر

كانت بين الثعلبية وزرود .

إلى لحيته فرأيتها كأنها جناح غراب ، فقلت له : أسواد أم خضاب ؟
قال ! يابن الحر عجل علي الشيب فعرفت أنه خضاب ، (١) .
وتعاطى الامام معه الشؤون السياسية العامة ، والأوضاع الراهنة ،
ثم دعاه الى نصرته قال له :

« يا بن الحر ان اهل مصركم كتبوا إلي أنهم مجتمعون على نصرتي
وسألوني القسوم عليهم فقدمت ، وليس رأي القوم على ما زعموا فانهم
اعانوا على قتل ابن عمي مسلم وشيعته ، واجمعوا على ابن مرجانة عبيد الله
ابن زياد . . يابن الحر اعلم ان الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت من
الذنوب في الأيام الحالية ، وأنا أدعوك الى توبة تغسل بها ما عليك من
ذنوب . . ادعوك الى نصرتنا أهل البيت ، (٢) .

والقى ابن الحر معاذيره الواهية فحرم نفسه السعادة والفوز بنصرة
سبط الرسول ، قائلا :

« والله إني لأعلم أن من شايحك كان السعيد في الآخرة ، ولكن
ما عسى أن اغني عنك ، ولم اخلف لك بالكوفة ناصراً فانشدك الله أن
تحملني على هذه الحطة ، فان نفسي لا تسمع بالموت ، ولكن فرسي هذه
« المملحة » (٣) والله ما طلبت عليها شيئاً الا لحقته ، ولا طلبني أحد
وأنا عليها الا سبقته فهي لك ، (٤) .

وما قيمة فرسه عند الامام فرد عليه قائلا :

« ما جئناك لفرسك وسيفك ؟ انما أتيناك لنسألك النصره ، فان

(١) انساب الأشراف ٥ / ٢٩١ ، خزائن الأدب ١ / ٢٩٨

(٢) الفتوح ٥ / ١٣٠

(٣) وفي رواية « وهذه فرسي مملحة »

(٤) الأخبار الطوال (ص ٢٤٩) الدر المنظم (ص ١٦٨)

كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك ، ولم اكن
بالذي اتخذ المضلين عضداً (١) واني ازصحك إن استطعت أن لا نسمع
صراخنا ولا نشهد وقعنا فافعل ، فوالله لا يسمع واعيتنا احد ولا ينصرنا
الا اكبه الله في نار جهنم ، (٢) .

فاطرق ابن الحر برأسه الى الأرض وقال بصوت خافت حياءً
من الامام .

« أما هذا فلا يكون أبداً ان شاء الله تعالى ، (٣)
وما كان مثل ابن الحر وهو الذي اقترف الكثير من الجرائم ان
يوفق الى نصره الامام ويفوز بالشهادة بين يديه .

وقد ندم ابن الحر كاشد ما يكون الندم على ما فرط في امر نفسه
من ترك نصره ريحانة رسول الله (ص) واخذت تعاوده خلعجات حادة
من وخز الضمير ، ونظم ذوب حشاه بابيات سنذكرها عند البحث عن
الناديين عن نصره الحسين (ع) .

مع عمرو بن قيس :

والتقى الامام في قصر بني مقاتل بعمرو بن قيس المشرفي ، وكان
معه ابن عم له ، قسّم على الامام وقال له :
« يا ابا عبد الله هذا الذي ارى حضابا ؟

(١) الفتوح ٥ / ١٣٢

(٢) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٢٤)

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٢

قال (ع) : « خضاب ، والشيب إلينا بني هاشم أسرع واعجل ،
والثفت (ع) لهما فقال :
« جئتما لنصرتي ؟ »
« لا . انا كثيرو العيال ، وفي ايدينا بضائع للناس ، ولم ندر ماذا
يكون ؟ ونكره ان نضيع الامانة » .
ونصحها الامام فقال لهما :
« انطلقا فلا تسمعا لي واعيسة ، ولا تريا لي سواداً فانه من سمع
واعيتنا او رأى سوادنا فلم يجبننا او يثثنا كان حقاً على الله عز وجل أن
يكبه على منخوبه في النار ، (١) .
وارتحل الامام من قصر بني مقاتل ، واخذت قافلته تقطع الصحارى
الملتتهبة ، وتجتاز الهوارها في جهسد وعناء ، وتماني للمحها الضارب
كربخ السموم .

رسالة ابن زياد للحر :

وتابعت قافلة الامام سيرها في البيداء ، وهي لارة تتيامن واخرى
تتياسر ، وجنود الحر يذودون الركب عن البادية ، ويدفعونه تجاه الكوفة
والركب يمتنع عليهم (٢) ، وإذا براكب يجذ في سيره ويطوى الرمال
فلبثوا هنيئة ينتظرونه ، واذا هو رسول من ابن زياد الى الحر ، فسلم

(١) رجال الكشي (ص ٧٢)

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٢

الحبيث على الحر ، ولم يسلم على الحسين ، وقاويل الحر رسالة من ابن زياد جاء فيها :

« أما بعد : فجمع جمع بالحسين حين يبلغك كتابي ، ويقدم عليك رسولي ، فلا تنزله إلا بالعرء في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد امرت رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك أمري والسلام » (١) .
واستثنى ابن مرجانة ما عهد به إلى الحر من القاء القبض على الامام وارساله مخفوراً إلى الكوفة ، ولعله خاف من تطور الأحداث وانقلاب الأوضاع عليه ، فرأى التحجير عليه في الصحراء بعيداً عن المدن لئلا يتجاوب أهلها الى نصرته ليتم القضاء عليه بسهولة ، وتلا الحر الكتاب على الامام الحسين فاراد الامام أن يستألف سيره متجهاً صوب قرية أو ماء ، فمنعهم الحر ، وقال : لا استطيع ، فقد كانت نظرات الرقيب الوافد من ابن زياد اتابع الحر ، وكان يسجل كل هادرة يخالف بها الحر أوامر ابن زياد . . . وانبرى زهير بن القين فقال للامام :

« انه لا يكون بعد ما ترون إلا ما هو أشد منه . . يا بن رسول الله إن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم ، مما لا قبل لنا به » :

فقال الحسين : ما كنت لأهدأهم بقتال

وتابع زهير حديثه قائلاً :

« سر بنا إلى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة - وهي على

(١) انساب الأشراف ج ١ ق ١ ص ٢٤٠ ، المناقب لابن شهر آشوب

شاطيء الفرات - فان منعونا قاتلناهم ، فقتلهم أهون علينا من قتال من يجيء بعدهم » .

وسأل الامام عن اسم تلك الأرض ؟ فقالوا له : انها تسمى العقر ، فتشأم منها ، وراح يقول : اللهم اني اعوذ بك من العقر (١) ، وأصر الحر على الامام أن ينزل في ذلك المكان ولا يتجاوزه ، ولم يجد الامام بدأ من النزول في ذلك المكان والقي ببصره عليه ، والتفت الى أصحابه فقال لهم :

- ما اسم هذا المكان ؟

- كربلاء

ودمعت عيناه وراح يقول :

اللهم اني اهرذبك من الكرب والبلاء ، (٢) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٢ ، معجم البلدان ٤ / ٤٤٤ .
(٢) الفتوح ٥ / ١٤٩ ، وفي تذكرة الخواص (ص ٢٦٠) انه لما قيل للحسين هذه ارض كربلاء اخذ ترابها فشمها وقال : والله هي الأرض التي اخبر بها جبرئيل رسول الله (ص) اني اقتل فيها ، وجاء في حياة الحيوان للدميري ١ / ٦٠ ان الحسين سأل عن اسم المكان فقيل له كربلاء ، فقال : ذات كرب وبلاء لقد مر أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه فوقف وسأل عنه فأخبروه باسمه ، فقال : هاهنا محط رحالهم وهاهنا مهراق دمائهم فستل عن ذلك ؟ فقال : نفر من آل محمد ينزلون هاهنا ، ثم أمر بائقاله فحطت في ذلك المكان وكذلك جاء في مختصر صفوة الصفوة (٢٦٢) .

وظفق يحدث اصحابه وقد ايقن هنزول الرزه القاصم قائلًا :
 « هذا موضع كرب وبلاء ، هاهنا مناخ ركابنا ، ومحط رحالنا
 وسفك دمائنا . . . » .

وظافت به اللكريات ، وقد مثل امامه ذلك اليوم الذي تحدث
 فيه ابوه امير المؤمنين وهو في هذه البقعة ، وكان في طريقه الى صفين ،
 فقال : هاهنا محط رحالهم ، ومهراق دمائهم . . . فسئل عن ذلك فقال :
 نفر من آل محمد ينزلون هاهنا وذابت الدنيا في عين الامام ، وانقطع كل
 امل له في الحياة ، وايقن ان اوصاله سوف تنقطع على صعيد هذه الأرض
 الا انه خلد الى الصبر ، واستسلم لقضاء الله وقدره ،

ونفض الامام بقوة وعزم مع أصحابه وأهل بيته الى توطيد مخدرات
 الرسالة وعقائل الوحي ، فنصبوا لمن الخيام وكانت خيم الأصحاب ،
 وخيم أهل البيت ، محيطية بها عن اليمين والشمال ، واسرع فتيان
 بني هاشم فانزلوا السيدات من الحامل ، وجأوا بهن الى خيامهن ، وقد
 استولى عليهن الرعب والذعر ، فقد احسن بالاختار الهائلة التي ستجري
 عليهن في هذه الأرض .

موضع الخيام :

ونصبت خيام اهل البيت (ع) في البقعة الطاهرة التي لا تزال آثارها
 باقية الى اليوم (١) يقول السيد هبة الدين الشهرستاني : « وأقام الامام

(١) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ٢ / ٦ للسيد عبد الحسين سادن
 الروضة الحسينية في مكتبة المحامي السيد عادل الكليدار .

في بقعة بعيدة عن الماء تحيط بها سلسلة ممدودة ، ورويات تبدأ من الشمال الشرقي متصلة بموضع باب السدرة في الشمال ، وهكذا إلى موضع الباب الزينبي إلى جهة الغرب ، ثم تنزل إلى موضع الباب القبلي من جهة الجنوب وكانت هذه التلال المتقاربة تشكل للناظرين نصف دائرة ، وفي هذه الدائرة الهلالية حوصر ریحانة الرسول (ص) ، (١) ونفى صديقنا الاستاذ السيد محمد حسن الكلیداران أن يكون الموضع المعروف بمخيم الحسين هو الموضع الذي حط فيه الامام ائقاله ، والما يقع المخيم بمكان نائي بالقرب من المستشفى الحسيني ، مستنداً في ذلك إلى أن التخطيط العسكري المتبع في تلك العصور يقضي بالفصل بين القوى المتحاربة بما يقرب من ميلين ، وذلك لما تحتاجه العمليات الحربية من جولان الخيل وغيرها من مسافة ، كما ان نصب الخيام لا بد أن يكون بعيداً عن رمي السهام والنبال المتبادلة بين المحاربين واستند أيضاً إلى بعض الشواهد التاريخية التي تؤيد ما ذهب اليه (٢) .

واكبر الظن ان المخيم انما هو في موضعه الحالي ، أو يبعد عنه بقليل وذلك لأن الجيش الأموي المكثف الذي زحف لحرب الامام لم يكن قبالة لامعسكر صغير عبر عنه الحسين بالأسرة ، فلم تكن القوى العسكرية متكافئة في العدد حتى يفصل بينهما بميلين أو اكثر . .

لقد احاط الجيش الأموي بمعسكر الامام حتى انه لما اطلق ابن سعد السهم الذي انذر به بداية القتال ، واطلق الرماة من جيشه سهامهم لم يبق احد من معسكر الامام إلا اصابه سهم حتى اخترقت السهام بعض ازر النساء ، ولو كانت المسافة بعيدة لما اصيبت نساء أهل البيت بسهامهم

(١) نهضة الحسين (ص ٩٩)

(٢) مدينة الحسين ٢ / ٢٤

ومما يدعم ما ذكرناه ان الامام الحسين (ع) لما خطب في الجيش الأموي سمعت نساؤه خطابه فارتفعت اصراجهن بالبكاء ، ولو كانت المسافة بعيدة لما انتهى خطابه إليهن ، وهناك كثير من البوادر التي تدل على أن المخيم في وضعه الحالي .

فِي كَرَبَاءِ

وأقامه وكب العترة الطاهرة في كربلاء يوم الخميس المصادف اليوم الثاني من المحرم سنة (٦١ هـ) (١) وقد خيم الرعب على أهل البيت ، وايقنوا بنزول الرزء القاصم ، وعلم الامام مغبة الأمر ، وتجلت له الخطوب المفزعة ، والأحداث الرهيبة التي سيعانيها على صعيد كربلاء ، ويقول المؤرخون : انه جمع أهل بيته واصحابه فالتقى عليهم نظرة حنان وعطف وايقن انهم عن قريب سوف تنقطع أوصالهم ، فاغرق في البكاء . ورفع يديه بالدعاء يناجي ربه ، ويشكو إليه ما ألم به من عظيم الرزايا والخطوب قائلا :

« اللهم : انا عترة نبيك محمد (ص) قد أخرجنا وطرردنا وازعجنا عن حرم جدنا ، وتعدت بنو أمية علينا اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين . » .

ثم اقبل على اولئك الابطال فقال لهم :

« الناس عبيد الدنيا والدين لعق على سنتهم يحوطونه مادرت معائشهم فاذا محصوا بالبلاء ، قلّ الديانون » (٢) .

يا لها من كلمات مشرقة حكمت واقع الناس في جميع مراحل التاريخ فهم عبيد الدنيا في كل زمان ومكان ، واما الدين فلا ظل له في اعماق

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١ / ٢٤٠ ، وكان هلاك المحرم في تلك السنة يوم الأربعاء جاء ذلك في (الافادة في تأريخ الأئمة السادة) (٢) ضبط ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري في كتابه (الصناعتين) كلام الامام الحسين بهذه الصورة « الناس عبيد الدنيا والدين لغو على سنتهم يحوطونه مادرت به معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون » .

نفرسهم ، فاذا دهمتهم عاصفة من البلاء تنكروا له وابتعدوا منه . . .
نعم ان الدين بجوهره انما هو عند الامام الحسين وعند الصفوة من أهل
بيته واصحابه فقد امتزج بمشاعرهم ، وتفاعل مع عواطفهم فانبروا الى
ساحات الموت ليرفعوا شأنه ، وقد اعطوا بتضحيتهم دروساً لاجيال الدنيا
في الولاة الباهر للدين .

وبعد حمد الله والثناء عليه مخاطب اصحابه قائلاً :

« اما بعد : فقد نزل بنا ماقد ترون . وان الدنيا قد تغيرت ،
وتنكرت وادبر معروفها ، ولم يبق منها الا صباية كصباية الازاء ، وخسيس
عيش كالمرعى الوبيل (١) . الا ترون الى الحق لا يعمل به ، والى الباطل
لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فاني لا أرى الموت الا سعادة
والحياة مع الظالمين الا برما ، (٢) .

لقد أدلى بهذا الخطاب عما نزل به من المحن والبلوى ، واعلمهم ان الظروف
مهما تلبدت بالمشاكل والخطوب فانه لا ينثني عن عزمه الجبار لاقامة الحق
الذي خلس له . . . وقد وجه (ع) هذا الخطاب لاصحابه لا ليستدر
عواطفهم ، ولا ليستجلب نصرهم ، فاماذا يغنون عنه بعدما احاطت به
القوى المكثفة التي ملئت البيداء ، وانما قال ذلك ليشاركونه المسؤولية
في اقامة الحق الذي آمن به واختاره قاعدة صلبة لنهضته الخالدة وقد

(١) المرعى الوبيل : هو الطعام الوخيم الذي يخاف وباله أي

سوء عاقبته .

(٢) معجم الطبراني من مصورات مكتبة امير المؤمنين ، تأريخ ابن
عساكر ١٣ / ٧٤ من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين ، تأريخ الاسلام
للذهبي ٢ / ٣٤٥ ، حلية الأولياء ٢ / ٣٩ .

جعل الموت في هذا السبيل هو الأمل الباسم في حياته الذي لا يضارعه
أي أمل آخر .

ولما انتهى خطابه هب أصحابه جميعاً ، وهم يضربون أروع الأمثلة
للتضحية والفداء من أجل العدل والحق . . وكان اول من تكلم من
اصحابه زهير بن القين وهو من افاذا الدنيا فقد قال :

« سمعنا يا بن رسول الله (ص) مقالتك ، ولو كانت الدنيا لنا
باقية ، وكنا فيها مخلدن لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها ، :

ومثلت هذه الكلمات شرف الانسان وانطلاقه في سبيل الخير ،
وبلغ كلام زهير في نفوس الأنصار اقصى الرضا ، وحكى ما صمموا عليه
من الولاة للامام والتفاني في سبيله . . وانبرى بطل آخر من أصحاب
الامام وهو بربر الذي ارخص حياته في سبيل الله فخطب الامام :

« يا بن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك ،
وتقطع فيك اعضاؤنا ، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة . .

لقد أيقن بربر ان نصرته للامام فضل من الله عليه ، ليفوز بشفاعه
رسول الله (ص) . . وقام نافع وهو يقرر نفس المصير الذي اختاره
الأبطال من اخوانه قائلاً :

« أنت تعلم أن جدك رسول الله (ص) لم يقدر أن يشرب الناس
محبه ، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب ، وقد كان منهم منافقون يعدونه
بالنصر ، ويضمرون له الغدر يلقونه بأحلى من العسل ، ويخلفونه بأمر
من الخنظل ، حتى قبضه الله اليه ، وان أباك عليا كان في مثل ذلك يقوم
قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والفاسطين والمارقين حتى أتاه
أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه . . وأنت اليوم عندنا في مثل تلك
الحالة ، فمن تكث عهده ، وخلع ببعته فلن يضر الا نفسه والله مغن عنه

فسر بنا راشداً معافى ، مشرقاً إن شئت او مغرباً ، فوالله ما اشفقنا من قدر الله ، ولا كرهنا لقاء ربنا ، وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك ، (١) .

وتكلم أكثر اصحاب الامام بمثل هذا الكلام ، وقد شكرهم الامام على هذا الاخلاص والتفاني في سبيل الله .

انتظار الاسدي للامام :

والتحق بالامام فور قدومه إلى كربلاء رجل من بني أسد اهل المؤرخون اسمه ، وقد حكى قصته العريان بن المهشم قال : كان أبي ينزل قريباً من الموضع الذي كانت فيه واقعة الطف ، وكنا لا نجتاز في ذلك المكان الا وجدنا رجلاً من بني أسد مقيماً هناك ، فقال له ابي : إني اراك ملازماً هذا المكان ؟ فقال له : بلغني أن حسيناً يقتل هاهنا ، فانما أخرج لعلي أصادفه فاقتل معه ، ولما قتل الحسين قال أبي : انطلق معي لننظر إلى الاسدي هل قتل ؟ فأتينا المعركة وطفنا في القتل فرأينا الاسدي معهم (٢) لقد فاز بالشهادة بين يدي ربحانة رسول الله (ص) ونال أسمى المراتب ، فكان في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

رسالة الامام لابن الحنفية :

ورفع الامام (ع) رسالة من كربلاء إلى أخيه محمد بن الحنفية وسائر بني هاشم ، نعى فيها نفسه ، واعرب عن دنو الأجل المحتوم منه صدقاً نصها : « أما بعد : فكان الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل

(١) مقتل المقوم (ص ٢٣١) (٢) تاريخ ابن عساکر ١٣ / ٧٤

والسلام ، (١) وهذه أوجز رسالة تكتب في مثل هذه المهن الشاقة التي
تعصف بالصبر .

مع هرثمة بن سلمى :

والتحق هرثمة بن سلمى بمعسكر ابن زياد ، ولما انتهى الى كربلاء
تذكر حديثاً مضت عليه حلقة من السنين فنسأه فقد كان مع الامام
امير المؤمنين في غزوة له ، وقد مر على كربلاء فنزل إلى شجرة ، وصلى
تحت ظلها ، فلما فرغ من صلاته أخذ قبضة من تلك الأرض وشمها
وأخذ يقول :

« واهما لك من تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب !! »
ومضى هرثمة إلى الحسين مسرعاً فحدثه بما سمعه من أبيه ،
فقال (ع) له :

« معنا أو علينا ؟ »

« لا معك ولا عليك ، تركت عيالا ،

وساق له الامام نصيحته فأمره بمغادرة كربلاء لثلاث يشهد واعية أهل

البيت قائلًا له :

« ولِ في الأرض فو الذي نفس حسين بيده لا يشهد قتلنا اليوم

رجل إلا دخل جهنم . »

وانهزم هرثمة من كربلاء حتى وافته الأنبياء بمقتل الامام (٢) وقد

حرم من الشهادة بين يدي ريحانة رسول الله (ص) .

(١) كامل الزيارات (ص ٧٥)

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٧ ، وسيلة المآل في حد مناقب الآل

(ص ١٧٩) .

التحقيق انس بن الحرث بالامام :

والتحق الصحابي الجليل انس بن الحرث بالامام ، وقد حدث الامام بما سمعه من رسول الله (ص) انه قال : « ان ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد منكم فلينصره ، وظل انس ملازماً للامام حتى رزق الشهادة بين يديه (١)

رسالة ابن زياد للحسين :

ولما علم ابن مرجانة أن الحر قد حاصر الحسين في كربلاء ، بعث إليه رسالة دلت على مدى طيشه وغروره ، وهذا نصها :

« أما بعد : يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء ، وقد كتب إلي امير المؤمنين يزيد أن لا أنوسد الوثير (٢) ولا اشبع من الخمير أو الحنك باللطيف الخبير او تنزل على حكمي وحكم يزيد . . . »

أنت يا ابن مرجانة وسيدك يزيد خليقان بأن لاشبعا من الخمر وخليقان بأن تقترفا كل منكر في الاسلام ،

ولما قرأ الامام رسالة ابن مرجانة رماها من يده استهانة به واحتقاراً لهذا الانسان المسوخ وراح يقول :

« لا افلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق »

وطالبه الرسول بجواب يرجع به الى ابن زياد فقال (ع) :

« ماله عندي جواب لأنه قد حققت عليه كلمة العذاب »

وقفل الرسول راجعاً فاخبر ابن مرجانة ، بمقالة الامام فاستشاط غضباً وأخذ يتهبأ للحرب ويزج بجميع ماله من القوى العسكرية لحرب ريجانة رسول الله (ص) :

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٧ (٢) الوثير : الفراش اللين

رَحْفُ الْكُوفَةِ لِلْحَرْبِ

وحيثما اذيع النبا هاستيلاء جيش ابن زياد على الامام الحسين ، وفرض الحصار عليه في كربلاء سادت موجات رهيبه من الدعر والخوف في جميع اوساط الكوفة ، وتخذرت الجماهير تحت ضغط هائل من قوة السيوف والرماح فقد اشاع ابن زياد الارهاب ، واعلن الاحكام العرفية في جميع أنحاء الكوفة ، فكان يحكم بالموت والاعدام لمجرد الظنة والتهمة ، وصار الناس لا يملكون من أمرهم شيئاً .

لقد تمت بوارق ابن مرجانة ، وتحققت احلامه حينما ظفر بابن فاتح مكة ومحطم أوذان قريش لينتقرب بقتله إلى حفيد أبي سليمان زعيم الأحزاب المناوئة للإسلام ، ويتخذ من ذلك وسيلة لاقرار نسبه للصديق ببني أمية الذي شهد به ابو مريم الخمار (١) .

وانفق ابن مرجانة جميع وقته لتهيأة الحرب ، واتخاذ جميع الوسائل الاحتياطية للتغلب على مجريات الأحداث ، وقد احتف به الوجوه والاشراف من الذين باعوا ضمائرهم عليه لوضع المخططات الرهيبه في عمليات الحرب .

انتخاب ابن سعد قائداً عاماً :

وانتخب ابن مرجانة عمر بن سعد قائداً عاماً لقواته المسلحة التي زج بها لحرب ريمحانة رسول الله (ص) ، وقبل أن نعرض أسباب انتخابه نقدم عرضاً لبعض شؤونه .

(١) مروج الذهب ٢ / ٣١٠ .

اخبار النبي بسوء عاقبته :

واجتاز ابن سعد على النبي (ص) فلما راه نفر منه ، وأخبر (ص) عن سوء عاقبته وقال : « يكون مع قوم يأكلون الدنيا بالسنتهم كما تلحس الأرض البقرة بلسانها » (١) .

وقد أخبر امير المؤمنين (ع) بسوء مصيره يقول الرواة انه نظر إليه وحده فرأى فيه طيشاً واستهانة بالحق وجرأة على ارتكاب الباطل فقال له : « ويحك يا بن سعد ! ! كيف بك اذا قمت مقاماً تخبر فيسه بين الجنة والنار فتختار النار » (٢) .

كراهية سعد له :

وكان سعد ناقماً على ولده عمر لما سمعه من رسول الله (ص) فيه ويقول الرواة : انه عهد الى ورثته أن لا يعطوه أي شيء من موارثه (٣) .

لعن الرشيد له :

ولعن هارون الرشيد عمر بن سعد وحكم عليه بالاحاد والمروق من الدين ، وذلك في قصة طريفة لا تخلو من متعة نسوقها إلى القراء بقول الرواة انه جيء باسحاق بن ابراهيم مخفوراً إلى الرشيد بتهمة انه كان من

(١) مختصر البلدان (ص ٢٧١) لابن الفقيه

(٢) اعيان الشيعة ٤ / ٤٣٧

(٣) الف باء للبلوي

الملحدين ، فقال له اسحاق .

« يا امير المؤمنين لاني مؤمن بالله وبجميع رسله وأنبيائه ، وليس هذا
ذنبى ، ولكن لي ذنباً آخر ؟ »
فبهر الرشيد وقال له :
- ما هو ؟

- الولاء لكم أهل البيت ، فهل من يدين بحكم ويراها فرضاً عليه
يحكم عليه بالاحقاد ؟
وتبسم الرشيد ، وأمر بأن يرفع عنه النطم والسيف ، واندفع اسحاق
فقال له :

يا أمير المؤمنين ، ما رأيك في عمر بن سعد قاتل الحسين الذي يقول !
يقولون : إن الله خالق جنة ونار وتعذيب وطمس يدين
فاطرق الرشيد برأسه ، وتأمل كثيراً ثم قال :
« لعن الله عمر بن سعد كان لا يثبت صالماً ، ولا يقول ببعثة ولا
نبوة . . . يا اسحاق أتدري من أين اخذ قوله هذا ؟ » .
(نعم يا امير المؤمنين اخذه من شعر يزيد بن معاوية . . .)
« ما قال يزيد ؟ »
« انه قال : »

عليه هاتي ناوليني واعلني	حديثك اني لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان لما سجا به	الى أحد حتى أقام البواكيا
فرام به عمرو علياً فقاته	وادركه الشيخ اللعين معاويا
فان مت يا أم الأحيمر فأنكحي	ولا تأملي بعد الممات تلاقيا
فان الذي حدثت في يوم بعثنا	احاديث زور نترك القلب ساهيا
ولو لا فضول الناس زرت محمداً	بمشمولة صرف تروي عضاميا

ولا خلف بين الناس ان محمداً تبوأ قبراً بالمدينة ثاوريا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى له غصن من تحته السر باديا
ونفنى ولا تبقى على الأرض دمنة وتبقى حزازات النفوس كماهيا
وتأثر الرشيد فاندفع يقول :

« لعن الله يزيد ما كان يثبت صناعاً ، ولا يقول بيعته ولا نبوة ،
الدرى يا اسحاق من أين اخذه ؟ » .

« نعم يا امير المؤمنين اخذه من شعر أبيه معاوية » .

« ما قال معاوية ؟ »

« إنه قال :

سائلوا الدير من بصرى صبايات فلا تلمني فلا تغنى الملامات
قم نجل في الظلماء شمس ضحى نجومها الزهر طاسات وكاسات
لعلنا لأن يدع دام الفراق بنا نخضي والفسنا منها رويات
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به فعل اللبيب فللتأخير آفات
قبل ارتجاع الليالي كل عارية فانما خلع الدنيا امتعارات
فلعن الرشيد معاوية ، وقال فيه ما قاله في يزيد (١) .

توثيق العجلي لابن سعد :

ووثق العجلي عمر بن سعد ، فقال : كان يروي عن أبيه أحاديث ،

(١) الثاقب في المناقب للشيخ المفيد من مخطوطات مكتبة الامام

امير المؤمنين .

وروى الناس عنه ، وهو تابعي ثقة ، وهو الذي قتل الحسين (١) ولم نعلم كيف كان ابن سعد ثقة مع قتله لريحالة رسول الله (ص) وابطاده للعترة الطاهرة التي اوجب الله مودتها على عموم المسلمين . . . لقد كان العجلي منحرفاً عن الحق ، فكان ميزان التعديل عنده للرواة هو النصب لأهل البيت وبغضهم ، كما ان مقياس الجرح عنده هو الولاء والمودة لهم .
وقد انكر الاخبار والمتحرجون في دينهم على من يروي عن ابن سعد فقد روى عنه العيزار بن حريث فأنكر عليه رجل في مجلسه وقال له :
أما تخاف الله ؟ تروي عن عمر بن سعد فيكى العيزار وقال : لا اعود لذلك (٢) ومن الغريب ان ابن حجر ترجمه في تهذيب التهذيب الذي لا يترجم فيه إلا الثقة من الرواة عنده .

نزعات ابن سعد :

ولم يحمل ابن سعد في دخائل نفسه أي نزعة شريفة ، فليس في ضميره المتحجر أي بصيص من الكرامة والشرف والنبيل ، وهذه بعض مظاهر ذاتياته .

أ - الخنوع للسلطة

وكان الخنوع للسلطة هو الظاهرة البارزة من ذاتيات ابن سعد ، فكان - فيما اجمع عليه المؤرخون - يذوب أمام الولاة ، ويفقد توازنه ، طمعاً بالحصول على المنصب والامارة ، وقد جهد نفسه ، وحملها من أمره

(١) تهذيب التهذيب ٧ / ٤٥١ ، ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣ / ١٩٨

رهقاً على الظفر بثقة ابن مرجانة به ، وقد قال له : بعد قتله للحسين -
« اما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد
ابن ابي وقاص لكنت قد اديت حقّه ، (١) انه لم تكن له شخصية مستقلة
ولا ارادة كريمة ، وانما كان ذنباً للسلطة يسعى لكسب عواطفها بأي
وسيلة يملكها .

ب - التهاك على السلطة :

وظاهرة أخرى من نزعات ابن سعد هي التهاك على السلطة والسعي
وراء المناصب ، ويقول المؤرخون إنه كان يبحث اباه على الحضور في
التحكيم لعلمهم يعدلون عن علي ومعاوية ويولونه الا ان اباه امتنع من ذلك
وقم بما هو فيه (٢) ولما ولاه ابن زياد ولاية الري ، وهدده بعزله عنها
ان لم يخرج لحرب الحسين سمعه أهله يقول :

أترك ملك الري والري بغني أم ارجع مأثوما بقتل حسين
لقد رأى أنه اذا حصل على ولاية الري فسوف يظفر بالعيش
الوفير والثراء الفاحش ، فاقدم على اخطر جريمة في الاسلام .

ج - خسة الطبع

ومن ذنابات ابن سعد خسة الطبع ، فقد انمحت عن نفسه جميع
افالين الشرف والكرامة فقد طلب منه مسلم بن عقيل حينما وقع اسيراً

(١) الطبري ٦ / ٢٦٨

(٢) البداية والنهاية ٧ / ٢٨٣

بيد ابن زياد أن يعهد بوصيته إليه فامتنع من اجابته تقرباً لسيدته ابن مرجانة ولم يستجب له حتى سمح له بذلك ولما عهد إليه مسلم بوصيته سرّاً انبرى مسرعاً الى ابن زياد فاخبره بما أوصى به مسلم فأكر عليه ابن زياد ذلك وقال : « لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن »

ومن خسة طبعه أنه لما قتل الحسين (ع) عمد إلى سلب درعه فلبسها ولو كانت عنده صباية من الشرف والنبل لما قدم على سلب ريحانة رسول الله (ص) فقد فتح بذلك باب النهب للجفأة من جيشه فعمدوا إلى سلب حرائر النبوة حتى لم يتركوا عليهن ملحفة ولا ازاراً إلا سلبوه .

د - الجبن :

ولم تكن عند ابن سعد أية مسكة من البسالة والشجاعة ، وإنما كان جباناً خائراً العزيمة ضعيف النفس ، ولما ظهر أمر التوايين داخله خوف شديد فكان لا ينام في داره ، وإنما ينام في قصر الامارة لتحرسه جنود القصر ، وهو وجل القلب ينفق الليل ساهراً من شدة الوجل والرعب ، ولما هجمت عليه شرطة المختار قام مرعوباً من فراشه ، ولكثرة ماداخله من الفزع عثر قبل أن يأخذ لامة حربه فقتلته الشرطة وهو على فراشه وقد استجيبت بذلك دعوة الامام الحسين ان يذبحه الله على فراشه . ، ومن الغريب ان خير الدين الزركلي وصفه بأنه من القادة الشجعان (١) ولو كان شجاعاً - كما يقول الزركلي - لما ترك أهله ولجأ إلى قصر الامارة بطارد الرعب والفزع .

(١) الاعلام • / ٢٠٥

٨ - الشك في البعث والنشور :

ولم يكن ابن سعد يؤمن بالبعث والنشور ، فقد كان شاكاً فيها كما جاء في شعره حيناً نُدب لحرب الحسين (ع) حيث يقول :

يقولون : إن الله خالق جنة ونار وتعليب وغل يدين
فهو لا يؤمن بحساب ولا جنة ولا نار كما يقول هارون الرشيد . . .
هذه بعض نزعات ابن سعد ، وهي تكشف عن انسان ممسوخ متمرس في
الجريمة والاثم .

دوافع انتخابه :

وانما انتخابه ابن مرجانة لحرب الامام الحسين (ع) ليغري به سواد
الناس وجها لهم ، ويزج بهم لحرب ربحانة رسول الله (ص) فانه ابن
فاتح العراق واحد المرشحين الستة من قبل عمر بن الخطاب لزعامة الخلافة
الاسلامية ، وانه قرشي وممن يمت للامام بصلة ، ومضافاً إلى ذلك فانه
قد وقف على اتجاهاته الفكرية ، وعرف نقاط الضعف التي عنده ، فرأى
أنه لا يقوم أحد باقتراف هذه الجريمة سواه .

حيرة ابن سعد :

وكان ابن زياد قد كتب لابن سعد بولاية الري (١) وثغر دسني والديلم (٢) فطلب منه أن يسير لحرب الحسين فاستعلمى ابن سعد فهدده باسترجاع ولاية الري منه ، وطلب منه ليلته لينظر في الأمر ، فأمهله ، ومضى إلى داره ، وقد انفق ليله ساهراً يطيل التفكير في الأمر هل يقدم على حرب ربحانة رسول الله (ص) وفي قتله العذاب الدائم والحزي الخالد أو يستقبل من ذلك فتلوه امارة الري التي تضمن له العيش الوفير ، وسمعه أهله يقول .

أترك ملك الري والري بغيبي أم ارجع مأثوما بقتل حسين (٣)
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قررة صيني

(١) الري : مدينة مشهورة من امهات البلاد ، كثيرة الخيرات والفواكه تقع في فارس ، قال الاصطخري هي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق اعمر منها ، وقال الاصمعي : هي عروس الدنيا إليها يتجر الناس جاء ذلك في معجم البلدان ٤ / ٣٥٥ - ٣٥٨ .

(٢) الأخبار الطوال (ص ٢٥١)

(٣) مرآة الجنان ١ / ١٣٢ ويقول الياضي ولو قال :

أترك ملك الري بل هو بغيبي وان عدت مأثوما بقتل حسين
لكان هذا الانشاد أدل على المراد

العاذلون له :

ويقول المؤرخون : انه بادر إليه جماعة من المشفقين عليه فاشاروا عليه باعتزال الحرب ، وكان ممن أشار عليه ابن اخته حمزة بن المغيرة بن شعبة فقال له : يا خال إن سرت إلى الحسين ائمت برهك ، وقطعت رحمك فوالله لئن تخرج من دلياك ومالك خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين (١) ومنحه النصيحة قوم آخرون فقالوا له : انق الله ولا تفعل (٢) وقد حاول أن يجهد نفسه على اعتزال الحرب الا انه لم يطق صبراً عن ولاية الرمي ، فقامد سال لها لعابه ، وضعفت نفسه عن مقاومة رغباته فلم يسفر الصبح حتى استقر رأيه على حرب ابن رسول الله (ص) فاسرع إلى ابن مرجانة يخبره باستجابته ، وقد فرخ ابن زياد برضا ابن سعد لأنه قد وجد فيه حجة تسند اباطيله ان لامة الناس على حرب ابن رسول الله (ص) ولو استجاب أحد غيره لما كان له مثل هذا السرور والرضا .

وسار ابن سعد ومعه جيشه البالغ اربعة آلاف ، وهو يعلم اتجاهه وانه خرج ليقاتل ذرية رسول الله (ص) الذين هم خيرة من في الأرض وانتهى إلى كربلاء فانضم إلى الجيش الرايض هناك بقيادة الحر بن يزيد الرياحي .

الاستعراض العسكري :

واستعرض ابن مرجانة جميع الكتائب التي همها لحرب الحسين ليري قدرتها على القتال ومدى استعدادها للخوض في المعركة ، ويقول الطرماع :

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) الفتوح ٥ / ١٥٢

رأيت قبل خروجي من الكوفة بيوم على ظهر الكوفة ، وفيه من الناس ما لم تر عيناى في صعيد جمعا اكثر منه فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحوا الى حرب الحسين (١) وقد زج بجميع ثقله العسكري في الحرب خوفاً من الطوارئ وتقلب الأوضاع .

خطبة ابن مرجانة :

وأمر الطاغية بجمع الناس في رحاب المسجد الأعظم فخرجوا كالأغنام خوفاً من الطاغية ورهبة منه وقد امتلأ الجامع منهم فقام فيهم خطيباً فقال :
 « أيها الناس : إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون وهذا امير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة محسناً إلى الرعية ، يعطي العطاء في حقه ، وقد امننت السبل على عهده ، وكذلك كان ابوه معاوية في عصره ، وهذا ابنه يزيد يكرم العباد ويغنيهم بالأموال وقد زادكم في ارزاقكم مائة مائة ، وامرني أن اوفرها عليكم ، واخرجكم إلى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا ، (٢) لقد خاطبهم باللغة التي يخضعون لها ، فمناهم بالأموال ، وزجهم لافتراء افطع جريمة في تأريخ الانسانية .

وأوعز إلى كل من الحصين بن نمير التميمي وحجار بن ابجر وشمر ابن ذي الجوشن بالخروج إلى حرب الامام بعد أن اسند لكل واحد منهم القيادة على بعض الوحدات العسكرية فزحفوا بمن معهم الى كربلاء لمساعدة ابن سعد .

(١) الطبري ٦ / ٢٣٠

(٢) الأخبار الطوال (ص ٢٥٣)

تحريض سمرة لحرب الامام :

ولعب سمرة بن جندب الصحابي الكذاب دوراً مهماً في حث الناس على حرب ابن رسول الله (ص) فقد كان على شرطة عبيد الله بن زياد واخذ يدفع الناس إلى قتال ربيعة رسول الله (١) .

تمارض شبث بن ربعي :

وكان المناق شبث بن ربعي كارهاً للخروج إلى حرب الحسين فإظهر المرض تصنعاً ولم يكن يخفي على ابن زياد ذلك فأرسل إليه ان رسولي يخبرني بتارضك ، وأخاف أن تكون من الذين إذا لقوا الدين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزون فان كنت في طاعتنا فاقبل إلينا مسرعاً ، وأقبل إليه شبث مسرعاً بعد العشاء لثلاث ينظر إلى وجهه فلا يجد عليه أثر العلة ، وقد اجابه إلى ما أراد فخرج لحرب الحسين ، وتولى قيادة بعض الفرق .

التفكير العام :

وأصدر ابن زياد أوامره المشددة بحمل اهليلج الكوفة في الحرب ، وارغامهم على الحوض في قتال الامام ، وقد اصدر موسوماً - قبل أن يعسكر في النخيلة - جاء فيه « فلا يبقى رجل من العرفاء والمناكب (٢) »

(١) شرح النهج ٤ / ٧٩

(٢) المناكب : جمع منكب عريف القوم أو عونهم

والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي ، وإيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن المعسكر إلا برئت الذمة منه ، (١) وأمر بإذاعة ذلك بين الناس ، وقد أوعز إلى كل من كثير بن شهاب الحارثي ، ومحمد بن الأشعث ، والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري ، وأسما بن خارجة الفزاري ، أن يطوفوا في الناس يحثونهم على الطاعة ، ويحذرونهم من المعصية ، ويخوفونهم عواقب الأمور ، وقد طافوا بالكوفة واذاعوا ما أمروا به ، ثم لحقوا به في النخيلة إلا كثير بن شهاب فإنه ظل مقيماً بالكوفة يخذل الناس عن نصره الإمام ويشيع الأرهاب والخوف على المتخلفين عن الحرب (٢) وقد القت الشرطة القبض على رجل من همدان قدم الكوفة يطلب ميراثاً له ، فأتي به إلى ابن زياد فأمر بقتله ، ولما رأى الناس ذلك هرعوا إلى الحرب حتى لم يبق في الكوفة محتلم إلا خرج إلى المعسكر في النخيلة (٣) لقد حققت هذه السياسة ما توخاه ابن زياد من حمل الناس على حرب الإمام ، وقد سيطر سيطرة تامة على الموقف ، فلم يدع لأي أحد حرية ولا اختياره .

الرقابة الدقيقة على الكوفة :

وفرض ابن زياد الرقابة الصارمة على الكوفة مخافة أن يخرج منها أحد لنصرة الإمام (ع) فقد بث الجواسيس والعيون ، وفرض نوعاً من الأحكام العرفية كانت في منتهى القسوة ، فإذا أتهم أحد بالعمل ضد سياسة الدولة التي عليه القبض وسبق بلا هوادة ولا رحمة إلى الإعدام أو السجن

(١) (٢) (٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

وقد كان عبد الله بن يسار يحفز الناس إلى نصرته الامسام ، وخذلان بني أمية فعلم به ابن زياد فأمر بالقاء القبض عليه ، فاخفى نفسه وأخذت الشرطة تبحث عنه ، فظفر به عبيد الله بن الحر فأتى به إلى السبخة فقتله (١) وهو غير عبيد الله بن الحر الجعفي .

وقد وضع ابن زياد المناظر ، ورتب المسالح حول الكوفة ، وجعل على الحرس زجر بن قيس الجعفي ، ورتب بينه وبين عسكر ابن سعد خيلا مضمرة مقدحة (٢) فكانت كل باذرة تحدث تأتبه في الوقت (٣) .

هرب الجنود :

وهربت الأكرية الساحقة من جيش ابن زياد من وحداتها العسكرية وقد لاذ الكثيرون منهم بالانهزام فراراً من حرب سبط رسول الله (ص) ويقول البلاذري : ان القائد يكون على الف مقاتل لا يصل الى كربلاء الا ومعه ثلاث مائة أو اربع مائة أو اقل من ذلك ، فقد كانوا يفرون كراهة منهم لهذا الوجه (٤) لقد كانوا على يقين لا يخامره أدنى شك بضلال هذه الحرب وانهم انما يحاربون الله ورسوله ، ويقاتلون من أمروا بمودته وطاعته .

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(١) المضمرة المقدحة : هي الخيل التي يسار بها للجهاد

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٤) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

الطاغية في النخيلة :

ونزح الطاغية إلى النخيلة (١) فمسكر بها ومعه قطعات كبيرة من الجيش ، وقد استخلفت على الكوفة عمرو بن حريث ، وقد بلغه أن الرجل والرجلين والثلاثة يتسللون إلى معسكر الامام عن طريق الفرات ، فأمر بضبط الجسر وحراسته فلم يترك أحداً يجوزه (٢) .

محاولة لاغتتيال ابن زياد :

وحاول البطل الشهم عمار بن أبي سلامة الدالبي أن يغتال ابن زياد في النخيلة إلا انه لم يتمكن من ذلك نظراً للرقابة الشديدة والحرس المكثف الذي يحرسه ، ولما فشل في مهمته لطف حتى لحق بالحسين واستشهد بين يديه (٣) .

عدد الجيش الأموي :

واختلف المؤرخون في عدد الجيش الذي نزح لحرب الامام (ع) وفيما يلي بعض ما ذكروه .

(١) النخيلة : قريبة من (ذي الكفل) وتعرف اليوم بالعباسيات

ذكر ذلك المقدم في مقتل الحسين (ص ٢٣٧) .

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان مخطوط

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

- ١ - ثمانون ألف فارس (١)
- ٢ - خمسون ألف فارس (٢)
- ٣ - خمسة وثلاثون ألف فارس (٣)
- ٤ - ثلاثون ألفا (٤)
- ٥ - اثنان وعشرون ألفا (٥)
- ٦ - عشرون ألفا (٦)
- ٧ - ستة عشر ألف فارس (٧)
- ٨ - اثنا عشر ألفا (٨)
- ٩ - ثمانية آلاف (٩)
- ١٠ - ستة آلاف (١٠)

-
- (١) بغية النبلاء الجزء التالي نقلا عن مقتل ابي مخنف
 - (٢) شرح شافية أبي فراس ١ / ٩٣ من مصورات مكتبة الامام الحكيم .
 - (٣) المناقب ٤ / ٩٨
 - (٤) مطالب السؤول ، عمدة الطالب (ص ١٨١)
 - (٥) مرآة الجنان ١ / ١٣٢ ، شذرات الذهب ١ / ٦٧ ، مطالب السؤول (ص ٧٥) .
 - (٦) الصواعق المحرقة (ص ١١٧) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٧٨) اللهوف .
 - (٧) (٨) الدر التنظيم في مناقب الأئمة (ص ١٦٨)
 - (٩) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٢)
 - (١٠) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٨٧)

١١ - أربعة آلاف (١)

هذه بعض الأقوال التي ذكرها المؤرخون ، وهناك أقوال أخرى لا تخلو من المبالغة .

التحقيق في الموضوع :

ولاهد لنا من وقفة قصيرة للتحقيق في هذه الأقوال المختلفة التي حددت عدد الجيش الذي تدفق إلى كربلا واشترك في عمليات الحرب ، لنتخار منها ما تساعد عليه الأدلة . . . ونلقى - قبل كل شيء - نظرة خاطلة على عدد الجيش في الكوفة التي كانت أعظم حامية عسكرية في ذلك الوقت ، فقد كان عدد الجيش في أواسط القرن الأول أربعين ألفا يفزو كل عام منهم عشرة آلاف (٢) وقد ازداد هذا العدد منذ اتخذها الامام عاصمة له ، فقد كثرت الهجرة اليها ، فقد زحف معه لحرب صلين سبعة وخسون ألفا ، وثمانية آلاف من مواليهم (٣) وهناك بعض التصريحات التي أدلى بها بعض الشخصيات تدل على أن احصاء الجيش في ذلك العصر بلغ مائة الف ، فقد انكر سليمان بن صرد الخزاعي على الامام الحسن (ع) أمر الصلح وقال له : « لا ينقضي تعجبي من بيعتك معاوية ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق ، وجاء في بعض رسائل اهل الكوفة الى الامام الحسين « انا معك مائة الف » وفيما احسب ان هذا العدد لا يتخلو من المبالغة ، وان العد اقل من ذلك بكثير . . . اما سكان الكوفة فاننا لم نقف

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٦٩

(٢) صلح الحسن (ص ١٠١)

(٣) الامامة والسياسة ١ / ١٥١

لهم على احصاء الا ان من المؤكد انهم كانوا اضعاف عدد الجيش فان الكثيرين من ذوي المهن والحرف والتجار وغيرهم ممن لم ينضموا إلى المنظمة العسكرية . . . ونقف - بعد هذا العرض الموجز لعدد جيش الكوفة وسكانها - امام تلك الأقوال بين أمرين :

الأول : الاذعان والتصديق لكل ما قيل في عدد الجيش من الكثرة لأن ابن زياد قد اعلن النفي العام في الكوفة فلم يبق بها محتلم الا خرج لحرب الحسين ، ومن تخلف كان مصيره الاعدام أو السجن ، حتى لم يبق في الكوفة واسطة من وسائل النقل الا استعملت لنقل الناس للحرب ، واذا قيل ان عدد الجيش مائة الف او يزيد فليس في ذلك أية مبالغة .

الثاني : التشكيك في تلك الكثرة لأن اكثر الجنود قد استعظموا حرب الامام فقروا منهزمين في البيداء ، بالاضافة الى أن طائفة كبيرة من الجيش كانت في معسكر النخيلة مع ابن زياد ، وعلى هذا فالجيش الذي تدفق الى كربلاء لحرب الامام ليس بذلك العدد الضخم الذي يلعب اليه بعض المؤرخين .

واكبر الظن ان الرواية التي أثرت عن الامام الصادق (ع) انه أزدلفت ثلاثون الف لحرب الامام هي أقرب ما قيل في عدد الجيش فان هذا العدد وما يزيد عليه قد اشترك في حرب ربيعة رسول الله (ص) .

القادة العسكريين :

وامدنا المؤرخون بأسماء بعض قادة الجيش الذين اشتركوا في كارثة كربلاء وهم :

١ - الحر بن يزيد الرياحي ، وكان على الف فارس ، وهو الذي حاصر الحسين في كربلاء .

٢ - عمر بن سعد ، وقد اسند إليه ابن زياد القيادة العامة لجميع قواته المسلحة ، وكان اميراً على أربعة آلاف .

٣ - شيبث بن ربعي جعله اميراً على الف فارس (١)

٤ - مضابر بن ربيعة المازني امير على ثلاثة آلاف (٢)

٥ - نصر بن حرشة امير على الفين (٣)

٦ - كعب بن طلحة امير على ثلاثة آلاف (٤)

٧ - حجار بن ابجر امير على الف (٥)

٨ - الحصين بن نمير على أربعة آلاف (٦)

٩ - شمر بن ذي الجوشن امير على أربعة آلاف (٧)

١٠ - يزيد بن الركاب على الفين (٨)

١١ - يزيد بن الحرث بن رويم امير على الف (٩)

وهؤلاء بعض قادة الجيش وقد انضم تحت الويتهم خمس وعشرون

الف مقاتل ، ويقول ابن الجوزي :

انه كان على ربع الكوفة عبد الله بن زهرة بن سليم الأزدي ، وعلى

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) (٣) المناقب ٤ / ٩٨

(٤) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٣٩)

(٥) (٦) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(٧) المناقب ٤ / ٩٨

(٨) (٩) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

ربيع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث وعلى ربيع ملحج وأسد عبد الله بن
سبرة الجملي ، وعلى ربيع ربيعة وهمدان الحر بن يزيد الرياحي (١) .

أدوات الحرب :

وتسلح جيش ابن زياد بجميع أدوات الحرب السائدة في تلك العصور
فقد كان استعداده لحرب الامام استعداداً هائلاً ويحدثنا المؤرخون عن ضخامة
ذلك الاستعداد ، فقالوا ! ! إن الحدادين ، وصانعي أدوات الحرب في
الكوفة كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في بري النبال وصقل السيوف في مدة
كانت تزيد على عشرة أيام . . . لقد دفع ابن زياد لحرب الحسين بقوة
عسكرية مدججة بالسلاح بحيث كانت لها القدرة على فتح قطر من الأقطار .

١ - الرماة :

وهم الذين كانوا يسددون النبال والسهم ، وقد لعبوا دوراً خطيراً
في الحرب ، وهم أول من فتح باب الحرب على الامام ، فسددوا سهامهم
نحو معسكره فلم يبق أحد منهم إلا اصابه سهم ، حتى اصيبت بعض
النساء فدهشن وارعبن ، وقد قتل بعض ابناء الأسرة النبوية بتلك السهام
الغادرة كعبد الله بن مسلم ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله الرضيع
وغيرهم .

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٢)

٢ - الجواله :

وهي كتائب من الجيش كانت ترمي بالحجارة ، وملاحها المقاليع ،

٣ - المجففة :

وهم الذين كانوا يلبسون الجنود الآلات التي تقيهم في الحرب ، كما كانوا يضعون على الخيل الآلات التي تقيها من النبال والرماح ،

عدد أصحاب الحسين :

أما أصحاب الامام الحسين فكانوا فئة قليلة ، وقد اختلفت المؤرخون في عددهم ، وهذه بعض الاقوال :

- ١ - ما ذهب إليه المسعودي انهم خمسمائة فارس ونحو من مائة راجل (١) وانفرد المسعودي بهذا القول ولم يذهب إليه أحد غيره .
- ٢ - ما رواه عمار الدهني عن أبي جعفر انهم كانوا خمساً وأربعين فارساً ومائة راجل (٢) .
- ٣ - ما ذكره ابن شهر آشوب انهم اثنان وثمانون رجلاً الفرسان منهم اثنان وثلاثون (٣) .

(١) مروج الذهب ٣ / ١٠

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٩٧ ، تذهيب التهذيب ١ / ١٥١ ، الحدائق

الوردية ١ / ١١٩ ، الصراط السوي (ص ٨٦) .

(٣) المناقب ٤ / ٩٨

٤ - ما قاله سعد بن عبده : اني لأنظر إليهم وهم قريبون من مائة رجل فيهم من صلب علي خمسة أو سبعة وعشرة من بني هاشم ، ورجل من كنانة وآخر من سليم (١) .

٥ - ما ذكره ابن كثير والفاخوري انهم اثنان وثلاثون فارساً واربعون راجلاً (٢)

والذي نراه انهم ثمانون رجلاً بما فيهم من ابناء الأسرة النبوية والذي يدعم ذلك أن الرقوس التي احتزت وبعث بها إلى ابن مرجانة ويزيد بن معاوية كانت (٧٩) رأساً لا غير .
وعلى أي حال فان هؤلاء الأبطال على قتلهم كانوا كفوءاً لذلك الجيش وقد الحقوا به افدح الحسائر وقد مثلوا بمواقفهم البطولية شرف العقيدة وسمو المبدأ .

رسول ابن سعد مع الامام :

وكان ابن سعد كارها لقتال الامام فاراد التخلص من ذلك ، فدعا عزرة بن قيس أن يلتقي بالامام ويسأله عما جاء به ؟ فامتنع عزرة لأنه كان ممن كاتب الامام بالقدوم الى الكوفة ، فندب لمقابلته كثير بن عبد الله الشعبي وكان فاتكاً جريئاً فقال :

« أنا له وإن شئت أن افتك به لفعلت »

فلم يرض ابن سعد بذلك ، وانما طلب منه أن يمضي إليه ويسأله

(١) تذهيب التهذيب ١ / ١٥٦

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٨٧ ، تحفة الأنام في مختصر تاريخ الاسلام

للداخوري (ص ٨٣) .

عما جاء به ؟ وأقبل كثير يشند نحو الامام ، ولما بصر به ابو ثمامة الصائدي ارتاب منه ، فقام في وجهه ، وطلب منه أن يزرع سبله حتى يقابل الامام فأبى أن يسمح له بالدخول فولى منصرفاً غضبانا (١) واخبر ابن سعد بذلك فطلب من قره بن قيس الحنظلي ملاقة الامام فأجابه ، فلما اقبل قال الامام لأصحابه :

« هل تعرفونه ؟ »

فأجابه حبيب بن مظاهر : نعم انه من بني تميم ، وقد كنت اعرفه بحسن الرأي ، وما ظننت أنه يشهد هذا المشهد !
وتقدم قره نحو الامام فسلم عليه ، وسأله عما جاء به ؟ فقال (ع) .
« لاني لم أرد إلى ههنا حتى كتب إلي أهل مصركم أن يبايعوني ، ولا يخذلوني ، وينصروني ، فان كرهوني انصرف عنهم من حيث جئت ، وانبرى إليه حبيب فأسدى له النصيحة قائلاً :

« يا قره عهدى بك ، وأنت حسن الرأي في أهل البيت فما الذي

غيرك ؟ فاقم عندنا وانصر هذا الرجل ، » .

فقال قره : لقد قلت الحق ولكن ارجع إلى صاحبي بجواب رسالته وانظر في ذلك ، وقفل قره الى ابن سعد فعرض عليه كلام الامام (٢) وسر ابن سعد بذلك ورأى انه بالامكان التوصل لحل سلمي يجنبه من الخوض في معركة تطوق عنقه بالآثام والاوزار .

(١) الطبري ٦ / ٢٣٢

(٢) أنساب الأشراف ق ١ ج ١ ، الفتوح ٥ / ١٥٥ - ١٥٦

ابن سعد مع الامام :

- وأراد ابن سعد التأكد من ذلك فطلب من الامام الاجتماع به فاجابه الى ذلك ، ولما مثل عنده قال له :
- ما جاء بك ؟
 - أهل الكوفة
 - أما عرفت ما فعلوا معكم ؟
 - من خادعنا في الله انخدعنا له
 - قد وقعت الآن فما ترى ؟
 - أرجع فأقيم بمكة أو بالمدينة ، أو أقيم ببعض الثغور
- وفرح ابن سعد من موقف الامام ورأى فيه بادرة لاحلال السلام والتجنب من الحرب (١) .

رسالة ابن سعد لابن زياد :

وهادر ابن سعد فكتب رسالة الى أميره ابن مرجانة جاء فيها :

« أما بعد : فان الله اطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر الأمة . هذا حسين اعطاني عهداً أن يرجع الى المكان الذي منه أتى أو أن يسير الى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم ، وعليه ما عليهم أو ان يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفي هذا رضا لك ، والأمة صلاح . »

(١) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٨٧)

افتراء ابن سعد :

ومما لا شبهة فيه أن ابن سعد قد افترى على الامام الحسين في تلك الرسالة ، فان اكثر بنودها مما لم يفه به الامام (ع) وقد تحدث عن افتعالها عقبة بن سمان الذي صاحب الامام من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق وظل ملازماً له حتى قتل ، يقول :

« صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ، ومنها إلى العراق ، ولم افارقه حتى قتل ، وقد سمعت جميع كلامه ، فما سمعت منه ما يتذكر فيه الناس من أن يضع يده في يد يزيد ، لا أن يسير الى ثغر من الثغور لا في المدينة ولا في مكة ولا في العراق ولا في عسكره الى حين قتل ، نعم سمعته يقول : دعوني أذهب إلى هذه الأرض العريضة حتى انظر ما يصير إليه الناس » (١) .

ونفى الشيخ محمد الخضري صحة هذه الرسالة فقال : « وليس بصحيح الاهراض عليهم أن يضع يده في يد يزيد ، والما عرض عليهم أن يدعوه أن يرجع إلى المكان الذي خرج منه » (٢) .

لقد افتعل ابن سعد هذه الرسالة ليتخلص من اثم المعركة ، ويكون بمنجى من قتل ربحانة رسول الله (ص) واو ان الامام قال ذلك لانفض جيش ابن زياد وانتهى كل شيء . . . لقد رفض الامام منذ بداية الأمر الخضوع لعصابة الاجرام ، وصمد في وجه الاعاصير . ودل في جميع مواقفه الخالدة على آباءه وعزة نفسه ، وصلابة ارادته .

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٢٠) :

(٢) تاريخ الأمة الاسلامية ١ / ٥١٥

افساد الشمر لمهمة السلام :

ولما وردت رسالة ابن سعد إلى ابن مرجانة استصوب رأيه ، ورأى فيه حلا للمشكلة وجمعا للكلمة ، وانه قد جد جنبه الحرب ، فطفق يقول باعجاب :

« هذا كتاب ناصح مشفق »

وكان شمر بن ذي الجوشن الى جانبه فضاق ذرعا بالأمر فقد عرف الخبيث بوضاعة النسب والحقد على ذوي الاحساب العريفة ، وكان قد حسد ابن سعد على امرته للجيش فاندفع باضرام نار الحرب ، فقال لابن مرجانة :

« اتقبل هذا منه ؟ بعد ان نزل بأرضك ، والله لئن رحل من بلادك ، ولم يضع يده في يدك ، ليكونن أولى بالقوة ، وتكون أولى بالضعف والوهن » .

واهبت هذه الكلمات الموقف ، ونسفت كل امل في الصلح والوثام فقد تلفظ ابن زياد إلى أمر خطير قد خفي عليه ، وهو ان الامام اذا خلاص منه ، ولم يبايع ليزيد ، والتحق بقطر من الأقطار ، فسوف يتبلور الموقف وتهب الأمة لجماعته من العصاة المجرمة ، وسيكون الطاغية أولى بالوهن والضعف والحسين أولى بالمنعة والقوة لأنه ابن رسول الله (ص) وربحانته ، وهاجت هذه النقاط الحساسة عن ابن مرجانة ، فرأى في كلمات الشمر الاخلاص والنصيحة .

ولما رأى الشمر أنه قد سيطر على الموقف ، وافسد مهمة ابن سعد اندفع ليوهن مكانته عنده لعله ان يتخذ من ذلك وسيلة لاقتصائه عن منصبه ويكون بمحله ، فقال له :

« والله لقد بلغني أن حسيناً وابن ساعد يجلسان بين العسكرين
فيحدثان عامة الليل » (١) .
ومعنى هذا أن شمراً قد جعل له استخبارات خاصة على ابن
ساعد لعله أن يقصر في اداء مهمته فينقل ذلك إلى السلطة لتقصيه عن منصبه
ويتولى هو قيادة الجيش ،

رفض ابن زياد الحلول السلمية :

ورفض ابن مرجانة جميع الحلول السلمية التي كتب بها ابن ساعد ،
وسد جميع زوافل السلم والوثام ، وقد كتب إليه :
« أما بعد : فاني لم اهنك للحسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ،
ولا لتمنيه السلامة ، ولا لتكون له عندي شفيعا .
انظر فان نزل حسين وأصحابه على حكمي فابعث بهم إلي مسلما ،
وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون .
فان قتلت حسيناً فأوطيء الحيل صدره وظهره ، ولست أرى انه يضر بعد
الموت ، ولكن على قول قلته لو قتلته لفعالت هذا به ، فان أنت مضيت
لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا
ونخل بين شمربن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بذلك » (٢) .

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٧٥

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / وقريب منه جاء في انساب الأشراف
ق ١ ج ١ ، وجاء في تذهيب التهذيب ١ / ١٥١ ان ابن زياد كتب
لابن ساعد « لا ولا كرامة حتى يضم يده في يدي » فقال الحسين :
لا يكون ذلك أبداً .

- وكانت هذه الرسالة صارمة لا رحمة فيها ، ومحتوياتها ما يلي :
- ١ - انها قصرت صلاحية ابن سعد على عمليات الحرب والقتال ، ولم تمنحه أي صلاحية لاجراء الصلح او المفاوضات مع الامام .
 - ٢ - وعرضت ان الامام اذا استجاب للصلح فعليه أن ينزل ضارعا لحكم ابن مرجانة لينال نصيبه منه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ، وقد اراد أن يمثل الامام عنده كأصير او مذنب ليسترجه .
 - ٣ - ان الامام إذا لم يستجب للنزول على حكمه فعلى ابن سعد أن يسارع الى قتله والتمثيل به .
 - ٤ - انه هدده بالعزل عن منصبه إذا تردد في تنفيذ ما عهد إليه وعليه أن يسلم جميع مهام الجيش إلى شمر بن ذي الجوشن ليقوم بتنفيذ ما عهد إليه .

وبقول المؤرخون : ان ابن زياد جعل يقول : « الآن وقد علقتم مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص » وأسرع الشمر وهو جذلان مسرور ، وجعل يجذ في السير ليصل لابن سعد لعله لا يستجيب لأوامر ابن مرجانة فيكون هو الأمير على الجيش ، ووصل الشمر إلى كربلاء وكان ابن سعد مستنقعا في الفرات ، فبادر إليه رجل فقال له :

« قد بعث إليك جويرة بن بدر التميمي وأمره إن أنت لم تقا تل ان يضرب عنقك .

ووثب ابن سعد الى ثيابه فلبسها (١) والتفت الى شمر بن ذي الجوشن وقد عرف انها من مكيدته فقال له :

« ويلك لا قرب الله دارك ، توفيق الله ما جئت به ، واني لأظن

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٨

ألك الذي نهيتة ، وأفسدت علينا أمراً رجونا أن يصلح . . . والله لا يستسلم
حسين فان نفس أبيه بين جنبيه .

فأجابه الشمر

« اخبرني ما انت صانع أتمضي لأمر أميرك ؟ والا فخل بيني وبين

العسكر . . . » .

واستسلم ابن سعد لهواه واطمأعنه فرضى أن يبقى قائداً لجيش ظلوم

فقال له :

« لا ولا كرامة ، ولكن أتولى الأمر ، (١)

وظل الشمر رقيباً على ابن سعد لعله أن يقصر في أواخر سيده ابن

مرجانة ليتولى هو قيادة الجيش ، وبعث ابن سعد بجواب ابن زياد إلى

الامام ، فقال (ع) :

« لا والله ما وضعت يدي في يد ابن مرجانة ، (٢) .

الامام مع ابن سعد :

وطلب الامام من ابن سعد الاجتماع به ، فاجابه - على كره -

فالتقى معه ليلاً ، وعقد معه اجتماعاً مغلقاً لم يحضره الا العباس وعلي الأكبر من

جانب الحسين ومع ابن سعد حفص و غلام لابن سعد ، فقال الامام له :

« يا ابن سعد أتقاتلني ؟ أما تنفي الله الذي إليه معادك ، فاني ابن

من قد علمت ، ألا تكون معي وتدع هؤلاء فانه اقرب الى الله تعالى .

والقى ابن سعد معاذيره الواهية قائلاً :

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٨٧)

- أخاف ان تهدم داري
- أنا ابنها
- أخاف ان تؤخذ ضيعتي
- أنا اخلف عليك خيراً منها في الحجاز
- ان لي بالكوفة عيالا وأخاف عليهم من ابن زياد القتل
ولم يجد منه الامام أي تجاوب ، وانما رأى منه اصراراً على الغي
والعدوان فاندفع يدعو عليه ؛
« مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً ، ولا غفر لك يوم حشرك ،
فو الله اني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق الا يسيراً » .
وولى ابن سعد ، وهو يقول للامام بسخرية ؛ ان في الشعر كفاية (١)

أمان الشمر لأخوة العباس :

وظن الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن ان يقنع أخوة الحسين
بالعدول عن نصرة أخيم فحمل لهم اماناً من عبيد الله بن زياد ، وجاء
يشند حتى وقف أمامهم ، وهتف متنادياً
« اين بنو اختنا العباس واخوته ؟ »
وهبت إليه الفتية كالأسود ، فقالوا له :
« ما تريد يا بن ذي الجوشن ؟ »
« لكم الأمان »
وصاحوا به وهم يتميزون من الغيظ قائلين :

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٧٥

و لعنك الله ولعن أمانك ، أتوءمننا ، وابن بنت رسول الله (ص)
لا أمان له ، (١) .
وولى الأئيم خائباً ، وقد ظن أن اخوة الامام من طراز أصحابه
المسوخين ، ولم يعلم أنهم من افذاذ الدنيا الذين صاغوا الكرامة الانسانية
وصنعوا الفخر والمجد للانسان .

منع الامدادات :

وفرض ابن سعد الحصار على الامام الحسين (ع) فأحاط بجميع
الطرق مخافة أن يصل إليه أي امداد من الخارج ، وقد احكم هذه الجهة
حتى صار من غير الممكن أن يلتحق أي أحد بمعسكر الامام أو يوصلهم
بأي امداد .

احتلال الفرات :

وأخطر عملية قام بها ابن سعد احتلاله لنهر الفرات فقد صدرت إليه
الأوامر المشددة من ابن مرجانة بمنع الماء عن الامام الحسين وأهل بيته
وأصحابه فلا يذوقوا منه قطرة واحدة ، كما صنع بعثان بن عفان ،
وارسل قوة عسكرية تتألف من خمسمائة فارس ، وقيل أربعة آلاف فارس
بقيادة عمرو بن الحجاج فاحتلوا جميع الشرائع والأنهر المنفرعة من نهر
الفرات ، وأوصدوا على الحسين وأصحابه باب الورود إلى الماء ، وفيما
احسب أنه انما اتخذ هذا الاجراء القاسي الرهيب لما يلي :

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

أولاً : الاضرار بمعسكر الامام حتى لا تكون عندهم أية قدرة أو مقاومة على الحرب ، فلا تصاب قواته بالحسائر .

ثانياً : سد الطريق امام من يحاول الالتحاق بالحسين عن طريق الماء
ثالثاً : المبالغة في التشفي والانتقام من الأسرة النبوية لما فعله المسلمون
بعثان يوم الدار حينما حوصر ، ومنعوا عنه الماء ، ولكن الحسين فيما اجمع عليه المؤرخون قد حمل الماء إليه حينما حوصر وقد تنكر الأمويون لهذه اليد التي اسداها الامام عليهم .

رابعاً : ان ابن زياد كان يأمل بهذا الاجراء ان يستسلم الامام ويخضع لأوامره هذه بعض الأسباب التي دعت ابن مرجانة لاصدار اوامره باحتلال الفرات ، ومنع الماء عن الحسين وأصحابه .

ويقول المؤرخون : انه حبل بين الحسين وبين الماء قبل قتله بثلاثة أيام (١) ، وكان اعظم ما عاناه الامام من المحن الشاقة مشاهدة اطفاله وحرائر الرسالة ، وهم يعجون من ألم الظمأ القاتل ، فقد كان الاطفال ينادون : الماء . . الماء .

ولم يستطع الأطفال مقاومة العطش ، وكانوا ينظرون إلى الفرات وهو فياض بمائه ، فيزداد صراخهم ، وذاب قلب الامام رحمة وحنانا لذلك المشهد الرهيب ، فقد ذبلت شفاه اطفاله ، وذوى عودهم ، وجف لبن المراضع . بينما ينعم اولئك الجفافة بالماء ، يقول أنور الجندي :

وذئاب الشرور تنعم بالماء وأهل النبي من خير ماء
يا لظلم الأقدار يظماً قلب الليث والليث موثق الأعضاء
وصغار الحسين يبكون في الصحراء يا رب ابن خوثر القضاء

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٨٩) أنساب الأشراف

ق ١ ج ١ .

ان جميع الشرائع والمذاهب لا تبيح منع الماء عن الأطفال والنساء ،
 وخصوصاً الشريعة الاسلامية ، ففسدت جعلت الناس جميعاً شركاء في الماء
 والكلاء ، وسوغت الشرب من الانهار المملوكة حتى لو لم يأذن أربابها
 وكرهت أشد الكراهة ذبح الحيوان الأعجم عطشاناً ، لكن الجيش الأموي
 لم يحلل بذلك ، واستباح جميع ما حرّمته الشرائع والأديان .
 لقد تنكر اولئك الجفأة لليد البيضاء التي أسداها الامام على مقدمة
 جيوشهم التي كانت تتألف من الف فارس بقيادة الحر لالقاء القبض على
 الامام والحصار عليه في البيداء ، وكان قد بلغ بهم العطش كل مبلغ حتى
 أشرفوا على الهلاك ، وكان باستطاعته أن يبيدهم عطشا فأبى مروءته
 ورحمته أن يعاملهم بالقسوة فأمر فتيانه وهو معهم فسقامهم عن آخرهم كما
 أمر بسقي خيولهم وترشيفها على أنه كان في حاجة إلى الماء لأزته في وسط
 الصحراء الالهية ، ولم يقدر اولئك الاجلاف هذه النجدة فحرموه من
 الماء وحرّموا من كان في كنفه من سيدات أهل البيت واحفاد النبي (ص) .

الطباع اللثيمة :

وأخذ اولئك المسوخون يتباهون ويتفاخرون باستيلائهم على ماء
 الترات وحرمان ربحانة رسول الله (ص) منه ، ومن بينهم :

١ - المهاجر بن أوس

وانبرى المهاجر بن أوس التميمي صوب الامام رافعاً صوته :

« يا حسين ألا ترى الى الماء يلوح كأنه بطون الحياض ، والله لا نلدونه

او تموت ، فرد عليه الامام :

« إني لأرجو ان يوردني الله ويحلّكم عنه ، (١)

(١) أنساب الاشراف ق ١ ج ٢

٢ - عمرو بن الحجاج

واقبل عمرو بن الحجاج ، وكان ممن كاتب الحسين بالقدوم إلى الكوفة حتى قرب من معسكر الحسين فرفع صوته :
« يا حسين هذا الفرات تلغ فيه الكلاب ، وتشرب فيه الحمير والخنازير ، والله لا تدوق منه جرعة حتى تدوق الحميم في نار جهنم » (١)

٣ - عبد الله بن حصين

واقبل عبد الله بن حصين الأزدي يشتم كأنه الكلب نحو الامام فنادى :
« يا حسين الا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء ، والله لا تدوق منه قطرة حتى تموت عطشا » .

فرفع الامام يديه بالدعاء عليه وقال :

« اللهم اقبله عطشا ، ولا تغفر له أبداً » (٢)

لقد فخر اولئك الأجلاف باحتلالهم لماء الفرات ، تقرها لسيدهم ابن مرجانة وارضاء لعواطفه لينالوا جوائزه وهباته .

الانكار على ابن سعد :

وأنكر جماعة من أصحاب الامام الحسين وظهرهم على ابن سعد منعه الماء عن ريحانة رسول الله (ص) فقد كان ذلك احط اسلوب في الانتقام فقد اشرف اطفال الحسين على الهلاك وهم يرون الماء امامهم ، وليس هناك من سبب يدعو إلى هذا الانتقام الا الخسة والوحشية المتأصلة في نفوس ذلك الجيش ، ومن بين المنكرين عليه .

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) أنساب الأشراف ق ١ ج ١ الصراط السوي في مناقب آل النبي

(ص ٨٦) .

١ - يزيد بن حصين

وخرج يزيد بن الحصين فقال لابن سعد : « هذا الفرات تشرب منه الكلاب ، وهذا الحسين بن بنت رسول الله (ص) وأهل بيته عطاشي وأنت تزعم أنك تعرف الله ورسوله ؟ ! » .
واطرق ابن سعد بوجهه الخبيث إلى الأرض ، ولم يتكلم بشيء (١)

٢ - برير بن خضير

والطلق برير بن خضير الهمداني نحو ابن سعد فرفع صوته قائلاً :
« يا عمر أترك بيت النبوة يموتون عطشا ، وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوا منه ، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله .
فأجابه ابن سعد

« اني والله اعلم يا برير ان قاتلهم إلى النار ، ولكن تشير علي أن اترك ولاية الري فتصير إلى غيري ، ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً ، (٢) .

٣ - الحر

وحينما التحق الحر بمعسكر الامسام وتاب على يده خرج الى جيش ابن سعد فرفع صوته قائلاً :

« يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر اذ دعوتموه ، وأخذتم بكظمه

(١) أخبار الدول للقرماني (ص ١٠٨) وسيلة المآل في حد مناقب

الآل (ص ٢٩٠) مطالب السؤول (ص ٧٦) .

(٢) الفتوح ٥ / ١٧٢

واحطتم به من كل جانب فمتموه التوجه الى بلاد الله العريضة حتى يأمن
وأهل بيته ، واصبح كالأسير في ايديكم لا يملك انفسه نفعا ولا ضرا ،
وملأتموه ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي تشربه
اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكالابه ، وهامم
قد صرعهم العطش بشما خلفتم محمداً في ذريته لاسماكم الله يوم الظما ، (١) .
ولم يجد معهم هذا الانكار ، واصروا على بغيهم وعنادهم فحرموا
أبناء النبي (ص) من الماء حتى صرعهم العطش .

العثور على عين ماء :

واضر العطش بأهل البيت فتصارخت الاطفال ، والعيال ، وقام
الامام (ع) فأخذ كأسا وحفر حول خيمة النساء فنبعت عين ماء عذب
فشربوا منها إلا انها لم تلبث الا قليلا حتى غارت ونقلت الاستخبارات
لابن زياد ذلك فتميز غيظا فأرسل الى ابن سعد رسالة جاء فيها :
« بلغني أن الحسين يحفر الآبار ، ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه
فانظر اذا ورد عليك كتابي فامنهم من حفر الآبار ما استطعت ، وضيق
عليهم غاية التضييق . »

وفرض ابن سعد الرقابة الشديدة على حفر الآبار ، كما أحاط نهر
الفرات بمزيد من الحرس والجنود مخافة أن يأتي أحد منهم فيشرب
منه الماء (٢) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٩

(٢) مقتل الخوارزمي ١ / ٢٤٤ ، الفتوح ٥ / ١٦٢ ، بغية النبلاء :

القتال على الماء :

والتاع الامام كأشد ما تكون اللوعة الماء ومحنة حيناً رأى أطفاله وأهل بيتهم وهم يستغيثون من الظم القاتل ، فندب أخاه وابن والده أبا الفضل العباس لتحصيل الماء فانبرى البطل العظيم ، وصحب معه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ، وحملوا معهم عشرين قربة ، واقتحموا بأجمعهم نهر الفرات ، وقد تقدمهم نافع بن هلال المرادي ، فاستقبله عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وكان هو المسؤول عن حراسة الفرات ، فقال له :

- ما جاء بك ؟

- جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه

- اشرب هنيئاً

- افأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه

- لا سبيل الى سقي هؤلاء انما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء

ولم يحفل به أصحاب الامام ، فاقتحموا الفرات ليملاؤوا قربهم فنار

عليهم عمرو بن الحجاج مع مفرزة من جنوده، والتحم معهم العباس ونافع

ابن هلال ، ودارت بينهم معركة إلا انه لم يقتل فيها أحد وعاد أصحاب

الامام بعد أن ملأوا قربهم من الماء وقيل انهم لم يعودوا إلا بشيء يسير

منه (١) واروى العباس عطاشي أهل البيت وأنقذهم من الظم ، ولقب من

ذلك اليوم بالسقاء وهو من أشهر القباية ذيوهاً ، ومن أحبها عنده .

استنجد حبيب بأسرته :

وكان حبيب بن مظاهر من أفنداء اصحاب الحسين ومن أكثرهم

اخلاصاً وولاءاً له ، ولما رأى وحدة الامام وتظافر القوى الغادرة هل

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

حربه طلب منه ان يأذن له ليستنجد بأسرته من بني أسد ليحضون بالجهاد بين يديه قائلاً :

« إن هاهنا حياً من بني أسد أعراباً ينزلون با (لنهرين) وليس بيننا وبينهم إلا راحة افتأذن لي في اتيانهم ودعائهم ، لعل الله أن يجد بهم إليك نفعاً أو يدفع عنك مكروهاً » .

فاذن له الامام فانطلق مسرعاً إليهم ، ولما مثل عندهم قال :
« إني ادعوكم إلى شرف الآخرة وفضائلها وجسيم ثوابها أنا ادعوكم الى نصره ابن بنت رسول الله نبيكم (ص) فقد اصبح مظلوماً ، دعاه أهل الكوفة لينصروه فلما أتاهم خذلوه وعمدوا عليه ليقتلوه » .
فاستجاب له سبعون شخصاً (١) وكان من بينهم عبد الله بن بشر الأسدي ، فقال : أنا أول من يجيب هذه الدعوى ثم جعل يرتجز .

قد علم القوم اذا تواكلوا واحجم الفرسان او تناقلوا
اني شجاع بطل مقاتل كأنني ليث عرين باسل (٢)
وخفوا الى نصره الامام الا انه كان في المجلس عين لابن سعد فأسرع إليه وأخبره بذلك ، فجهز ممرزة من جيشه بقيادة جبلة بن عمر فحاولوا بينهم وبين الالتحاق بالحسين ، فرجع حبيب حزيناً فأخبر الامام بذلك فقال : « الحمد لله كثيراً » (٣) وظل الامام مع اصحابه وهم يعانون أشد الضيق من الحصار الذي فرض عليهم ، وينتظرون الأحداث الرهيبة التي يلافونها على صعيد كربلا .

(١) في رواية تسعون شخصاً

(٢) بقية النبلاء الجزء الثاني

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

مَعَ الْمَعْسُكِينَ

وعلى الصعيد الطيب من ارض كربلاء التحمت القوى الغادرة مع جنود الله وخلايا التوحيد الذين شرح الله صدورهم للايمان فناظلوا وهم على يقين بعدالة قضيتهم . . على العكس من خصومهم الذين كانوا تملكهم الحيرة والقلق النفسي فكانوا يقاتلون وهم على علم بضلالة قصدهم وانحرافهم عن الطريق القويم ، ولا بد لنا من وقفة قصيرة للتحدث عن كلا المعسكرين .

المعسكر الحسيني :

أما المعسكر الحسيني فانه كان يمثل شرف الانسان ، ويمثل القيم الكريمة والانجازات العظيمة التي يسمو بها كل انسان نبيل ، وحسبه أنه وحده في تاريخ هذه الدنيا قد كُتِبَ له الخلود والبقاء فليس في اسرة شهداء العالم مثل شهداء كربلاء شرفاً ومجداً واندفاعاً في نصره الحق ، وتفانياً في سبيل العدل ، ونشير إلى بعض المظاهر من أهدافهم وذاتياتهم .

الأهداف العظيمة :

أما الأهداف العظيمة التي رفعوا شعارها ، وناظلوا ببسالة وايمان من أجلها فهي :

١ - الدفاع عن الاسلام :

وهبَّ أنصار الامام بكل اخلاص وايمان للدفاع عن الاسلام وصيانة مبادئه التي استهترت بها السلطة الأموية ، وقد اخلصوا في دفاعهم كاهظم وأروع ما يكون الاخلاص ، وأدلة ذلك متوفرة في جميع مواقفهم المشرفة

فالعباس (ع) الذي كان من أمس الناس رحماً بالامام والصفتهم به لم يندفع بتضحيتهم الفلذة بدافع الاخوة وغيرها من الاعتبارات الخاصة ، وانما اندفع بحماس لحماية الاسلام ، وحماية امام من أئمة المسلمين فرض الله مودته وطاعته على الناس أجمعين ، وقد أدلى بذلك في ميدان القتال بعد أن برى القوم بينه فقال مرتجراً :

والله إن قطعتم يميني اني أحامي أهدأ عن ديني

وعن امام صادق يقيني نجل النبي الطاهر الأميني

ومعنى هذا الرجز - بوضوح - انه لم يندفع بجهاذه بدافع الاخوة ، وانما اندفع لحماية الدين ، وحماية امام صادق على سبيل اليقين ، واعلن غير العباس من أصحاب الامام هذه الحقيقة .

لقد غلظهم ابو عبد الله (ع) بروحه وهديه ، وغمرهم بأخلاقه فابتعدت ارواحهم عن الدنيا وتجردوا من مادة الجسد ، وتحررت قلوبهم وعواطفهم من شواغل الحياة . . فأبي معلم كان الحسين ؟ وأي مدرسة ماهمة كانت مدرسته ؟ وهل تستطيع أجيال الدنيا ان توجد مثل هذا الطراز إيماناً بالله ، واخلاصاً للحق .

٢ - حماية الامام والدفاع عنه :

وهناك ظاهرة خاصة أخرى من اهداف اصحاب الامام وهي حماية الامام من أولئك الوحوش الذين تضافروا على قتله ، وقد تفانى اصحاب الامام في الولاء والاخلاص له ، وضربوا بذلك ارواح الأمثلة للوفاء ، فهذا مسلم بن عوسجة ، وهو من افذاذ انصار الامام لما برز الى القتال ،

ووقع صريعاً على الأرض قد تناهت السيوف والرماح جسمه مشى إليه
الامام مع حبيب بن مظاهر وكان البطل يعاني آلام الاحتضار ، فطلب منه
حبيب أن يوصي إليه بما أهمه ، فقال له بصوت خافت حزين النبرات :
« أوصيك بهذا - وأشار الى الامام - أن تموت دوله » (١)

أي وفاء هو معرض للزهو والتمخار مثل هذا الوفاء ؟ لقد أعطى
لأجيال الدنيا الدروس في الولاء الباهر للحق ، فهو في لحظاته الأخيرة ،
وحشجة الموت في صدره لم يفكر الا بالامام ، وأعرض عن كل شيء
في حياته .

وهذا البطل العظيم سويد بن أبي المطاع الذي هو من أنبل الشهداء
وأصدقهم في التضحية هوى جريحاً في المعركة فتركه الأعداء ، ولم يجهزوا
عليه لظنهم انه قد مات ، فلما نادوا بمصرع الامام لم يستظم أن يسكن
لينجو ، ققام والتمس سيفه فاذا هم قد سلبوه ، ونظر الى شيء يجاهد به
فوقعت يده على مدية ، فأخذ يوصع القوم طعناً فذعروا منه ، وحسبوا
أن الموتى أعيدت لهم حياتهم ليستأنفوا الجهاد ثانياً مع الامام ، فلما تبين
لهم ان الأمر ليس كذلك ، انعطفوا عليه فقتلوه ، فكان - حقاً - هذا
هو الوفاء في اصحاب الامام حتى الرمق الأخير من حياتهم .

ولم يقتصر هذا الوفاء على الرجال ، وانما سرى إلى النساء اللاتي
كن في المعركة ، فكانت المرأة تسارع إلى ابنتها تنصرع إليه ليستشهد بين
يدي الامام ، والزوجة تسارع الى زوجها ليدافع عن الامام ، وهن لم
يخفلن بما يصيبهن من الشكل والحداد .

ومما يثير الدهشة ان الاطفال من الأسرة النبوية قد اندفعوا نحو
الامام وهم يقبلون يديه ورجليه ليمنحهم الأذن في الشهادة بين يديه ،

(١) الطبري ٦ / ٢٤٩

ومن بينهم عبد الله بن الحسن وكان له من العمر احدى عشر سنة لما رأى الأعداء قد اجتمعوا على قتل عمه لم يستطع صبراً وأسرع فاندفعت عمته زينب لتمسكه فامتنع عليها ، واخذ يركض حتى انتهى إلى عمه ، وقد اهوى البحر بن كعب بسيفه ليضرب الامام فصاح به الغلام .

« يا بن الخبيثة انضرب عمي ؟ »

فانعطف عليه الخبيث الدنس فضربه بالسيف على يده فاطنهما إلى الجلد فاذا هي معلقة (١) ورمى الغلام بنفسه في حجر عمه فسدد له حرمة سهماً خادراً فذبخه وهو في حجر عمه لقد استلذ الموت في سبيل عمه . . . وكثير من أمثال هذه الصور الرائعة التي لم تمر على شاشة الدهر قد ظهرت من أصحاب الحسين وأهل بيته .

٣ - تحرير الامة من الجور :

وكان من أهداف معسكر الامام الحسين تحرير الأمة من طغيان الأمويين وجورهم فقد أذاعوا الظلم وأشاعوا الفساد في . يع انحاء العالم الإسلامي ، وقد هب أصحاب الامام للاطاحة بذلك الحكم ، واعادة حكم الاسلام ، وقد المعنا الى ذلك بصورة موضوعية وشاملة عند البحث عن أسباب ثورة الامام .

٤ - النزعات الفذة :

وتتمتع اصحاب الحسين بكل نزعة كريمة قد امتازوا بها على غيرهم من سائر الناس ، ومن بينها :

(١) الطبري ٦ / ٢٥٩

١ - الابهاء والعزة

ومن ذلبيات اولئك الأحرار الابهاء وعزة النفس فقد استطابوا الموت في سبيل كرامتهم ، يقول سيد الابهاء الامام الحسين : « والله لا أرى الموت الاسعاده والحياة مع الظالمين إلا برما ، ويقول ولده الهار علي الأكبر في رجزه الذي كان نشيداً له يوم الطف :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبوي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي

لقد افرغ الامام الحسين على اصحابه واهل بيته قبساً من روحه فاستقبلوا الموت بسرور من اجل العزة والكرامة والابهاء :

٢ - البسالة والصمود

وظاهرة أخرى من نزعات معسكر الامام هي البسالة ، فقد كانوا من اندر ابطال العالم فهم على قلتهم قد صمدوا في وجه ذلك الجيش الجبار فحطموا معنوياته ، وانزلوا به امدح الخسائر ، يقول المؤرخ الانكليزي « پرس سايكس » : « ان الامام الحسين وعصبته المؤمنة القليلة عزموا على الكفاح حتى الموت ، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى اعجابنا واكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا » (١) .

لقد غرهم الامام بمعنوياته وروحه الوثابة ، ومن الطبيعي ان لشخصية القائد أثراً مهماً في بث الروح المعنوية في نفوس الجيش ، فان جهاز القيادة انما هو رمز السلطة التي تدفع بالجنود الى القتال (٢) وقد اندفع اصحاب

(١) تاريخ ايران لپرس سايكس

(٢) علم النفس العسكري ١ / ٣٦

الامام بهزم ثابت لا يعترف بالعقبات ولا بالحواجز زحف الجيش الأموي حتى ضاقت عليه الأرض ، ولاذ أكثرهم بالهزيمة ، يقول بعض جنود ابن زياد لشخص عاب عليه اشتراكه في حرب الامام :

« عضضت بالجنيدك انك لو شهدت ماشهدنا لفعلت ما فعلنا ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضاربة تحطم الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقي انفسها على الموت لا تقبل الامان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية أو الاستيلاء على الملك ، فلو كففنا عنها رُويداً لأنت على نفوس المعسكر بحدافيره فما كنا فاعلين لا أم لك » (١) .

وكان كعب بن جابر الأزدي من جنود ابن زياد ، وقتل سيد القراء في الكوفة بربر بن خضير ، واعان على قتل سيد الشهداء ، وقد نظم مقطوعة اشاد فيها بشجاعة اصحاب الامام يقول :

سلي تخبرى عني وأنت ذميمة	غداة حسين والرماح شوارع
الم أت اقصى ما كرهت ولم يخجل	على غداة الروح ما انا صانع (٢)
معي يزني لم تخننه كعوبه	وابيض مخشوب الفرارين قاطع (٣)
فجردته في عصبة ليس دينهم	بديني واني بابن حرب لقانع (٤)

(١) شرح النهج ٣ / ٢٦٣

(٢) الروح : الحرب

(٣) يزني : رمح منسوب الى ذى زن أحد ملوك حمير ، الكعوب : ما بين الانايب ، ابيض : السيف مخشوب الفرارين ؛ أى مشحوذ الحديد .

(٤) ابن حرب : اراد به معاوية

اشد قراعا بالسيوف لدى الوطا الاكل من يحمي الدمار مقارع (١)
 وقد صبروا للضرب والظعن حسراً وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
 فابلق عبيد الله اما لقيته بانني مطيع للخليفة سامع
 قتلت بريراً ثم حملت نعمة أباً منقلد لما دعا من يماصع (٢)
 وقد أبدى كعب اعجابه البالغ ببسالة أصحاب الامام فهو ولا غيره
 لم يشاهدوا مثلهم في شجاعتهم وصمودهم ، فقد صبروا على الضرب
 والظعن ، وملاقاة الختوف . . وكان من شجاعتهم النادرة - فيما يقول
 بعض المؤرخين - انه ما انهزم واحد منهم ، ولا قتل الا وهو مقبل غير
 مدبر ، وقد بذلوا قصارى ما يمكن من البطولة والشجاعة والثبات ، وصدق
 النية ومضاء العزيمة لحماية الامام والدفاع عنه ، وقد نهى عمرو بن الحجاج
 الزبيدي عن مبارزتهم يقول لأهل الكوفة :

« أندرون لمن تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر ، وقوماً
 مستميتين لا يبرز إليهم احد منكم الا قتلوه على قلتهم ، (٣) .
 وقد حفل كلامه بالصفات الماثلة فيهم ، ومن بينها :
 أ - انهم فرسان اهل الكوفة ، بل هم فرسان العرب على الاطلاق
 ب - انهم من ذوي البصائر الحية ، والنفوس اليقظة وقد خفوا
 لنصرة الامام على بصيرة من أمرهم لا طمعاً في المال ولا الجاه .
 ج - انهم يقاتلون قتال المستميت الذي لا أمل له في الحياة ، وهم
 بذلك أقدر على انزال الهزيمة باعدائهم الذين تطعموا بالخيانة والعدو .
 ويقول العقاد في بسالتهم : « وكان مع الحسين نخبة من فرسان

(١) القراع : المضاربة

(٢) يماصع : يقاتل

(٣) الطبري ٦ / ٢٤٩

العرب كلهم لهم شهرة بالشجاعة والبأس ، وسداد الرمي بالسهم ، ومضاء الضرب بالسيف ، ولن تكون صحبة الحسين غير ذلك بداهة وتقديراً ، لا يتوقفان على الشهرة الدائنة والوصف المتواتر لأن مزاملة الحسين في تلك الرحلة هي وحدها آية على الشجاعة في ملاقات الموت ، (١) .
انه من المؤكد انه ليس هناك أحد من أصحاب الامام من يطمع في عرض من امراض الدنيا ، ولا يلتبس أجراً غير ثواب الله والدار الآخرة . . .

عناصر جيش الامام :

ويتألف جيش الامام من عنصرين وهما :

١ - المولى

أما المولى فكانوا على علاقة وثيقة بالامام الحسين (ع) نظراً للسياسة للعادلة التي تبناها الامام امير المؤمنين فيهم ، ولو كانت الظروف متهياة لهم لالتحق القسم الكبير منهم بالامام ، وقد ضم جيشه من يلي منهم :

١ - سليمان مولى للحسين

٢ - قارب الدثلي مولى للحسين

٣ - الحارث بن نبهان مولى لحمزة بن عبد المطلب

٤ - مسخ مولى للحسين (١)

٥ - عامر بن مسلم مولى لسالم

٦ - جابر بن الحجاج مولى لعامر بن نهشل

٧ - سعد مولى لعمر بن خالد الصيداوي

(١) ابو الشهداء (ص ٢١٥)

(٢) قتله حسان بن بكر الحنظلي

- ٨ - رافع مولى لأهل شنوة
٩ - شوذب مولى لشاكر بن عبد الله الهمداني الشاكري (١)
١٠ - اسلم التركي مولى للحسين (٢)
١١ - جون مولى أبي ذر الغفاري (٣)
١٢ - زاهر مولى لعمر بن الخزاعي (٤)
وهؤلاء الموالي الذين فاقوا الأحرار في شرفهم والدفاعهم لنصرة الحق
قد فازوا بنصرة سيد شباب أهل الجنة ونعموا بالشهادة بين يديه .
العرب

وبقية انصار الحسين الممجدين كانوا من العرب واكثرهم من سكان
الكوفة ، واما من البصرة فانه لم يستشهد معه الا عدد قليل ، كما التحق به
من الحجاز الصحابي الكبير انس بن الحارث الكاهلي .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن معسكر الحسين .

المعسكر الأموي :

أما المعسكر الأموي فقد كانوا مجموعة من الخونة وباعة الضمير
وليس فيهم أي انسان شريف ، كما كانوا على يقين لا يخامره أدنى شك
في ضلالة قصدهم ، وانحرافهم عن الطريق القويم : : : ومثلهم بعض
مظاهر ما اتصفوا به .

(١) الحدائق الوردية ١ / ١٢٥ - ١٢٦

(٢) اعيان الشيعة قسم الأول / ١٢٦

(٣) بحار الأنوار ٤٥ / ٢٢

(٤) المناقب ٤ / ١١٣

١ - فقدان الارادة :

والظاهرة البارزة في ذلك الجيش فقداه لارادته واختياره ، فقد كان اكثرهم - فيما يقول المؤرخون - قلوبهم مع الامام ، وسبوفهم مشهورة عليه ، لقد خفوا الى حرب من يعتقدون بعدالة قضيته ، وانه وحده الذي يحقق اهدافهم وما يصبون إليه ، ولو كان عندهم ذرة من الشعور والاحساس لعدوه بارواحهم ، ونفوسهم ، وما خانوه بعد ما عاهدوا الله في نصرته والذب عنه .

٢ - القلق والحيرة :

واستوعبت الحيرة وخيانة النفس نفوس الكثيرين من المعسكر الأموي فقد كانوا على يقين أنهم على مزلة الباطل ، وان الحسين وأصحابه على جادة الحق ، وقد أدلى شبت بن ربيعي ، وهو احد زعماء ذلك الجيش ، ومن اركانه القياديين بهذه الظاهرة يقول :

« قاتلنا مع علي بن أبي طالب ، ومع ابنه الحسن من بعده آل أبي سفيان خمس سنين ، ثم عدونا على ولده وهو خير أهل الأرض فقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ، ضلال بالك من ضلال ! ! والله لا يعطي الله اهل هذا المصر خيراً ابداً ، ولا يسددهم لرشد . »

وكشفت هذه الكلمات عن مدى القلق النفسي الذي كان يساور شبت بن ربيعي ، ولا شك ان هناك المئات من أمثاله ممن كانوا يجدون في قرارة نفوسهم تأنيباً حاداً على حربهم لربحالة رسول الله (ص) كما أن الكثيرين منهم كانوا يحجمون من الدخول في عمليات الحرب ، وقد لمس

ذلك فيهم عمرو بن الحجاج فاندفع يقول لهم :

« لا ترتابوا في قتال من مرق من الدين ،

ومن مظاهر تلك الحيرة انه لم يؤثر عن أحد انه انشد رجزاً (١) اشاد فيه بالغاية التي كان يندشها ويقاقل من اجلها الامام ، فقد كمت الأفواه واخرست الألسن ، وانما كان الرجز من اصحاب الامام الحسين وأهل بيته فقد مثل اهدافهم ومبادئهم التي استشهدوا من أجلها . . . لقد كان الرجز هو اللشيد العسكري السائد في تلك العصور فبه يتغنى المقاتلون في اثناء الحرب ، ويفتخرون بشجاعتهم وبطولانهم ، ويتوعدون اعداءهم بالقتل والهزيمة ، لقد أصبح الرجز في تلك المعارك كسلاح من اسلحة القتال يعتمد عليه المقاتلون كما يعتمدون على آلات الحروب من السيوف والسهام والرماح ، ففي واقعة الجمل كان اصحاب عائشة يندشون الرجز الذي يمثل اندفاعهم نحو امهم ، واصحاب الامام كانوا يذكرون في رجزهم دفاعهم عن الامام امير المؤمنين ، وانه فرض ديني عليهم ، وكذلك في معركة صفين ، أما في واقعة كربلاء فلم يؤثر بيت من الشعر نظمه أو تمثل به أحد من المعسكر الأموي وهو آية على شيوع الحيرة والتردد في نفوسهم فقد عرفوا جميعاً عرفاناً لا تسعه المغالطة ولا الالكار اثم ما اقترفوه وانهم قد ارتطموا في الباطل وماجوا في الضلال . . .

٣ - الفسق :

وطائفة كبيرة كانت في الجيش الأموي قد عرفت بالفسق والتحلل ، فقد كانوا من المدمنين على الخمر ، ويقول المؤرخون ان الدين حملوا رؤوس

(١) يقول ابن حبيب : كانت العرب تقول : الرجز في الحرب

والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى جاء ذلك في الأغاني ١٨ / ١٦٤

الشهداء الى دمشق كالوا يشربون الخمر طيلة الطريق وقد ذكرنا في البحوث السابقة بعض ما اتصفوا به من الكذب وعدم الحرص في الدين .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض صفات ذلك الجيش .

عناصر الجيش :

ويتألف الجيش الأموي من عدة عناصر ومن بينها :

١ - الانتهازيون :

وهم الذين يتقدمون السلطة للرغبة والرغبة ، ويسعون وراء مصالحهم ولا يؤثرون الحق في سلوكهم وتصرفاتهم سوى السعي وراء مصالحهم الخاصة ، وقد شاعت هذه الفئة في معسكر ابن زياد ، واسندت لها المناصب الحساسة في الجيش وهم امثال عمر بن سعد ، وحجار بن ابجر ، وشيث ابن ربيعي ، وشمر بن ذي الجوشن ، وقيس بن الأشعث وزيد بن الحرث وغيرهم من الذين طلقوا المعروف ثلاثاً ، ولم تصدر منهم في جميع فترات حياتهم أية بادرة من بوادر الخير سوى ما يضر الناس .

٢ - المرتزقة :

وهناك طائفة كبيرة من الجيش قد اندفعوا لحرب الامام تسوقهم الأطماع الرخيصة ، والأمل على حصول مغنم في الحرب ، وقد هرعوا بعد قتل الامام - بنحسة - الى السلب والنهب فمالوا على ثقل الامام ومتاعه فنهبوه ، وعمدوا الى سلب حرائر النبوة وعقائل الوحي فلم يتركوا ماعليهن من حلي وحلل ، وعمدوا الى سلب ما على الامام وسائر الشهداء من الملابس ولامات الحرب ، ويقول المؤرخون : انهم سلبوا جميع ملابس الحسين حتى تركوه عرياناً ليس عليه ما يوارى جسده الشريف ، وسنعرض لذلك عند التحدث عن مقتل الامام

٣ - المسوخون :

ومن بين العناصر التي ضمها المعسكر الأموي المسوخون ، وهم الذين امتلئت صدورهم بالحقد والكراهية لجميع الناس ، وأهم رغباتهم النفسية المدايح الطائشة ، والاندفاع نحو الجريمة تلبية لنداء الجريمة المتأصلة في نفوسهم .

وقد بلغت تلك الطغمة من المسوخين في اقتراف الجرائم ، فتسابقوا إلى قتل الأطفال من آل النبي وترويع النساء ، وهم يفخرون بما يقترفونه من الخزي والعار ، ومن بين هؤلاء الوحوش الكواسر السفاح الحقير شمر بن ذي الجوشن ، وحرملة بن كاهل والحكيم بن طفيل الطائي وسنان بن انس وعمرو بن الحجاج ، واما لهم من كلاب الطراد كما سماهم بذلك بعض المؤرخين ، وقد صدرت منهم في كربلاء من القساسة ما ترفع عنه الوحوش والكلاب .

٤ - المكروهون :

وهناك طائفة من الجيش قد أرغمت على حرب الامام ، فقد حملتهم السلطة على الخوض في هذه المعركة وكانت عواطفهم ومشاعرهم مع الامام الا ان الجبن وخور النفس ، قد منعهم من نصرته ، وهؤلاء لم يشتركوا في الحرب ، وانما كانوا يتضرعون الى الله في أن ينزل نصره على ابن بنت نبيه ، وقد انكر عليهم واحد منهم فقال لهم : هلا تهبوا الى نصرته والدفاع عنه بدل الدعاء (١) ، وبما لا شبهة فيه انهم قد اقترفوا

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

انما عظيما ، وشاركوا المحاربين في جريمتهم لأنهم لم يقوموا بانقاذ الامام
وحمايته من المعتدين :

٥ - الخوارج :

ومن بين العناصر التي اشتركت في حرب الامام الخوارج ، وهم
من احقد الناس على آل النبي (ص) لأن الامام امير المؤمنين (ع) قد
وترهم في واقعة النهروان ، فتسابقوا إلى قتل العترة الطاهرة للتشطي منها .
هذه بعض العناصر التي ضمها جيش ابن زياد ، وقد جاء وصلهم
في احدى زيارات الامام الحسين (ع) مانصه :

« وقد توارر عليه - أي على حرب الامام - من غرته الدنيا ،
وباع حظه بالأرذل الأدنى ، وشرى آخرته بالثمن الأوكس ، وتردى
في هواه ، (١) .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن معسكر الامام ، ومعسكر ابن زياد ،
لنقف على فصول المأساة الخالدة في دنيا الاحزان :

(١) مفاتيح الجنان (ص ٤٦٨)

المأساة الخالدة

ولم تشاهد أمة من الأمم محنة أوجع ولا أفجع من كارثة كربلاء ، فلم تبق رزية من رزايا الدهر ، ولا فاجعة من فواجع الدنيا الا جرت على سبط رسول الله وريحانته . . . وقد الهبت رزاياه العواطف حزناً وأسى وأثارت اللوعة حتى عند اقل الناس احساساً واقسام قلباً وقد أثرت على الباغي اللثيم عمر بن سعد فراح يبكي من أهوال ما جرى على الامام من فوادح الخطوب .

لقد انتهكت في كارثة كربلاء حرمة الرسول (ص) في عترته وذريته يقول الامام الرضا (ع) :

« ان يوم الحسين اقبح جفوننا وأذل عزيزنا . . »
ونعرض الى فصول تلك المأساة الخالدة في دنيا الأحزان ، وما رافقها من الاحداث الموجهة .

زحف الجيش :

وتدافعت القوى الغادرة التي ماثت نفوسها الشريرة بالأحقاد والأضغان على العترة الطاهرة التي تبنت حقوق المظلومين والمضطهدين ، وجاهدت من أجل احقاق الحق .

لقد زحفت طلائع جيش ابن سعد نحو الامام في عصر الخميس لتسع خلون من شهر محرم ، فقد صدرت إلى القيادة العامة الأوامر المشددة من ابن زياد بتعجيل القتال خوفاً من أن يتبلور رأي الجيش ويحدث انقسام في صفوفه ، ولما زحف ذلك الجيش كان الحسين جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه إذ خفق برأسه ، فسمعت أخته عقيلة بنتي هاشم زينب (ع) أصوات الرجال وتدافعهم نحو أخيها فانبرت إليه وهي فزعة مرعوبة

فابقظنه فرفع الامام رأسه فرأى أخته ، فقال لها بعزم وثبات :
« إني رأيت رسول الله (ص) في المنام ، فقال : إنك تروح
إلينا . . . » .

وذابت نفس العقيلة ، وانهارت قواها فاطمت وجهها وقالت
بنبرات حزينة :

« يا وليتاه . . . » (١)

والتفت ابو الفضل العباس إلى أخيه فقال له : يا أخي أتاك القوم
فطلب منه الامام أن يتعرف على خبرهم قائلًا له :
« اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم ، فتقول لهم : ما بدا
لكم ، وما تريدون ؟ » .

واسرع ابو الفضل نحوهم ، ومعه عشرون فارساً من اصحابه ،
وفيهم زهير بن القين وحبیب بن مظاهر ، وسألهم العباس عن زحفهم ،
فقالوا له :

« جاء أمر الأمير ان نعرض عليكم النزول على حكمه أو لناجزكم » (٢)
وقفل العباس إلى أخيه يعرض عليه الأمر ، واقبل حبيب بن مظاهر
على القوم فجعل يعظهم ، ويدكرهم الدار الآخرة قائلًا :
« أما والله لبئس القوم يقدمون غداً على الله عز وجل ، وعلى رسوله
محمد (ص) وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين بالاسحار ، الذاكرين
الله كثيراً بالليل والنهار وشيعته الاتقياء الابرار » (٣) .
فرد عليه عزرة بن قيس قائلًا :

(١) ابن الأثير ٣ / ٢٨٤

(٢) انساب الاشراف ق ١ ج ١ ، البداية والنهاية ٨ / ١٧٧

(٣) الفتوح ٥ / ١٧٧

« يا بن مظاهر انك لتزكي نفسك ! ! »

وانبري اليه زهير بن القين قائلاً :

« اتق الله يا بن قيس ، ولا تكن من الذين يعينون على الضلال ،

ويقتلون النفس الزكية الطاهرة عثرة خيرة الأنبياء » (١) ،

فقال له عزرة :

« كنت عندنا عثمانيا فما بالك ؟ »

فقال زهير :

« والله ما كتبت إلى الحسين ، ولا أرسلت إليه رسولا ، ولكن الطريق جمعني وإياه ، فلما رأيتك ذكرت به رسول الله وعرفت ما تقدمون من غدركم ، وكثرتكم ، وسبيلكم إلى الدنيا فرأيت أن انصره ، واكون في حزه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله (ص) » (٢) .

وعرض ابو الفضل مقالة القوم على اخيه ، فقال له :

« ارجع إليهم فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة ، وندعوه ، ونستغفره فهو يعلم أنني أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار » .

ورجع إليهم ابو الفضل العباس ، فأخبرهم بكلام أخيه ، وعرض ابن سعد الأمر على الشمر خوفاً من وشايته اذا استجاب لطلب الامام وأخر القتال فقد كان المنافس الوحيد له على امارة الجيش كما كان عيناً عليه ، أو انه أراد أن يكون شريكاً له في المسؤولية فيما إذا عاتبه ابن زياد على تأخير الحرب .

(١) الفتوح • ١٧٧ /

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

وعلى أي حال فإن الشمر لم يبد رأيه في الموضوع ، وإنما حاله
لابن سعد ، وانبرى عمرو بن الحجاج الزبيدي فأنكر عليهم أحجامهم عن
اجابة الامام قائلا :

« سبحان الله ! ! والله لو كان من الديلم ثم سألكم هذه المسألة
لكان يلغي أن تجيبوه : » (١) .

ولم يزد ابن الحجاج على ذلك فلم يقل انه ابن رسول الله (ص)
خوفاً من أن تنقل الاستخبارات العسكرية حديثه الى ابن مرجانة فينال
العقاب او العتاب والحرمات منه . . . وايد ابن الأشعث مقالة ابن الحجاج
فقال لابن سعد :

« أجبهم إلى ما سألوا فلعمرى ليصحبك بالقتال هداً »
وإنما قال ابن الأشعث ذلك لأنه حسب ان الامام يتنازل لابن زياد
فلذا رغب في تأخير القتال الا انه لما استبان له ان الامام مصمم على
الحرب ندم على كلامه وراح يقول :

« والله لو اعلم أنهم يفعلون ما أخرتهم » (٢)
لقد اتخذ ابن الأشعث من خلقه و اخلاق اهل الكوفة مقياساً يقيس
به قيم الرجال فظن ان الامام سوف يستجيب للذل والهوان ويتنازل عن
اداء رسالته الكبرى ، ولم يعلم ان الامام يستمد واقعه واتجاهاته من
جده العظيم .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٥ ، انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

تأجيل الحرب الى الصبح :

واستجاب ابن سعد إلى تأجيل الحرب بعهد أن رضيت به اكثرية القادة من جيشه ، وأوعز ابن سعد إلى رجل من أصحابه أن يعلن ذلك فدنا من معسكر الحسين وصاح : « يا أصحاب الحسين بن علي قد اجلناكم يومكم هذا إلى غد فان استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجهنا بكم إليه وان ايتم ناجزناكم ، (١) وارجىء القتال إلى اليوم العاشر من المحرم وظل أصحاب ابن سعد ينتظرون الغد هل يجيبهم الامام أو يرفض مادعوه إليه .

الامام يأذن لأصحابه بالتفرق :

وجمع الامام اصحابه واهل بيته ليلة العاشر من المحرم ، وطلب منهم أن ينطلقوا في رحاب الأرض ويتركوه وحده ليلقى مصيره المحتوم ، وقد اراد ان يكونوا على هدى وبينة من امرهم ، فقال لهم :
« أنبي على الله احسن الثناء ، واحمده على السراء والضراء . . .
اللهم اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن ، وفهمتنا في الدين وجعلت لنا اسماعا وابصارا وافئدة ولم تجعلنا من المشركين .
أما بعد : فاني لا أعلم اصحابا اوفى ولا خيراً من اصحابي فجزاكم الله جميعاً عني خيراً ، الا واني لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء هُداً ، واني قد اذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حل ليس عليكم مني ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيته

(١) الفتوح ٥ / ١٧٩

فجزاكم الله جميعاً خيراً ، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم انما يطلبونني ، ولو اصابوني لموا عن طلب خيري ، (١) .
 وتمثلت روعة الايمان بهذا الخطاب العظيم الذي كشف جانباً كبيراً عن نفسية الامام رائد الكرامة الانسانية ، ففسد تجنب في هذا الموقف الدقيق جميع الوان المنعطفات ، فجعل أصحابه وأهل بيته أمام الأمر الواقع وحدد لهم النتيجة التي لا مفر منها وهي القتل والتضحية وليس هناك شيء آخر غيرها . . . وقد رغب أن يخلوا عنه ، وينصرفوا تحت جناح الظلام فيتخذون منه ستاراً دون كل عين فلملهم ينجلون أن يبتعدوا عنه في ضوء النهار ، أو انهم يخشونه فجعلهم في حل من التزاماتهم تجاهه ، وعرفهم

(١) ابن الاثير ٣ / ٢٨٥ ، المنتظم لابن الجوزي ، وروي كلامه بصورة اخرى فقد جاء في مقتل الحسين لعبد الله ، انه (ع) قال :
 انتم في حل من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم ، وقال لأهل بيته : قد جعلتكم في حل من مفارقتي فانكم لا تطيقوهم لتضاعف اعدادهم وقواهم وما المقصود بخيري فدعوني والقوم فان الله عز وجل يعينني ولا يخليني من حسن نظره كعادته مع اسلافنا الطيبين ، ففارقه جماعة من معسكره فقال له اهله : لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك ، ويصيبنا ما يصيبك ، وانا اقرب ما نكون الى الله اذا كنا معك ، فقال لهم : إن كنتم وطنتم انفسكم على ما وطنت نفسي عليه ، فاعلموا ان الله انما يهب المنازل الشريفة لعباده لاحتمال المكاره ، وان الله كان خصني مع من مضى من اهلي الذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا من الكرامات بما يسهل علي معها احتمال المكروهات فان لكم شطراً من كرامات الله ، واعلموا ان الدنيا حلوها ومرها حلم والانتباه في الآخرة والفائز من فاز فيها والشقي من شقي فيها .

انه بالذات هو الهدف لتلك الوحوش الكاسرة فاذا ظفروا به فلا ارب لهم في طلب غيره .

جواب أهل بيته :

ولم يكذب يفرغ الامام من كلماته حتى هبت الصفوة الطيبة من أهل بيته ، وهم يعلنون اختيار الطريق الذي يسلكه ، ويتبعونه في مسيرته ولا يختارون غير منهجه ، فانبروا جميعاً وعيونهم تفيض دموعاً قائلين :

« لِمَ نَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ لِنَبْقَى بِعَدْلِكَ لَا أَرَانَا اللَّهَ ذَلِكَ أَبَدًا »

بدأهم بهذا القول أخوه ابو الفضل العباس وناهته الفتية الطيبة من ابناء الأسرة النبوية ، والتفت الامام إلى ابناء عمه من بني عقيل فقال لهم :

« حَسِبَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمَسَلْمٍ أَذْهَبُوا فَقَدْ أَذْنَتْ لَكُمْ »

وهبت فتية آل عقيل تنعالي اصواتهم قائلين بلسان واحد :

« اذْنٌ مَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ : وَمَا نَقُولُ ؟ : إِنْ أَرَادْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عَمومتنا خَيْرَ الْأَعْمَامِ وَلَمْ نَزْمِ مَعَهُمْ بِسُهُمٍ ، وَلَمْ نَطْعَنْ بِرِمْحٍ ، وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ وَلَا نَذْرِي مَا صَنَعُوا ؟ لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ وَلَكِنْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا نَقَاتِلُ مَعَكَ ، حَتَّى نَرُدَّ مَوْرِدَكَ فَتَقْبِحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بِعَدْلِكَ » (١) .

جواب اصحابه :

واترعت قلوب اصحاب الامام ايماناً فقد صهرهم ابو عبد الله بمثلته التي لا تحد ، ففسد رؤوا فضائله ومزاياه ، وانذفاعه نحو الحق ، وانه

(١) الطبري ٦ / ٢٣٨ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٥

لم يكن يسعى بأي حال لجاه او مال أو سيادة ، وانه قد رفض كل مساومة على حساب أمته ودينه ، مما أثر في أعماق قلوبهم فاستهانوا بالحياة وسخروا من الموت ، وقد اندفعوا يعلنون له الفداء والتضحية وهذه كلمات بعضهم .

١ - مسلم بن عوسجة

وانبرى مسلم بن عوسجة ودموعه تتبلور على وجهه فخطب الامام قائلا :

« أنحن نخلي عنك وبماذا نتعذر الى الله في أداء حقك ، أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمي واضرب بسيفي مائتة قائمه بيدي ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم لقدفتمم بالحجارة حتى اموت معك . »
وعبرت هذه الكلمات عن عميق ايمانه فهو يرى أنه مسؤول امام الله عن أداء حق ريجانة رسول الله (ص) وانه سيبدل جميع طاقاته في الدفاع عنه .

٢ - سعيد بن عبد الله

وتكلم سعيد بن عبد الله الحنفي فاعلن ولاءه الصادق للامام قائلا :
« والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسوله فيك . . . أما والله لو علمت أنني اقتل ثم احرق ثم اذرى يفعل بي ذلك سبعون مرة لما فارقتك حتى القى حمامي دونك ، وكيف لا افعل ذلك وانما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاه لها ابداً . »
وليس في قاموس الوفاء انبل ولا اصدق من هذا الوفاء انه يتمنى انه تجرى عليه عملية القتل سبعين مرة ليفدي الامام ويحفظ غيبة رسول الله (ص)

وكيف لا يستطيب الموت في سبيله وانما هو مرة واحدة ثم هي الكرامة
التي لا انقضاء لها .

٣ - زهير بن القين

وانطلق زهير فاعلن نفس الانجاه الذي اعلنه اخوانه قائلاً : والله
لوددت اني قتلت ثم نشرت ، ثم قتلت حتى اقتل كذا الف مرة ، وان الله
عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن انفس هؤلاء الفتيان من
اهل بيتك . . .

لقد ارتقم هؤلاء الأبطال الى مستوى من النبيل لم يبلغه اي انسان ،
فاعطوا الدروس المشرقة للفداء في سبيل الحق .

وانبرى بقیة اصحاب الامام فاعلنوا الترحيب بالموت في سبيله
والتفاني في الفداء من اجله فجزاهم الامام خيراً (١) واكد لهم جميعاً
انهم سيلاقون حتفهم فهتفوا جميعاً :

والحمد لله الذي اكرمنا بنصرك ، وشرفنا بالقتل معك ، او لا
نرضى ان نكون معك في درجتك يا بن رسول الله .

لقد اختبرهم الامام فوجدهم من خيرة الرجال صدقاً ووفاءً ، قد
اشرقت نفوسهم بنور الايمان ، وتحرروا من جميع شوائل الحياة ، وآمنوا
انهم صابرون الى الفردوس الأعلى ، وكانوا - فيما يقول المؤرخون - في
ظماً الى الشهادة ليفوزوا بنعيم الآخرة .

(١) المنتظم • ١٧٩ / ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٩ .

الامام يكشف مكيدة أهل الكوفة :

وكشف الامام (ع) لاصحابه مكيدة اهل الكوفة له في رسائلهم التي بعثوها إليه بالقدوم لمصرهم قائلًا :

« ما كتب إلي من كتب الا مكيدة لي ، وتقرباً لابن معاوية » (١)

ان الرسائل التي كتبها اكثر اهل الكوفة انما كانت بايعاز من يزيد لأجل ان يقدم الامام لإيهم فيقتلوه ، وما كتبوا إليه عن ايمان بعدالة قضيته .

مع محمد بن بشير :

ومن بين أصحاب الامام الذين بلغوا اعلى المستويات في الايمان محمد ابن بشير الحضرمي ، وقد بلغه ان ابنه قد أسر بشعر الري ، فقال :

ما أحب أن يؤسر ، وأنا ابقى بعده حياً ، وأستشعر الامام من هذه الكلمات رهبته في انقاذ ابنه من الأسر فاذن له في التخلي عنه قائلًا : انت في حل فاعمل في فكك ولدك واندفع البطل العظيم يعلن تصميمه الصادق على ملازمة الامام والفداء في سبيله قائلًا :

« اكلتني السباع حياً ان فارقتك . . » (٢) .

ليس هذا اصدق مثل للايمان العميق والفداء الرائع في سبيل الامام لقد احبوه واخلصوا له ، واستهانوا بالموت من اجله .

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٤ ، تذهيب التهذيب ١ / ١٥٠

انهزام فراس المخزومي :

وفراس بن جمعة المخزومي كانت له رحم ماسة مع الامام فان أباه جمعة امه أم هانئ بنت أبي طالب ، وكان ممن كاتب الحسين بالثورة على الأمويين أيام معاوية ، وقد التحق بالامام في مكة وسابره في هذه المدة حتى انتهى إلى العراق الا انه لما رأى صعوبة الأمر وتضافر الجيوش على حرب الامام هاله الأمر ، وجبن عن الحرب ، واستولى عليه الرعب والخوف ، وقد ادرك الامام اضطرابه فأذن له في الانصراف ، فانهزم في جنح الليل البهيم (١) ولم يحض بالشهادة ، كما ان قوما آخرين قد انهزموا (٢) ولم يفوزوا بنصرة الامام .

الامام لا يأذن بالشهادة لمن كان عليه دين :

وروى الطبراني أن الامام أمر منادياً ينادي في اصحابه ، لا يقتل معنا رجل وعليه دين ، فقام إليه رجل من اصحابه فقال له :

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) روت السيدة سكينة قالت : سمعت أبي يقول لمن كان معه انتم جئتم معي لعلمكم اني آتي إلى جماعة بايعوني قلباً ولساناً ، والآن تجدونهم قد استحوذ عليهم الشيطان ، ونسوا ذكر الله ، فليس لهم قصد الا قتلي وقتل من يجاهد معي وأخاف ان لا تعلموا ذلك ، او تعلموا ولا تتفرقوا حياءً مني ، ويحرم المكر والخديعة عندنا أهل البيت ، فكل من يكره نصرتنا فليذهب الليلة الساترة ، قالت سكينة : فتفرق القوم من نحو عشرة وعشرين حتى لم يبق معه الا ما ينقص عن الثمانين ، جاء ذلك في بغية النبلاء الجزء الثاني .

« ان علي ديننا وقد ضمنته زوجتي »

فقال (ع) : وما ضمان امرأة ؟ (١) لقد اراد الامام ان يكون
المستشهد بين يديه متحرراً في دينه خالي الذمة من حقوق الناس وأموالهم
إلا انه هنا اشكالا فقد انكر الامام ضمان المرأة لما في ذمة زوجها من
دين ، والحال ان القواعد الفقهية مجمعة على صحة ضمان المرأة للأموال
وغيرها ومساواتها للرجل في هذه الجهة ، وفيما نحسب ان الجملة الأخيرة
من الموضوعات ، فقد ذكر البلاذري الخبر الا انه لم يذكر قول الرجل
ان علي ديننا وقد ضمنته زوجتي .

الامام ينحى نفسه :

وأقبل الامام إلى خيمته فجعل يعالج سيفه ويصلحه ، وهو يقول :
يا دهر أف لك من خليل كم لك بالاشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك سبيل

وقد نعى نفسه الشريفة بهذه الابيات ، وكان في الخيمة الامام
زين العابدين والعقيلة زينب اما الامام زين العابدين فلما سمع كلام أبيه
عرف ما أراد فخزنته العبرة ، ولزم السكوت وعلم ان البلاء قد نزل
- حسبما يقول - واما عقيلة بني هاشم فانها لما سمعت هذه الابيات
أحست ان شقيقها وبقيّة اهلها عازم على الموت ومصمم على الشهادة
فأمسكت قلبها في ذعر ، ووثبت وهي تجر ذيلها ، وقد فاضت عيناها
بالدموع ، فقالت لاختيها بنبرات المفطت فيها شظايا قلبها .

(١) المعجم الكبير ١ / ١٤١

« واثكلاه ! واحزناه ! ليت الموت اعدمني الحياة ، يا حسيناه ،
يا سيداه ، يا بقية اهل بيتاه ، استسلمت ، ويشت من الحياة ، اليوم مات
جدي رسول الله (ص) وأممي فاطمة الزهراء وأبي علي واخي الحسن ،
يا بقية الماضين وثمان الباقيين ، (١) .
فقال الامام لها بحنان :

« يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان »
وانبرت العقيلة الى أخيها وهي شاحبة اللون قد مزق الأمل قلبها
الرقيق المعذب فقالت له باسى والتياح :

« انغتصب نفسك اغتصابا ، فذاك اطول لحزني واشجى لقلبي ،
ولم تملك صبرها بعدما ايقنت أن شقيقها مقتول ، فعمدت إلى جيبها
فشقتة ، ولطمت وجهها ، وخرت على الارض فاقدة لوعيها (٢) وشاركتها
النسوة في الخنة القاسية ، وصاحت السيدة ام كلثوم .

« واحمداه ، واعلياه ، وا أماه ، واحسيناه ، واضيعتنا بعدك »
وأثر المنظر الرهيب في نفس الامام فذاب قلبه الزاكي أسى وحسرات
وتقدم إلى السيدات من بنات الوحي فجعل يأمرهن بالخلود إلى الصبر
والتحمل لاعباء هذه الخنة الكبرى قائلاً :

« يا اختاه ، يا أم كلثوم ، يا فاطمة ، يا رباب ، انظرن اذا قتلت
قلا تشققن علي جيباً ولا تخمشن وجهاً ، ولا تقلن هجرأ ، (٣) .

(١) مقاتل الطالبين (ص ١١٣)

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، المنتظم ٥ / ١٧٩ ، البداية والنهاية

٨ / ١٧٧ ، السيدة زينب واخبار الزينبيات (ص ٢٠ - ٢١)

(٣) تأريخ الطبري ٦ / ٢٤٠ ، انساب الأشراف ق ١ ج ١

لقد عانى الامام العظيم الوازناً قاسية ومدملة من الحزن والخطوب
كانت بقدر ايمانه بالله فلم يكده يفرغ من محنة حتى يواجهه سبيل من الحزن
الكبرى التي لا يطبقها أي انسان .

التخطيط العسكري :

ووضع الامام أرقى المخططات العسكرية وأدقها في ذلك العصر فنظام
جهته تنظيمياً رائعاً ، واحاط معسكره بكثير من الحماية ، فقد خرج في
جلس الليل البهيم ، وكان معه نافع بن هلال ، فجعل يتفقد التلاع والروابي
وينظر إليها بدقة مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الأعداء حين الحرب ،
وقد أمر اصحابه بصنع ما يلي :

أولاً - مقارنة البيوت بعضها من بعض ، بما في ذلك بيوت
الهاشميين والأصحاب ، وفيما لحسب أنها كانت عدة صفوف من كل جهة
لا صفاً واحداً ، وانما صنع ذلك لئلا يكون هناك مجال لتسرب العدو
وتخلله من بينها (١) .

ثانياً - حفر خندق من الخلف محيط بنجيم أهله وعياله ، وملئه
بالحطب ، لا شعال النار فيه وقت الحرب (٢) وانما امر بذلك لما يلي :
أ - ان تكون عوائلهم في مؤمن من العدو اثناء العمليات الحربية
فانه لا يتمكن من اقتحام النار والهجوم عليها

ب - استقبال العدو من جهة واحدة ، وعدم تعدد الجهات
القتالية نظراً لقلّة اصحاب الامام ، ولولا هذا التدبير لأحاط بهم

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٧٧

(٢) وسيلة المآل في مناقب الآل (ص ١٩٠) البداية والنهاية ٨ / ١٨٧

العدو من الجهات الأربع وقضى عليهم في فترة وجيزة ، وماطالت الحرب يوماً كاملاً .

هذه بعض المخططات التي اتخذها الامام (ع) وهي تدل على مدى احاطته التامة في التنظيمات العسكرية ووقوفه على دقائقها .

احياء الليل بالعبادة :

واقبل الامام مع اهل بيته واصحابه على العبادة فاتجهوا الى الله بقلوبهم ومشاعرهم ، فكانوا - فيما يقول المؤرخون - لهم دوي كدوي النحل وهم ما بين راع وساجد وقارئ للقرآن ، ولم يدق احد منهم طعم الرقاد .

فقد أقبلوا على مناجاة الله والتضرع إليه ، وهم يسألونه العفو والغفران

استبشار أصحاب الامام :

واستبشر أصحاب الامام بالشهادة بين يدي رحمة رسول الله (ص) وقد حدث المؤرخون عنهم بما يبهر العقول ، فهذا حبيب بن مظاهر خرج إلى اصحابه وهو يضحك قد غمرته الافراح فأنكر عليه يزيد بن الحصين التميمي قائلاً :

« ما هذه ساعة ضحكك ؟ ! »

فاجابه حبيب عن ايمانه العميق قائلاً :

« أي موضع احق من هذا بالسرور ؟ ! والله ما هو الا ان تميل

علينا هذه الطاقة بسيوفهم فنعانق الحور العين ، (١) .

(١) رجال الكشي (ص ٥٣)

وداعب بربر عبد الرحمن الأنصاري فاستغرب منه وقال له :

« ما هذه ساعة باطل ! ! »

فأجابه بربر :

« لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً ، ولكنني
مستبشر بما نحن لاقون ، والله ما بيننا وبين الحور العين الا أن يميل علينا
هؤلاء بأسيا فهم ، وودت انهم مالوا علينا الساعة ، (١) .
وليس في اسرة شهداء العالم مثل هذا الايمان الذي تفجر عن براكين
هائلة من اليقين والمعرفة وصدق النبوة ، وعظيم الاخلاص . . لقد استبشروا
بالفوز في جنان الخلد مع النبيين والصدّيقين ، وايقنوا انهم يموتون اهنأ
موتة واعظمها في تاريخ البشرية في جميع الأجيال والآباد .

سخرية الشمر بالامام :

وكان الامام يصلي ، وقد اشرف عليه الخبيث الدنس شمر بن
ذي الجوشن (٢) فسمعه يقرأ في صلاته قوله تعالى :
(ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيراً لأنفسهم انما نملي لهم
ليزدادوا اثمأ ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب « (٣) .
فجعل الشمر يهزأ بالامام ، واندفع رافعاً صوته :

(١) الطبري ٦ / ٢٤١ ، البداية والنهاية ٨ / ١٨٧

(٢) وفي البداية والنهاية ٨ / ١٨٧ ان المشرف هو ابو حرب السبيعي
عبيد الله بن شمير وكان مضاحكاً بطالاً .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٨

رؤيا الامام الحسين :

وخفق الامام الحسين خفقة بعدما اعيتته الآلام المرهقة ، فاستيقظ ،
والتفت إلى أصحابه وأهل بيته فقال لهم :
- أتعلمون ما رأيت في منامي ؟
- ما رأيت يا بن رسول الله ؟
- رأيت كأن كلاباً قد شدت علي تناشيني (١) وفيها كلب أبقع
أشدها علي ، وأظن الذي يتولى قتلي رجل ابرص من هؤلاء القوم . . .
ثم اني رأيت جدي رسول الله (ص) ومعه جماعة من أصحابه ، وهو
يقول لي : يا بني أنت شهيد آل محمد ، وقد استبشرت بك أهل
السموات وأهل الصفيح الأعلى ، فليكن افطارك عندي الليلة ، عجل ولا تؤخر
هذا ما رأيت وقد أزعج الأمر وأقترب الرحيل من هذه الدنيا (٢) .
وخيم على أهل بيته وأصحابه حزن عميق ، وأيقنوا بنزول الرزء
القاصم واقترب الرحيل عن هذه الحياة .

فزع عقائل الوحي :

وفزعت عقائل الوحي كاشسد ما يكون الفزع ، فلم يهدأن في تلك
الليلة الخالدة في دنيا الأحزان ، وقد طافت بهن تيارات من الهواجس

(١) تناشيني : مأخوذ من نشب في الشيء إذا وقع فيما لا مخلص منه
وفي رواية تنهشني .

(٢) الفتوح ٥ / ١٨١ .

والافكار ، وتمثل أمامهن المستقبل الملبد بالكوارث والخطوب ، فماذا سيجري عليهن بعد مفارقة الحماة من أبناء الرسول (ص) ؟ ومن في دار خربة قد أحاط بهن الأعداء الجفأة ، وخلدن الى البكاء والعيول والابتهاال إلى الله لينقلهن من هذه المحنة التي تقصم الاصلاب .
 وأما اعداء أهل البيت فقد باتوا وهم في شوق إلى اراقة تلك الدماء الزكية ليتقربوا بها إلى ابن مرجانة وكانت الخيل تدور وراء معسكر الحسين وعليها عزرة بن قيس الاحمسي (١) خوفاً من أن يفوت الحسين من قبضتهم أو يلتحق بمسكروه أحد من الناس .

تطيب الامام وحنوطه :

واستعد الامام هو وأصحابه إلى لقاء الله ، ووطنوا نفوسهم على الموت ، وقد أمر (ع) بفسطاط فضرب له ، وأتي بجلينة فيها مسك ، كما أتي بالحنوط ، ودخل الفسطاط فتطيب وتحنط ، ثم دخل من بعده يرير فتطيب وتحنط ، وهكذا فعل جميع أصحابه (٢) استعداداً للموت والشهادة في سبيل الله .

يوم عاشوراء :

وما طلع فجر في سماء الدنيا كفجر اليوم العاشر من المحرم في مآسيه واحزانه ، ولا أشرقت شمس كنتك الشمس في كآبتها وآلامها . . .

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٨٧

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، البداية والنهاية ٨ / ١٨٧

فليس هناك حادث في التاريخ يفوق في كوارثه وآلامه تلك المشاهد الحزينة التي تم تمثيلها يوم عاشوراء (١) على صعيد كربلا ، فلم تبق محنة من محن الدنيا ولاغصة من غصص الدهر إلا جرت على ربحانة رسول الله (ص) يقول الامام زين العابدين (ع) :

« ما من يوم أشد على رسول الله (ص) من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قُتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب ، ثم قال : ولا يوم كيوم الحسين ازدلف إليه ثلاثون الف رجل يزعمون انهم من هذه الأمة كل يتقرب الى الله عز وجل بدمه ، وهو بالله يذكروهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيا وظلماً وعدوانا ، (٢) .

وبدا الامام العظيم في فجر اليوم العاشر بالصلاة ، وكان فيما يقول المؤرخون : قد تيمم هو واصحابه للصلاة نظراً لعدم وجود الماء عندهم وقد أثنى به أهله وصحبه (٣) وقبل أن يتموا تعقيبهم دقت طبول الحرب من معسكر ابن زياد ، واتجهت فرق من الجيش وهي مدججة بالسلاح تنادي بالحرب أو النزول على حكم ابن مرجانة .

(١) عاشوراء : اسم لليوم العاشر من المحرم ، قيل ان التسمية قديمة وانما سمي بذلك لآكرام عشرة من الأنبياء فيه بعشر كرامات ، جاء ذلك في الأنوار الحسينية (ص ٢٢) للبلاوي .

(٢) بحار الأنوار ٩ / ١٤٧ .

(٣) حجة السعادة في حجة الشهادة لاعتماد السلطنة حسن بن علي ، فارسي ترجمه إلى اللغة العربية الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وهو من مخطوطات مكتبة العامة :

دعاء الامام :

وخرج أبي الضمير فرأى البيداء قد ملئت خيلا ورجالا ، وقد
شهرت السيوف والرماح ، وهم يتعطشون إلى اوراقه دمه ودماء البررة من
أهل بيته وأصحابه لينالوا الأجر الزهيد من ابن مرجانة فدعا (ع) بمصحف
فنشره على رأسه ، وأقبل على الله يتضرع إليه قائلا :

اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي
في كل أمر نزل في ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه
الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت فيه العدو ، أنزلته بك وشكوته
إليك رغبة مني إليك عن سواك ففرجته وكشفته وكفيت ، فانت ولي كل
نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة ، (١) .

ويلمس في هذا الدعاء مدى إيمانه العميق فقد اناب الى الله
واخلص له في جميع مهامه فهو وليه ، والمملجأ الذي يلجأ إليه في كل
نازلة نزلت به .

اشعال النار في الخندق :

وأمر الامام في أول الصبح باشعال النار في الخندق الذي كان محيطا
بجيم النساء ليحميها من هجوم الخيل ، كما لا تتعدد عليهم جيئات القتال
وتنحصر في جهة واحدة .

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ١٤ البداية والنهاية ٨ / ١٦٩ ، تاريخ

ابن الأثير ٣ / ٢٨٧ .

هرير المسوخين :

ولما اشتعلت النار في الخندق اشتد بعض المسوخين من معسكر ابن سعد نحو الامام كأنهم الكلاب ، وقد رفعوا أصواتهم بهرير منكر ، ومن بينهم :

١ - شمر بن ذي الجوشن

وأقبل الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن على معسكر الامام فرفع صوته :

« يا حسين تعجلت بالنار ؟ »

فرد عليه الامام « أنت تقول هذا يا بن راعية المعزى ؟ أنت والله أولى بها صلياً » .

ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم إلا ان الامام نهاه وقال : اني اكره أن ابدأهم بقتال (١) .

٢ - محمد بن الأشعث

واشتد الوضر الخبيث محمد بن الأشعث نحو الامام وهو ينادي :
« يا حسين أنت الساعة ترد جهنماً »
فأجابه الامام : لعنك الله ولعن أبك وقومك يا بن المرتد الفاجر
عدو الله ورسوله والمسلمين (٢) .

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

٣ - عبد الله بن حوزة

واندفع الوغد عبد الله بن حوزة إلى معسكر الامام ، وصاح :

« ابشر يا حسين بالنار »

فرد عليه الامام كلامه : اني أقدم على رب رحيم ، وشفيح مطاع ، وسأل عنه فقيل له انه ابن حوزة فرفع يديه بالدعاء وقال : (حازه الله إلى النار) فاضطرب به فرسه في جدول فتعلقت رجله بالركاب وسقط إلى الأرض ، وقد نفر به الفرس فجعل يضرب رأسه بالاحجار واصول الاشجار حتى هلك (١) وقيل القته فرسه في النار المشتعلة بالحنديق فاحترق بها ، ولما رأى الامام سرعة استجابة دعائه رفع صوته قائلاً :
« اللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا انك سميع قريب » (٢) :

ولما رأى ذلك مسروق بن وائل الحضرمي وكان يحدث نفسه بقتل الامام لينال الجائزة من ابن مرجانة ندم على ما فكر به وعلم أن لأهل البيت حرمة ومكالة عند الله ، فترك المعركة وانهزم مخافة غضب الله (٣) :

التعبئة العامة في المعسكرين :

وقام كلاً المعسكرين بتعبئة عامة ، فعياً الامام اصحابه وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً وجعل زهير بن القين في الميمنة ، وحبيب بن مظاهر

(١) أنساب الاشراف ق ١ ج ١ تدهيب التهذيب ١ / ١٥٥

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ٢٤٩

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٨٦

في الميسرة ، وثبت هو وأهل بيته في القلب (١) وأعطى رايته إلى أخيه
 وعضده أبي الفضل العباس (٢) وعباً ابن سعد جيشه فجعل على ربع
 اهل المدينة عبد الله بن زهير الأزدي ، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن
 الأشعث ، وعلى ربع مدحج وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي ،
 وعلى ربع بني تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي (٣) وجعل على ميمنة
 جيشه عمرو بن الحجاج الزبيدي وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن ، وعلى
 الخليل عروة بن قيس الاحمسي وعلى الرجالة شيبث بن ربعي واعطى الراية
 دريداً مولاه (٤) وبذلك فقد استعد كلا المعسكرين للحرب والقتال .

الاحتجاجات الصارمة :

ورأى الامام مع اعلام أصحابه أن يقيموا الحججة على أهل الكوفة
 ليكونوا على بينة من امرهم وبصيرة على ما قدموا عليه من اثم و تكاد
 السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، وقد اعدوا في
 الدعاء ومنحوا النصيحة لانتقاذ اولئك المسموحين من خطر الجريمة التي
 تؤدي بهم إلى النار .

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٧٠)

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤١

(٣) مرآة الزمان (ص ٩٢)

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٨٦

خطبة الامام :

ودعا الامام براحلته فركبها ، واتجه نحو معسكر ابن سعد ، وهو بتلك الهيبة التي تحكى هيبة جده الرسول ، فخطب فيهم خطابه التاريخي الذي هو من ابلغ واروع ما أثر في الكلام العربي ، وقد نادى بصوت عال يسمعه جلهم :

« أيها الناس : اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى اعظكم بما هو حق لكم علي ، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم فان قبلتم عذري ، وصدقتم قولي ، واعطيتموني النصف من انفسكم كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من انفسكم فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ،

ونقل الأثير كلماته إلى السيدات من عقائل النبوة وحرائر الوحي فتصارخن بالبكاء ، وارتفعت اصواتهن ، فبعث إليهن أخاه العباس وابنه عليا ، وقال لهما : سكتاهن فلعمرى ليكثر بكاؤهن .

ولما سكتن استرسل في خطابه فحمد الله واثى عليه وصلى علي النبي (ص) وعلى الملائكة والأنبياء ، وقال في ذلك : ما لا يحصى ذكره ولم يسمع لا قبله ولا بعده ابلغ منه في منطقته (١) وقال :

« أيها الناس : إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالا بعد حال ، فالمغرور من غرته ، والشقي من فتنته ، فلا تفرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخيب طمع من

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٢

طمع فيها ، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم ،
واعرض بوجهه الكريم عنكم ، واحصل بكم نقمته ، فنعم الرب ربنا ،
وبس العبيد أنتم أقرتم بالطاعة ، وآمنتم بالرسول محمد (ص) ثم انكم
زحفتم إلى ذريته وعثرته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان
فأنساكم ذكر الله العظيم ، فنبأ لكم ولما تريدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .
هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظالمين .

لقد وعظهم بهذه الكلمات التي تمثل هدي النبوة ، ومحنة الأنبياء
في امهم ، فحذرهم من فتنة الدنيا وفرورها ، ودلل على عواقبها الخاسرة
واهاب بهم من الاقدام على قتل عترة نبيهم فانهم بذلك يخرجون من
الاسلام إلى الكفر ، ويستوجبون عذاب الله الخالد ، وسخطه الدائم ،
ثم استرسل (ع) في خطابه فقال :

« أيتها الناس : انسابوني من أنا ؟ ثم ارجعوا الى انفسكم وهاتبوا
وانظروا هل يحمل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ! الست ابن بنت نبيكم
وابن وصيه وابن عمه ؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من
هند ربه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أوليس جعفر الطيار همي
أو لم يبلغكم قول رسول الله (ص) لي ولأخي : « هذان سيدا شباب
أهل الجنة » فان صدقتموني بما أقول : وهو الحق ، والله ما تعمد
الكذب منذ علمت ان الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وان
كذبتموني فان فيكم من اذا سألتموه اخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله
الأنصاري وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن ارقم
وأنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ص) لي
ولأخي أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ .

لا اعرف خطاباً أرق ولا ابلغ من هذا الخطاب ، فأني خطيب مهما كان يتمتع برائع البيان فانه ليعجز عن الكلام في مثل هذا الموقف الرهيب الذي تخرس فيه الأسود ، وتحجم فيه الابطال . . . وكان خليقاً بهذا الخطاب أن يرجع إليهم حوازب احلامهم ، ويحدث انقلاباً فكرياً وعملياً في صفوفهم لقد دعاهم لأن يرجعوا إلى نفوسهم وعقولهم لو كانوا يملكونها ليمعنوا النظر في شأنه ، فهو حفيد نبيهم وابن وصيه ، والصق الناس وأمسهم رحماً به ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وفي ذلك حصانة له من سفك دمه وانتهاك حرمة ، الا ان ذلك الجيش لم يع هذا المنطق الفياض فقد خلد إلى الجريمة ، واستولى على قلوبهم زيغ قائم من الضلال فانساهم ذكر الله .

وانبرى إليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن وهو ممن غرق في الأثم فقال له :

« هو يعبد الله على حرف ان كان يدري ما تقول ؟ »

وما كان مثل ذلك الضمير المتحجر الذي ران عليه الباطل أن يعي منطق الامام أو يفهم مقالته ، وتصدى لجوابه حبيب بن مظاهر فقال له :

« والله اني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد انك صادق ما تدري ما يقول : قد طبع الله على قلبك ، واستمر الامام في خطابه فقال :

« فان كنتم في شك من هذا القول ، افتشكون ألي ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي خيركم ولا في خيركم ، ويحكم اطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة »

وزالمت الأرض تحت أقدامهم ، وغدوا حيارى لا يملكون جواباً
لرده فهم لا يشكون أنه ابن بنت رسول الله (ص) وريحانته ، وانهم
لا يطلبونه بقتيل قتله ولا بمال استهلكه منهم . ثم نادى الامام قادة
الجيش الذين دعوه برسائلهم للقدوم الى الكوفة ، فقال :

« يا شعث بن ربيعة ، ويا حجار بن ابجر ، ويا قيس بن الأشعث
ويا زيد بن الحرث ، ألم تكتبوا إلي أن قد اينعت الثمار واخضر الجناب
وانما تقدم على جندك مجندة . »

ولم تخجل تلك النفوس من خيانة العهد ، وحنث الايمان فأجابوه
مجمعين على الكذب :

« لم نفعل ، »

واستغرب الامام منهم ذلك فقال لهم :

« سبحان الله ! ! بلى والله لقد فعلتم . »

واعرض الامام عنهم ووجه خطابه الى جميع قطعات الجيش
فقال لهم :

« أيها الناس : اذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما مني
من الأرض . »

فانبرى إليه قيس بن الأشعث وهو ممن عرف بالفسد والنفاق ،
وقد خلع كل شرف وحياء ، وحسبه أنه من أسرة لم تنجب شريفاً قط
فقال له :

« أولاً تنزل على حكم بني عمك ؟ فانهم لن يروك إلا ما تحب ،
ولن يصل إليك منهم مكروه . »

فأجابه الامام :

« أنت أخو اخيك ؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم

ابن عقيل ؟ لا والله لا اعطيهم بيدي اعطاء الدليل ولا أفر فرار العبيد (١)
 عباد الله اني عدت بربي وربكم أن ترجون أعوذ بربي وربكم من كل متكبر
 لا يؤمن بيوم الحساب ، (٢) .

تزول الممالك وتداول الدول ، وهذه الكلمات احق بالبقاء واجدر
 بالخلود من كل شيء فقد مثلت عزة الحق ، ومنعة الاحرار وشرف الابهة .
 ومن المؤسف أنه لم تنفذ هذه الكلمات النيرة إلى قلوبهم فقد اقل
 الجهل جميع ابواب الفهم في نفوسهم ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
 وعلى ابصارهم غشاوة ، أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون ان
 هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ، لقد اعرضوا اعراضاً تاماً عن
 دعوة الامام فلم يحفلوا بها ، وصدق الله تعالى إذ يقول : « انك لاتسمع
 الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين »

خطاب زهير :

وانبرى زهير بن القين فألقى عليهم خطابه الحافل بالنصيحة والارشاد
 لهم قائلاً :

« يا أهل الكوفة : نذار لكم من عذاب الله ، إن حقاً على المسلم
 نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا
 وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهل ، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة
 وكنا أمة وانتم أمة ، إن الله ابتلانا واياكم بدرجة نبيه محمد (ص) لينظر
 ما نحن وانتم عاملون ، إنا ندهوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد ،

(١) وفي رواية « ولا أقر لكم اقرار العبيد »

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٣ الدر النظيم (ص ١٦٩)

وعبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما إلا سوء عمر سلطانها ، يسملان
اعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمتلان بكم ، وبرفعا نكم على جملوع
النخل ، ويقتلان اماتلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهانىء
ابن عروة وأشباهه .

وحفل هذا الخطاب با بلع وأروع ما تكون الحججة ، ففيه الدعوة إلى
الحق بجميع رحابه ومفاهيمه ، والتحذير من عذاب الله وسخطه ، لقد
عرفهم بأنه انما ينصحهم امثالاً للواجب الديني الذي يقضي بنصيحة المسلم
لأخيه المسلم اذا رآه قد انجرف عن الحق . . وعرفهم قبل أن تندلع
نار الحرب ان الأخوة الاسلامية تجمعهم فاذا وقعت الحرب انفصمت عرى
تلك الأخوة ، وكان كل منهما أمة مستقلة لا تجمعها روابط الدين والاسلام
وقد عرض لهم ان الله قد ابتلى المسلمين بعترة نبيه فواجب مودتهم في كتابه
العزيز ، لينظر إلى الأمة ما هي صانعة فيهم ؟

وذكرهم بجزور الأمويين وبطشهم ، وما صنعوه في صلحائهم امثال
حجر بن عدي وميثم التمار وغيرهم من الذين ناهضوا الجور وقاوموا الاستبداد
فقد صبت عليهم السلطة الأموية وابلا من العذاب الأليم ، فسملت عيونهم
وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبتهم على جذوع النخل .

وما انهى زهير خطابه الا وتوقع جماعة من جيش ابن سعد فسبوه
وتوعده مع الامام الحسين بالقتل قائلين « لا نبرح حتى نقتل صاحبك
ومن معه ، أو نبعث به وباصحابه إلى عبيد الله بن زياد مسلماً » .

واندفع زهير فخاطبهم بمنطق الحق قائلاً :

« عباد الله : إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فان
لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم . . فخلوا بين الرجل وبين يزيد
فلمعري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين » .

ووجم الكثيرون ، واستولت عليهم الحيرة والدهول ولذا رأى ذلك شمر
ابن ذي الجوشن خاف أن يثوب الجيش إلى الرشاد ، فسدد سهماً إلى
زهير وهو يقول :

« اسكت أسكت الله نامتك ، أرمتنا بكثرة كلامك ،

واحتقره زهير فنظر إليه كأقدر مخلوق قائلاً له :

« ما اياك أخاطب انما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكم من كتاب

الله آيتين ، فاهشر بالخزي يوم القيامة ، والعداب الأليم .

والتاع الوغد الخبيث من كلام زهير فصاح به :

« إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ،

« أبا لموت تخوفني ؟ فو الله للموت أحب إلي من الخلد معكم ،

والقضت زهير إلى الجيش قائلاً :

« عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجاني واشباهه ، فوالله

لا تنال شفاعة محمد (ص) قوما هرقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا

من نصرهم وذبح عن حريمهم .

ورأى الامام ان نصائح زهير لا تجدي مع هؤلاء المسوخين فأوعز

إلى بعض أصحابه يأمره بالكف عن الكلام ، وانطلق اليه فناداه : إن

أبا عبد الله يقول لك : أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح

قومه ، وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وابلغت لو نفع النصيح

والإهلاغ (١) .

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٣

خطاب برير :

واندفع الشيخ الجليل برير بن خضير لنصيحة ذلك الجيش قائلاً :
« يا معشر الناس : ان الله بعث محمداً (ص) بشيراً ونذيراً ، وداعياً
إلى الله ومراجاً منيراً . وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه
وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله أفجزاء محمد (ص) هذا ؟ »
وقد خلعوا الشرف والحياء فقالوا له :

« يا برير قد اكثرت الكلام فاكفف عنا ، فوالله ليعطش الحسين
كما عطش من كان قبله . »

ووجه الهمم النصيحة والارشاد قائلاً :

« يا قوم : إن ثقلن محمد (ص) قد اصبح بين اظهركم ، وهؤلاء
ذريته وعترة وبناته ، وحرمة فهانوا ما عندكم ، وما الذي تريدون أن
تصنعوه بهم ؟ »

فأجابوه : يزيد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه
وأخذ برير يذكرهم بعهودهم وكتبهم التي بعثوا للامام قائلاً :
« أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاءوا منه ؟ ويلكم
يا أهل الكوفة ، أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها ، واشهدتم الله عليها
وعليكم ؟ ادعوتهم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون انفسكم دونهم حتى اذا
اتوكم اسلمتموهم الى ابن زياد وحلائموهم عن ماء الفرات بشما خلفتم
نبيكم في ذريته ، مالكم لاسماكم الله يوم القيامة ، فبئس القوم أنتم . »
وانبرى جماعة ممن زاغت ضمائرهم فانكروا كتبهم وعهودهم للامام
قائلين له :

« ما ندري ما نقول ؟ »

واستبان لبرير تماديبهم في الاثم واجماعهم على اقرار المنكر فقال :

و الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة ، اللهم اني ابرأ إليك من فعال
هؤلاء القوم ، اللهم اني بأسهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان ،
فجعلوا يضحكون منه ، وعمدوا إليه فرشقوه بسهامهم (١)
فانصرف عنهم .

خطاب الامام الحسين :

وايت رحمة الامام وشفقته على أعدائه إلا أن يقوم باسداء النصيحة
لهم ثانياً ، حتى يستبين لهم الحق ، ولا يدهي أحد منهم أنه على غير بينة
من أمره فانطلق نحوهم ، وقد نشر كتاب الله العظيم ، واعتم بعمامة جده
رسول الله (ص) وابس لامته ، وكان على هيئة تمنوها الجباه ، وتغضض
عنها الابصار فقال لهم .

و تبالكم ايها الجماعة وترحأ أحين استصرختمونا والهين فاصرخناكم
موجبين (٢) سلتم علينا سيفاً في ايمانكم وحششتم (٣) علينا ناراً اقتدحناها
على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلبياً (٤) لأعدائكم على اوليائكم بغير عدل
افشوه فيكم ، ولا أمل اصبح لكم فيهم ، فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف

(١) مناقب ابن شهر اشوب ٥ / ١٢٩

(٢) موجبين : اي مسرحين في السير إليكم

(٣) حششتم : النار التي توقد

(٤) اليا : اي مجتمعين

مشيم (١) والجأش طامن ، والرأي لما يستخصف ، ولكن اسرعتم إليها
كطيرة الدبا (٢) وتداعيتم عليها كتهافت الفراش (٣) ثم نقضتموها ، فسحقا
لكم يا عبيد الأمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ومحرفي الكلم ،
وعصبة الأثم ، رنفثة الشيطان ، ومطفئ السنن ، ويحكم أهؤلاء تعضدون !!
وعنا تتخاذلون ! اجل والله غدر فيكم وشجت عليه اصولكم ، وتأزرت
فروعكم (٤) فكنتم اخبث ثمرة شجى للناظر واكله للغاصب .

الا وان الدعي ابن الدهي قد ركز بين اثنتين بين السلة (٥) والدلة
وهيهات منا الدلة بأبي لنا الله ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طاهت
وطهرت وانوف حمية ونفوس ابية من ان تؤثر طاعة اللثام على مصارع
الكرام ، الاواني زاحف بهذه الأمرة على قلة العدد وخذلان الناصر ، ثم
انشد ابيات فروة بن مسيك المرادي :

فان نهزم فهزامون قدما	وان نهزم فغير مهزмина
وما ان طبتنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخريتنا
فقل للشامتين بنا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقيننا
اذا ما الموت رفع عن اناس	بهلكله اناخ بأخريتنا

(١) مشيم : السيف غمده

(٢) الدبا : يفتح الدال وتخفيف الباء الجراد قبل ان يطير

(٣) الفراش : بالفتح وتخفيف الراء جمع فراشة وهي صغار البق

تنهافت في النار لضعف بصرها ، يقول الغزالي : ولعلك تظن ان هذا
لنقضان فهمها وجهلها . ان جهل الانسان اعظم من جهلها لانكياها على
الشهوات والمعاصي إلى ان يغمس في النار ويهلك هلاكاً مؤبداً .

(٤) تأزرت : اي نبتت عليه فروعكم وقويت به .

(٥) السلة : بكسر السين استلال السيوف .

اما والله لا تلبثون بعدما الا كريثا يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى ، وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلي ابي عن جدي رسول الله (ص) « فأجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمّة ثم اقبضوا إلي ولا تنظروني اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا وهو آخذ بماصيتها ان ربي على صراط مستقيم ، ورفع يديه بالدعاء عليهم قائلاً :

« اللهم احبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين كسفي يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة فانهم كذبونا وخذلونا ، وأنت ربنا عليك توكلت واليك المصير ، (١) .

لقد انفجر الامام بهذا الخطاب كما ينفجر البركان ، وقد أبدى من صلابة العزم وقوة الارادة ما لم يشاهد مثله وقد حفل خطابه بالنقاط التالية :
 أولاً - : انه أوغل في تأنيبهم بشدة لما أبدوه من التناقض في سلوكهم فقد هبوا إليه يستنجدون ويستغيثون به لينقذهم من ظلم الأمويين وجورهم فلما خفت لانقاذهم انقلبوا عليه ، وسلوا عليه سيوفهم التي كان من الواجب أن تسل على أعدائهم الذين بالغوا في اذلالهم وارغامهم على ما يكرهون .

ثانياً - : انه أبدى أسفه البالغ على دعمهم للحكم الأموي في حين انه لم يبسط فيهم عدلا او يشيع فيهم حقاً ، أو يكون لهم أي أمل أو رجاء فيه .

ثالثاً - : انه شجب الصفات الماثلة فيهم والتي كانوا بها من احط شعوب الأرض فهم عبيد الامة وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب وعصبة الاثم إلى غير ذلك من زعائنهم الشريرة .

(١) تاريخ ابن عساکر ١٣ / ٧٤ - ٧٥ .

رابعاً - : انه اعلن رفضه الكامل لدعوة الطاغية ابن مرجانة من الاستسلام له ، فقد اراد له الذل وهيهات أن يرضخ لذلك فقد خُلِق ليُمثل الكرامة الانسانية والمثل العليا فكيف يدعن للدعي ابن الدعي ؟

خامساً - : انه اعلن تصميمه على الحرب ، وان يخوض المعركة بأسرته التي مثلت البطولات وسواء العزيمة والاستهانة بالموت .

سادساً : انه أخبرهم عن مصيرهم بعد قتلهم له ، فان الله سيسلط عليهم من يسقيهم كأساً مصبرة ، وينزل بهم العذاب الأليم ، ولم يمض قليل من الوقت حتى ثار عليهم المختار فملأ قلوبهم فزعاً ورعباً وتكل بهم تنكيلاً فظيماً .

هذه بعض النقاط الحساسة التي حفل بها كلامه الشريف الذي تندفق بقوة البيان ، وروعة القصد ، وقد وجم جيش ابن سعد .

استجابة الحر :

وثابت نفس الحر إلى الرشاد واستيقظ ضميره بعد ما سمع خطاب الامام ، وجعل يتأمل ويفكر في تلك اللحظات الحاسمة من حياته ، فقد استولت عليه موجات رهبة من الصراع النفسي ، فهل يلتحق بالحسين فيضحى بحياته ومنصبه بعد ما كان القائد المقرب من السلطة ، وقد وثقت به وجعلته اميراً على مقدمة جيشها ، او انه يبقى محارباً إلى الامام وفي ذلك العذاب الدائم ، واختار الحر نداء ضميره ، وتغلب على صراعه النفسي فصمم على الالتحاق بالحسين وقبل أن يتوجه إليه اسرع نحو ابن سعد فقال له :

« امقابل انت هذا الرجل ؟ »

وسارع ابن سعد قاتلا بلا تردد ليظهر امام قادة الفرق اخلاصه
لسيده ابن مرجانة .

« أي والله قتالا أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي ،
فقال له الحر :

« افما لكم في واحدة من الحصال التي عرضها عليكم رضا ؟ ،
واندفع ابن سعد قاتلا :

« لو كان الأمر لي لفعلت ولكن اميرك أبي ذلك ،

ولما أيقن ان القوم مصممون على حرب الامام مضى يشق الصفوف
وقد سرت الرعدة بأوصاله فانكر ذلك المهاجر بن أوس وهو من أصحاب
ابن زياد فقال بنبرة المستريب منه :

« والله إن أمرك لمريب ، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل
ما أراه الآن ، ولو قيل لي : من اشجع أهل الكوفة لما عدوتك ؟ ،
وكشفت له عن حقيقة حاله واطلعه على ما صمم عليه قاتلا :
« إني والله اخير نفسي بين الجنة والنار ، ولا اختار على الجنة شيئا
ولو قطعت واحرقت . . . » .

وألوى بعنان فرسه صوب الامام (١) وهو مطرق برأسه الى الأرض
حياءً وندماً ، فلما دنا من الامام رفع صوته قاتلا :

« اللهم إليك أنيب فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك . .
يا أبا عبد الله إنني تائب فهل لي من توبة ؟ » .

ونزل عن فرسه فوقف قبال الامام ودموعه تتيلور على وجهه ،
وجعل يخاطب الامام ويتوسل إليه .

(١) الطبري ٦ / ٢٤٤ ، الكامل ٣ / ٢٨٨

« جعلني الله فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وجعجت بك في هذا المكان ووالله - الذي لا إله إلا هو - ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبداً ، فقلت في نفسي : لا أبالي ان اطيع القوم في بعض أمرهم ، ولا يرون أنني خرجت من طاعتهم ، وأما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه ، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك واني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي مواسياً لك بنفسي حتى اموت بين يديك افترى لي توبة ؟ »

واستبشر به الامام ومنحه الرضا ، والعفو وقال له : نعم يتوب الله عليك ويغفر (١) واقبل الحر يحدث الامام ويقص عليه رؤيا كان قد رآها قائلاً :

« سيدي : رأيت أبي في المنام البارحة فقال لي : ما تصنع في هذه الأيام ؟ وأين كنت ؟ فقلت له : كنت في الطريق على الحسين ، فقال لي : واويلاه عليك مالك والحسين بن رسول الله (ص) . . وأريد منك أن تأذن لي بالمحاربة لأكون أول قتيل بين يديك ، كما كنت أول خارج عليك (٢) . »

خطاب الحر للجيش :

واستأذن الحر من الامام الحسين ليعظ أهل الكوفة وينصحهم لعل بعضهم أن يرجع عن غيبه ويشوب الى الحق ، فاذن له الامام فأنبرى

(١) الكامل ٣ / ٢٨٨ ، الدر النظيم (ص ١٧٠)

(٢) الكامل ٣ / ٢٨٩

إليهم رافعاً صوته :

« يا اهل الكوفة لأمركم الهبل (١) والعبر (٢) أدعوتموه حتى إذا
أتاكم اسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ؟
أمسكنم بنفسه ، واحظتم به ، ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة
حتى يأمن ويأمن أهل بيته ، فاصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع
عنها ضرراً ، ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهودي
والنصراني والمجوسي ، ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله
قد صرعهم العطش بشما خلفتم محمداً في ذريته لاسقاكم الله يوم الظما إن
لم تتوبوا وتفزعوا عما أنتم عليه . »

وزلزات الأرض تحت اقدامهم ، فقد كان هنا مئات امثال الحر
من هاموا في تيارات من الصراع النفسي وكانوا على يقين بباطل قصدهم
إلا انهم استجابوا لرغباتهم النفسية ، في حب البقاء .
وتوقع بعض اولئك المسوخين فرموا الحر بالتبيل (٣) وهو كل
ما يملكون من حجة في الميدان .

التحاق ثلاثين فارساً بالامام :

والتحق بمعسكر الامام ثلاثون فارساً من جيش ابن سعد ، وجعلوا
يقولون لأهل الكوفة : يعرض عليكم ابن رسول الله (ص) ثلاث خصال

(١) الهبل : التكل والفقد

(٢) العبر : البكاء وجريان الدمع

(٣) الكامل ٣ / ٢٢٩

فلا تقبلون منها شيئاً ، وجعلوا يقاتلون ببسالة مع الامام حتى استشهدوا
بين يديه (١) .

الْحَرْبُ :

وفشلت جميع الرسائل التي اتخذها الامام لصيانة السلم وعدم سفك
الدماء ، وقد خاف ابن سعد من اطالة الوقت لئلا يحدث انقسام في صفوف
جيشه فقد اربكه التحاق الحر بالامام مع ثلاثين فارساً من جيشه ، وزحف
الباغي الى مقربة من معسكر الامام فأخذ سهماً فاطلقه صوب الامام
وهو يصيح :

« اشهدوا لي عند الأمير أنني اول من رمى الحسين »

واتخذ ابن سعد من السهم الذي فتح به الحرب وسيلة يتقرب به
الى سيده ابن مرجانة ، ويطلب من الجيش أن يشهدوا له عنده ليكون على
ثقة من اخلاصه ووفائه ، وان ينفي عنه الشبهات من أنه غير جاد في
قتاله للحسين .

وتتابعت السهام من معسكر ابن سعد على اصحاب الحسين كأنها المطر
حتى لم يبق أحد منهم الا اصابه سهم منها ، وبطلت بذلك حجة السلم
التي حرص الامام عليها ، وكان على انتظار من اعدائه القيام بهذا العدوان
القادر فلما بدأوه من جانبهم وجب عليه الدفاع عن النفس وجوباً لاشبهه
فيه والتفت الامام الى اصحابه فاذن لهم في الحرب قائلاً :

« قوموا يا كرام فهذه رسل القوم إليكم »

وتقدمت طلائع الحق من اصحاب الامام إلى ساحة الحرب وبدأت

(١) تذهيب التهذيب ١ / ١٥٢

بهذا المعركة الرهيبة واحتدم القتال كأشد وأعنف ما يكون القتال ،
ومن المؤكد انه لم تكن مثل تلك المعركة في جميع الحروب التي جرت في
الأرض . فقد تقابل اثنان وثلاثون فارسا واربعون رجلا مع عشرات
الآلاف وكانت تلك القلة كفوءاً لتلك الكثرة التي تملك أضخم العتاد
والسلاح ، وابدت تلك القلة من صنوف البسالة والشجاعة ما يبهر العقول
ويجبر الالباب .

لقد خاض اصحاب الامام غمار تلك الحرب عن ايمان واخلاص فقد
كانوا على ثقة انهم انما يقاتلون في سبيل الدين الذي اخلصوا له ووهبوا في
سبيله حياتهم ، وقد سجلوا بجهادهم المشرق شرفاً لهذه الأمة لا يساويه
شرف ، واعطوا للإنسانية افضل ما قدم لها من عطاء على امتداد التاريخ .

مَصَارِعُ الْأَهْجَاءِ

وتدافعت جيوش الباطل والضلال وهي مدمجة بالسلاح في صفوف كأنها السيل نحو اولئك الصفوة الأحرار الذين وهبوا حياتهم لله فلم يشغلهم شاغل عن نصره الحق وازهاق الباطل وقد صمدوا بصبر واخلص أمام تلك الوحوش الكاسرة فلم ترهبهم كثرتها ، وما تتمتع به من آلات الحرب والقتال ، وقد أبدوا من البسالة والشجاعة مما يدعو إلى الزهو والافتخار ونعرض الى مجريات القتال وما رافقها من شهادة اولئك الأبرار .

الهجوم العام :

وشنت قوات ابن سعد هجوما عاما واسع النطاق على اصحاب الامام وخاضوا معهم معركة رهيبة ، وهذه هي الحملة الأولى التي خاضها أصحاب الامام وهي حملة جماعية ضاربة اشترك فيها معسكر الكوفة بكامل قطعاته وقد خاض اصحاب الحسين تلك المعركة بعزم يستمد من العقيدة ، ويشتنق من نفس مقطورة على الاخلاص والتضحية دفاعاً عن الاسلام وجهاداً في سبيل الله ، وقد برزت معنويتهم العسكرية للعيان فكانوا يهزمون الجمع ويخترقون الجيش ، وقد اخترقوا جيش ابن سعد عدة مرات بقلوب أقوى من الصخر (١) وقد استشهد نصفهم في هذه الحملة (٢) .

(١) مع الحسين في نهضته (ص ٢٢٠)

(٢) جاء في بحار الأنوار ان عدد المستشهدين من أصحاب الامام

في الحملة الأولى خمسون رجلا .

عدد الضحايا من أصحاب الامام :

أما عدد الضحايا من أصحاب الامام في الحملة الأولى فكانوا واحداً واربعين شهيداً - حسباً نص عليه ابن شهر آشوب - وهم : نعيم بن عجلان عمران بن كعب بن حارث الأشجعي ، حنظلة بن عمرو الشيباني ، قاسط ابن زهير ، كنانة بن هتيق ، عمرو بن مشيعة ، ضرغامة بن مالك ، عامر ابن مسلم ، سيف بن مالك النميري ، عبد الرحمن الدرجي ، مجمع العائدي حباب بن الحارث ، عمرو الجندعي ، الخلاس بن عمرو الراسبي ، سوار ابن أبي عمير الفهمي ، عمار بن أبي سلامة الدالاني ، النعمان بن عمرو الراسبي ، زاهر بن عمرو مولى بن الحنق ، جبلة بن علي ، مسعود بن الحجاج ، عبد الله بن عروة الغفاري ، زهير بن سليم ، عبد الله وعبيد الله ابنا زيد البصري ، وعشرة من موالي الحسين ومواليان للامام علي (١)

المبارزة بين المعسكرين :

وبدأت المبارزة بين المعسكرين بعد الحملة الأولى فقد برز يسار مولى زياد ، وسالم مولى عبيد الله بن زياد ، وطلبوا من أصحاب الامام الخروج لمبارزتهما فوثب إليهما حبيب بن مظاهر وبرير فلم يأذن لهما الامام ، وانبري إليهما البطل الشهم عبد الله بن عمير الكلبي (٢) وكان شجاعاً شديد المراس فقال الحسين (ع) : احسبه للاقران قتالا ، ولما مثل امامها سألاه عن نسبه فأخبرهما به فزهدا فيه ، وقال له : لا نعرفك

(١) المناقب ٤ / ١١٣

(٢) قبل ان عبد الله بن عمير استشهد في الحملة الأولى

ليخرج إلينا زهير أو حبيب أو برير فثار البطل ، وصاح بيسار :
« يابن الزانية أوبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس لا يخرج أحد
الا وهو خير منك . . . » .

وما أروع قوله : « لا يخرج أحد الا وهو خير منك » ان أي أحد
من أصحاب الامام هو خير منه ومن ذلك الجيش لانه لما يقاتل على
بصيرة من أمره ، وهم يقاتلون - على يقين بضلالة قصدهم وانحرافهم
عن الطريق القويم .

وحمل الكلبي على يسار فارداه صريعاً يتخبط بدمه ، وحمل عليه
سالم فلم يعياً به فضربه الكلبي على يده فاطارت اصابع كفه اليسرى ، ثم
اجهز عليه فقتله ، وذعر المسكر من هذه البطولة النادرة ، وبينما هو
يقاتل اذ خفت اليه السيدة زوجته أم وهب (١) وقد أخذت بيدها عمودا
وهي تشجعه على الحرب قائلة له :

« فذاك أبي وأمي قاتل دون الطبيين ذرية محمد (ص) » :
لقد اشتد انصار الحسين في رعاية الامام وحمائته من دون فرق بين
الرجل والمرأة والصغير والكبير .
لقد استبسوا للقتال بهواطفهم الملتهبة وهاموا بحب الامام
والاخلاص له .

ولما رأى الكلبي زوجته تهول خلفه أمرها بالرجوع الى خيم النساء
فأبت عليه ، وبصر بها الامام فاسرع اليها قائلاً :
« جزيتم من اهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله ليس الجهاد على
النساء . . . » .

(١) السيدة أم وهب هي ابنة عبد الله من النمر بن قاسط استشهدت
بعد قتل زوجها .

ورجعت أم وهب الى خيمة النساء وجعل الكلب يرنجز :
إن نكروني فأنا ابن الكلب اني امرؤ ذو مرة وعضب
ولست بالحوار عند النكب (١)

وعرف نفسه بهذا الرجز فهو من بني كلب احدى قبائل قضاة (٢)
كما دلت على بسالته الفائقة وشجاعته النادرة ، وحصافة رأيه ، وصلابة
منطقه فهو ليس بخوار ولا بضعيف عندما تعصف الفتن وإنما يقف منها
موقف الحازم اليقظ ، وبذلك فقد حدد أبعاد شخصيته الكريمة التي هي في
القمة من الأحرار .

هجوم فاشل :

وشنت قوات ابن سعد هجوماً شاملاً على مخيم أصحاب الامسام
فتصلبوا لها على قلتهم وجنواها على الركب وشرعوا لها الرماح فلم تتمكن
الخيال على اقتحامهم ، وولت منهزمة ، فرشقهم أصحاب الامسام بالنبل
فصرعوا رجالا ، وجرحوا آخرين (٣) ومنيت قوات ابن سعد بخسائر
فادحة ولم تحقق أي نصر لها .

(١) المرة : القوة في العسل والدين ، العضب : قوة المنطق
وصلابته .

(٢) قضاة : من قبائل اليمن التي نزحت الى الكوفة
(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٩ ، الارشاد (ص ٢٦٤)

مباهلة بربر ليزيد :

واشتد يزيد بن معقل حليف بني عبد القيس نحو معسكر الامام حتى
اذا دنا منه ، رفع صوته ينادي بربر بن خضير الحمداني :

« يا بربر كيف ترى صنع الله بك ؟ »

فاجابه بربر بكل ثقة واطمئنان :

« والله لقد صنع بي خيراً ، وصنع بك شراً . . . »

أجل لقد صنع لله ببربر الخير حيث هداه إلى الحق وجعله من انصار
ريحانة رسول الله (ص) وأما خصمه الباهي اللثيم فأضله وجعله من قتلة
أولاد النبيين ، ورد هذا الجلف على بربر قائلاً :

« كذبت وقبل اليوم ما كنت كذاباً ، وأنا اشهد انك من الضالين »

لقد اعترف هذا الدهي بصدق بربر قبل هذا اليوم الذي انتصر فيه
للحق وفيه - حسب ما يزعم - يكون كذاباً ، ودعاه بربر الى المباهلة قائلاً :

« هل لك أن أبا هلك أن يلعن الله الكاذب منا ويقتل المبطل »

فاستجاب له يزيد ، وتباهلا أمام المسكرين ثم برز كل منهما للآخر
فضرب يزيد بربراً ضربة لم تعمل فيه شيئاً ، وانعطفت عليه بربر فضربه ضربة
منكرة قادت المخفر وهاقت الدماغ فسقط الرجس الخبيث صريعاً يتخبط بدمه
والسيف في رأسه ، ولم يلبث الا قليلاً حتى هلك (١) وحمل بربر على
معسكر ابن سعد وهو مثلوج القلب باستجابة دعائه ، وقد تطلع العسكر
بجميع فصائله إلى هذه البطولة النادرة فجعل بربر يرتجز :

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٨٩

أنا برير وابي خضير ليس يروع الأسد عند الزأر
يعرف فينا الخير أهل الخير أضربكم ولا أرى من ضر
وذلك فعل الحر من برير (١)

لقد عرف نفسه الى معسكر ابن سعد كما عرفهم بشجاعته الفلدة
وانه كالأسد لا يروعه الزأر ، وانما يشتد بها بأسه ، وانه إذ ينزل بهم
الضربات القاسية فانه لا يرى في ذلك بأساً ولا اثماً .

مصرع برير :

وأخذ برير يقاتل قتال الأبطال المستميتين قد امتلأت نفسه إيماناً
وعزماً وتصميماً على الدفاع عن ربحانة رسول الله (ص) وهو يهتف
بمعسكر ابن سعد قائلاً :
« اقتربوا مني يا قتلة المؤمنين ، اقتربوا مني يا قتلة ابن بنت رسول
رب العالمين » (٢) .

وحمل عليه الرجس رضي بن منقلد العبدي فاعتنقه واعتك معه ساعة
فتمكن منه برير فجلس على صدره وبينما هو مشغول في الاجهاز عليه إذ
حمل عليه الوغد الخبيث كعب بن جابر الأزدي من الخلف لأنه لم يستطع
مواجهته فطعن في ظهره ولما أحسن بالألم هوى على العبدي فعض انفه
وقطم طرفه وشد عليه كعب فقتله (٣) وانتهت بذلك حياة هذا المؤمن

(١) الفتوح • / ١٨٦

(٢) الفتوح • / ١٨٧

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

العظيم الذي كان من خيار الكوفة وسيد القراء فيها ، وقد عيب على
القاتل واحتقره الناس حتى نفرت منه زوجته وحرمت على نفسها الكلام
معه وقالت له :

« اعنت على ابن فاطمة وقتلت بريراً سيد القراء ، والله لا اكلمك
أبدا . » (١) .

ونقم عليه ابن عمه عبيد الله بن جابر فقال له : وبلك قتلت بريراً
فبأي وجه تلقى الله ، وقد ندم الخبيث كأشد ما يكون الندم ، وقد نظم
ابياتاً ذكر فيها اسفه وحزنه على اقترافه هذه الجريمة وقد ذكرناها في
البحوث السابقة .

شهادة عمرو الأنصاري :

والبرى إلى ساحات الجهاد والشرف عمرو بن قرظة الأنصاري وهو
من أفذاذ الأنصار وأحرارهم ، وقد خاض في استبسال معركة الفداء
والإيمان فجعل يحمى الرؤوس ، وينزل الدمار والموت بالأعداء وهو يرتجز :

قد علمت كتيبة الأنصار اني سأحمي حوزة الدمار

ضرب غلام غير لكس شار دون حسين مهجتي ودار (٢)

ودلل بهذا الرجز على أنه من حماة الدمار ، واصحاب الامسام كلهم
موصوفون بهذه الظاهرة فهم نخبة المسلمين في حماية الدمار والحفاظ على
المهد ، وأعلن لهم أنه سينزل بهم الضربات القاسية ويحاربهم ببسالة

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٩

(٢) التكملة : المتقلب على رأسه ، الشار : المخاصم

وشجاعة ليذب عن سيده الحسين ويفديه بنفسه ومهجته ، وجعل يقاتل
هنية صادقة وعزم ثابت حتى استشهد وسمت روحه الى الرفيق الأعلى ،
وكان له أخ من الضالين مع ابن سعد فلما رأى اخاه قتيلاً دنا من معسكر
الامام واندفع بصيح :

« يا حسين ، يا كذاب ابن الكذاب اضللت أخي حتى قتلته ،
ورد عليه الامام ا

« ان الله لم يضل أخاك ، ولكنه هداه واصلك » (١)
لقد هدى الله عمرواً وعمراً قلبه بالإيمان فجاهد حتى استشهد عن
اقدس قضية في الاسلام ، وأما اخوه فقد اضله الله وازاغ قلبه فاشترك
في أخطر جريمة يقترفها الأشقياء .

رفض الجيش الأموي للمبارزة :

وضاق المعسكر الأموي ذرعا من المبارزة فقد رسم أصحاب الامام
صوراً رائعة للبطولات ، وقد ضج الجيش من الخسائر اللاحقة التي مني
بها ، وقد رأى عمرو بن الحجاج الزبيدي وهو من الأعضاء البارزين في
قيادة جيش ابن سعد أن الاستمرار في المبارزة سيؤدي إلى هلاك جيشه
وذلك لشدة بأس أصحاب الامام وقوة يقينهم واصتهانتهم بالموت ، فهتف
بجيشه ينهائهم عن المبارزة قائلاً :

« يا حمقاء أتدرون من تقاتلون ؟ تقاتلون نقاوة فرسان أهل المصر
وقوماً مستقلين مستميتين ، فلا يبرزن لهم منكم أحد إلا قتلوه . والله
لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم » (٢) .

(١) (٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

- ووضعت هذه الكلمات اليد على السمات البارزة من صفات أصحاب
الامام واتجاهاتهم وهي :
- أ - إنهم فرسان اهل المصر بما يملكون من البطولات النادرة وقوة
الارادة التي لم تتوفر في جيش ابن سعد .
- ب - انهم اهل البصائر الذين وعوا الحق وفهموا القيم النبيلة التي
رفع شعارها الامام وناضل من اجلها ، فهم يقاتلون على بصيرة وبينة من
امرهم ، وليسوا كخصومهم الذين تردوا في الغواية وماجوا في الباطل
والضلال .
- ج - انهم مستميتون في دفاعهم عن الامام (ع) ولا أمل لهم
في الحياة .
- لقد توفرت فيهم جميع فضائل الانسان من العقل الراجح ، والشجاعة
الفائقة والشرف الرفيع والايمان العميق .
- يقول المؤرخون : ان ابن سعد قد استصوب رأي ابن الحجاج
فاصدر اوامره الى جميع قواته بترك المبارزة مع اصحاب الامام (١) .

هجوم عمرو بن الحجاج :

وشن عمرو بن الحجاج هجوماً عاماً على اصحاب الامام ، والتحموا
معهم التحاماً رهيباً ، واشتد القتال كأشد ما يكون القتال هنفاً ، وقد
تكبد كلا الفريقين بخسائر كبيرة في الأرواح .

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

مصرع مسلم بن عوسجة :

وسقط في المعركة صريعاً علم من أصحاب الامام وقد لامع من
انصاره مسلم بن عوسجة ، ومشى لمصرعه الامام ، وكان مسلم يعالج سكرات
الموت فدنا منه وقال له :

« رحمك الله يا مسلم ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر
وما بدلوا تبديلاً . . . » .

واقرب منه زميله وأخوه في الجهاد حبيب بن مظاهر ، فقال له :

« عزّ علي مصرعك ، يا مسلم ابشر بالجنة »

فقال مسلم بصوت خافت :

« بشرك الله بخير »

وانبرى حبيب فقال له :

« لولا اني اعلم اني في اترك لاحييت أن توصي إلي بما أمك »

وعهد إليه مسلم بأعز واخلص ما عنده قائلاً :

« أوصيك بهذا - وأشار الى الامام - ان تموت دونه »

وكانت هذه الكلمات آخر ما تلفظ به (١) لقصد كانت هذه هي

العظمة حقاً بما تحمل من معاني السمو والشرف لدى أصحاب الامام ،

لقد كان كل واحد منهم يمثل شرف الانسانية في جميع عصورها ومواطنها .

انه الوفاء الذي ينبض بالايمان الذي لا حد له ، فلم يفكر في تلك

اللحظة من حياته بأمله ، أو بأي شأن من شؤون الدنيا ، وانما استوعب

فكره الحسين فقد اخلص في حبه حتى النفس الأخير من حياته .

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٨٢

ونلس معسكر ابن سعد بمقتل البطل العظيم مسلم فجعلوا يتباشرون
وهم ينادون في شماعة ظاهرة .
« قتلنا مسلماً » .

ونقل ذلك على شيبث بن ربيعي فقد كان يعرف مسلماً ، ويقدر
فضله فخطب من حوله بتأثر .

« نكلتكم امهاتكم ، انما تقتلون انفسكم بأيديكم ، وتذلون انفسكم
لغيركم ، انفرحون بقتل مثل مسلم ؟ ! ! اما والذي اسلمت له لرب
موقفت له قد رأيت في المسلمين ، فقد رأيت يوم سلق اذربيجان قتل ستة
من المشركين قبل ان تنام خبول المسلمين ، افيقتل مثله وتفرحون ؟ » (١)
ان اولئك المسوخين الذين قتلوا هذا البطل العظيم ، انما قتلوا نفوسهم
لأنه قتل دفاعاً عن مصالحهم وحقوقهم التي استهترت بها السلطة الأموية
ويقول المؤرخون : ان مسلماً قتل جماعة من عيون المعسكر الأموي
منهم ابن عبد الله الضبابي وعبد الرحمن بن ابي خشكارة البجلي (٢) .

هجوم الشمر :

وهجم الأبرص الخبيث شمر بن ذي الجوشن مع مفرزة من جيشه
على ميسرة اصحاب الامام وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وقد قاتلوا بضراوة
وصبر ، وانزلوا باعدائهم افدح الخسائر فلم يحملوا على جانب من خيل
اهل الكوفة الا كشفوه (٣) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٠ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٩

(٢) (٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٠

مصارع عبد الله الكلبي :

وجاهد عبد الله بن عمير الكلبي جهاد الأبطال ، فكان يضرب بسيفه ذات اليمين واليسار ، وقد قتل فيها يقول المؤرخون تسعة عشر فارساً ، واثني عشر راجلاً (١) وقد أصابته جراحات كثيرة فشد عليه هانيء بن ثبيت الحضرمي وبكير بن حي التميمي فقتلاه (٢) وانتهت بذلك حياة هذا البطل الذي وهب حياته لله وتفانى في الولاء والاخلاص لريحانة رسول الله (ص) وقد انطلقت زوجته السيدة أم وهب تبحث عنه بين جيش القتلى فلما عثرت عليه جلست الى جانبه وهي تبارك له شهادته بإيمان واخلاص قاتلة :

« هنيئاً لك الجنة ، اسأل الله الذي رزقك الجنة ان يصحبني معك ، وأخذت تنضرع الى الله ان يحشرها معه في الفردوس الأعلى ، وبصر بها الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن الذي يحمل رجس أهل الأرض فأوعز إلى غلامه رستم بقتلها ، فغافلها العبد من الخلف وهشم رأسها بعمود ، فماتت شهيدة في المعركة ، ويقول المؤرخون إنها أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين (٣) ومعنى ذلك ان هناك نساءً أخرى من نساء أصحاب الامام قد استشهدن في المعركة ، وقد انتهكت بذلك سنن القتال التي كانت سائدة في الجاهلية والاسلام من تحريم قتل النساء والأطفال .

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ٢١٧

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٠

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥١

استنجد عروة :

وعروة بن قيس من القادة البارزين في معسكر ابن سعد ، وكان ممن يديرون عمليات الحرب وقد ذهل من بسالة أصحاب الامام وما انزلوه بالجيش من الأضرار البالغة فاستنجد بابن سعد ليمده بالرماة والرجال قائلا :
« ألا ترى ما تلتقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ابعث إليهم الرجال والرماة . . . » .

وطلب ابن سعد من شيبث بن ربيعي القيام بنجدته فأبى وقال :
« سبحان الله شيبخ مضر واهل مصر عامة تبعته في الرماة لم تجد لهذا لخيري ! ! » .

وكان شيبث بن ربيعي يشعر بوخز في ضميره من الخوض في هذه المعركة ، وقد صرح بذلك غير مرة قائلا :
« لا يعطى الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ، ولا يسددهم لرشد الا تعجبون انا قاتلنا خير اهل الأرض ، نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يالك من ضلال . . » .

ولما سمع ذلك منه ابن سعد دعا الحصين بن نمير فبعث معه المجففة وخمسمائة من الرماة فأمرهم برشق أصحاب الامام بالسهم ، فسددوا إليهم سهامهم فاصابوا خيولهم ففقروها فصاروا كلهم رجالة ، ولكن لم تزدهم هذه الخسارة الجسيمة إلا استبسالا في القتال واستهانة بالموت فثبتوا كالجبال الشامخات ولم يتراجعوا خطوة واحدة ، وقد قاتل معهم الحر بن يزيد الرياحي راجلا ، واستمر القتال كاعنف وأشد ما يكون ضراوة ، ووصفه المؤرخون بأنه أشد قتال خلقه الله ، وقد استمر حتى انتصف النهار (١) .

(١) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩١ ، تأريخ الطبري ٦ / ٢٥٠

فتح جبهة ثانية :

ورأى ابن سعد أن وحدة الجبهة في القتال ستكبد جيشه أفدح الحسائر ، وتقضي بطول الوقت وامتداد الحرب ، فرأى أن يفتح جبهة ثانية حتى يسهل القضاء على البقية الباقية من أصحاب الامام فأوعز بتقويض مضارب الامام وبيوته التي كانت محيطة بأصحابه يمينا وشمالا حتى يشتغلوا بالدفاع عنها ، وتضعف بذلك جبهتهم ، وهجمت جنوده فجعلوا يقوضونها فكمن لهم بعض اصحاب الامام فجعلوا يقتلونهم ويعقرون خيولهم ، وباءت هذه الخطة بالفشل الدريع ، ولم تحقق أى نصر لها ، وامر ابن سعد ثانياً بحرق الخيام حتى تهجم خيله عليهم وحاول اصحاب الامام منعهم عن ذلك فنهاهم الامام وقال : دعوهم ليعرقوها فاذا احرقوها فلا يستطيعون أن يجوزوا إليكم ، فكان الأمر كما قال : فقد حالت النار بينهم وبين اصحاب الامام ، وبقيت جبهة القتال واحدة (١) .

محاولة الشمر لاحراق حرائر الوحي :

وحمل الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن على فسطاط الامام الذي يضم السيدات من عقائل النبوة وحرائر الوحي ونادى الوغد رافعاً عقيرته :

« علي بالنار لأحرقه على اهله »

لقد تردى هذا الانسان الممسوخ في مناهات سحيقة من الخبث واللؤم ومن المؤكد انه ليس في مجرمي الحروب وشذاذ الآفاق مثل هذا المجرم

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩١

في خبث الطوية واؤم العنصر وخساسة الطبع .
واختطف الرعب قلوب بنات رسول الله (ص) وسرت الرعدة
بأوصالهن فمخرجن من الخيام مذعورات ، وارتفعت اصواتهن بالبكاء ،
وخلفهن الصبية والأطفال وهم يعجون بالبكاء ، فكان هول منظرهم مما
تذيب له النفوس أسى وحسرات ، والتاع الامام الحسين ، فصاح
بالخبيث الدنس ؛

« انت تحرق بيتي على اهلي ؟ احرقك الله بالنار ، (١)
ولم يثن الرجس عن هزمه ، وظل بهتف بجنوده لبوفوه بقبس من
للنار ليحرق خيام اهل البيت .

انكار حميد بن مسلم :

وانكر على الشمر حميد بن مسلم ، فقد خفت إليه بعدما رأى الدهر
والخوف قد استولى على بنات رسول الله فقال له :
« ان هذا لا يصلح لك ، اريد ان تجمع على نفسك خصلتين ،
تعذب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء ، والله ان في قتل الرجال
لما يرضى به أميرك .

فصاح به الشمر :

« من أنت ؟ »

وخشي حميد بن مسلم أن يعرفه بنفسه فيوشي به عند ابن زياد

فقال له :

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩١

« لا اخبرك من أنا » (١)
وظل الباغي اللثيم مصراً على غيبه لبيضيف إلى موبقاته جرائم أخرى

توبيخ شبت بن ربيعي :

وأسرع إليه شبت بن ربيعي فوبخه ، ونهاه فاستجاب له الأثيم على كره وولى ليرجم فحمل عليه زهير بن القين مع عشرة من اصحابه فارغموه على الرجوع ، وقد التحموا مع جنده فقتلوا أبا عزرة الضبابي ، وهو من اسرة الشعر ، وتكاثر الجيوش على اصحاب الامام فكان إذا قتل احد منهم بان ذلك فيهم لقتلهم الا انه اذا قتل احد من اصحاب ابن سعد لا يبين ذلك فيهم لكثرة عددهم (٢) .

انتصاف النهار :

وانتصف النهار وجاء مبعات صلاة الظهر فوقف المؤمن المجاهد ابوامامة الصائدي فجعل يقلب وجهه في السماء كأنه ينتظر أعز شيء عنده وهي الصلاة فلما رأى الشمس قد زالت التفت الى الامام قائلاً :
« نفسي لنفسك الفداء أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، والله لا تقتل حتى اقتل دونك واحب أن القى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها . . . »

لقد كان الموت منه على قاب قوسين او ادنى وهو لم يغفل عن

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٨٣

(٢) تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢٩١

ذكر ربه ، ولا عن اداء فريضة دينية ، وجميع اصحاب الامام كانوا على هذا الطراز ايمانا بالله وتفانيا في أداء فرائضه .

ورفع الامام رأسه الى السماء فجعل يتأمل في الوقت فرأى أنه قد حان اداء الفريضة ، فقال لأبي ثمامة :

« ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين ، نعم هذا اول وقتها . »

وامر الامام اصحابه أن يطلبوا من معسكر ابن زياد ان يكفوا عنهم القتال ليصلوا لربهم ، فسألوهم ذلك فانبرى الرجس الخبيث الحسين ابن نمير قائلاً :

« انها لا تقبل »

فقال له حبيب بن مظاهر بسخرية :

« زعمت أن لا تقبل الصلاة من آل رسول الله (ص) وتقبل منك

يا حمار . . . »

وحمل عليه الحسين ، فسارع اليه حبيب فضرب وجه فرسه بالسيف فشبت به الفرس فسقط عنها ، وبادر إليه اصحابه فاستنقذوه (١) واستمر القتال ، وقبل ان يؤدي الامام الصلاة قتل جماعة من حماة اصحابه ثم بعد ذلك ادى الفريضة كما سنذكره .

مصرع حبيب :

وحبيب بن مظاهر من المبع اصحاب الامام واشدهم اندفاعا في الدود عنه ، فكان عضده وساعده وكان حبيب ممن زكا نفسه وغذاها بالحكمة

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩١

والصواب ، وهو من اصحاب الامام امير المؤمنين ومن شرطة الخميس (١) وكان نافذ البصيرة صلب الايمان ، ويقول المؤرخون : انه كان يوم الطف من اشد اصحاب الامام سروراً وغبطة بما يصبر إليه من الشهادة بين يدي رحمة رسول الله (ص) وقد برز فجعل يقاتل قتال المشتاقين الى مصرعه وهو يرتجز :

انا حبيب وأبي مظهر فارس هيجاء وحرب تسعر
وانتم منا لعمرى اكثر ونحن اوفى منكم واصبر
ونحن اعلا حجة واطهر حقاً وابقى منكم واعذر (٢)

لقد عرفهم بنفسه الكريمة، وبما يتمتع به من الصفات الرفيعة فهو بطل الحرب والفارس المعلم الذي لم يبتلع في قلبه خوف ولا رعب ، واعلن انه بالرغم من كثافة عدد جيش ابن سعد الا ان اصحاب الامام على قلتهم يمتازون عليهم بالوفاء والصبر وعلو الحجة ، وظهور الحق فيهم فهذه الصفات احق بالخلود واجدر بالبقاء .

وقاتل حبيب قتالا اهونه الشديد ، فقد قتل منهم على شيخوخته فيما يقول بعض المؤرخين اثنين وستين رجلا ، وحمل عليه الرجس الخبيث بدليل بن صريم فضربه بسيفه ، وطعنه وغد آخر من تميم برحمه فهوى إلى الأرض ، ورام ان يقوم ليستأنف الجهاد فبادر إليه الحصين بن نمير فعلا رأسه الشريف بالسيف فسقط الى الأرض ونزل التميمي فاحتز رأسه وصعدت تلك الروح الطاهرة الى ربها راضية مرضية وقد هدأ مقتله الحسين ، فوقف على الجثمان العظيم وهو يصعد آهاته واحزانه ويقول :

(١) معجم رجال الحديث للامام الخوئي ٤ / ٢٢٧

(٢) انساب الأشراف في ١ ج ١

« عند الله احتسب نفسي وحماة اصحابي » (١)

مصرع الحر :

وبرز البطل العظيم الحر بن يزيد الرياحي الذي استجاب لنداء الحق
 وآثر الآخرة على الدنيا فاستقبل الموت بثغر باسم ومرور بالغ لنصرة ربحانة
 رسول الله (ص) وجعل يقاتل اعنف القتال واشده وهو يرتجز :
 اني انا الحر ومأوى الضيف اضرب في اعراضكم بالسيف
 عن خير من حلّ بلاد الخيف اضربكم ولا أرى من حيث (٢)
 لقد دلت بهذا الرجز على كرمه وسخائه وان بيته كان مأوى للضيوف
 وموطناً للقاصدين ، كما أعلن انه انما يضرب في اعناقهم بسيفه حماية عن
 الامام العظيم الذي هو خير من استوطن بلاد الخيف ، وهو بذلك لا يرى
 بأساً أو حيفاً في قتاله لهم .

وكان الحر يقاتل ومعه زهير بن القين ، وكان اذا شدد أحدهما
 واستلحم شدد الآخر واستنقلده وداما على ذلك ساعة (٣) واصيب فرس
 الحر بجراحات فلم ينزل عنه وانما ظل يقاتل عليه وكان يتمثل بقول عنبرة :
 ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم
 وكانت بين الحر وبين يزيد بن سفيان عداوة قديمة ومتأصلة فاستغلها
 الحصين بن-نمير فقال له : هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله ، وحمل عليه
 يزيد فشد عليه الحر فقتله ، وسدد ابوب بن مشرح سهما افرس الحر

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٢ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٥١

(٢) الفتح ٥ / ١٨٥

(٣) البداية والنهاية ٨ / ١٨٣

فمقره وشب به الفرس فوثب عنه كأنه الليث ، ولم يصب بضرر وجعل
يقاثل ببسالة وهو راجل حتى قتل فيما يقول بعض المؤرخين نيما واربعين
رجلا (١) وحملت عليه الرجالة بسيفونها ورماحها فاردته إلى الأرض صريعا
يتخبط بدمه الزاكي ، وبادر اصحاب الامام فحملوه ووضعوه أمام الفسطاط
الذي كانوا يقاتلونه ، ووقف عليه الامام فجعل يتأمل وجهه الوديع
بنظرات ملؤها نور الله ، ووقف اصحابه في خشوع وانبرى الامام فجعل
يمسح الدم من وجهه وهو يؤنبه بهذه الكلمات .

« الت الحر كما سمتك أمك ، وأنت الحر في الدنيا والآخرة ،
لقد كان الحر حراً حينما تغلب عقله على هواه واختار الشهادة على
الحياة فنصر سيد شباب أهل الجنة ، ومات ميتة كريمة في سبيل الحق ،
وانبرى بعض اصحاب الامام فرثاه بخشوع :

لنعم الحر حر بني رياح صبور عند مشتبك الرياح
ونعم الحر اذ فادى حسيناً وجاد بنفسه عند الصباح (٢)

اداء فريضة الصلاة :

وبالرغم مما كان الامام يعانيه من الخطوب الفادحة التي تتصدع
من هولها الجبال فان فكره كان مشغولاً بأداء فريضة الصلاة التي هي من
أهم العبادات في الاسلام ، وطلب من أعدائه أن يمهله ليصلي لربه ،
فاستجابوا له ، وافبل على الله بقلب منيب فصلى بمن بقي من اصحابه

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٨٣

(٢) المناقب ٤ / ٢١٧

صلاة الخوف (١) وكانت صلواته في تلك اللحظات الرهيبة من اصدق مظاهر الاخلاص والطاعة لله ، وانبرى امام الحسين سعيد بن عبد الله الخنفي يقيه بنفسه السهام والرماح التي تواجهه من معسكر الأعداء الذين خاسوا ما عاهدوا الامام عليه من ايقاف عمليات الحرب حتى يؤدي فريضة الله فقتل اغتتموا الفرصة فراحوا يرشقون الامام واصحابه بسهامهم ، وكان سعيد الخنفي فيما يقول المؤرخون - يبادر نحو السهام فينتقيها بصدرة ونحره ، ووقفت ثابتاً كأنه الجبل ألم ترحزجه السهام التي اتخذته هدفاً لها ، ولم يكذب يفرغ الامام من صلواته حتى اثنى بالجراح فهوى إلى الأرض يتخبط بدمه ، وهو يقول بنبرات خافتة :

« اللهم العنهم لعن عاد وثمود ، وابلق نبيك مني السلام ، وابلغه ما لقيت من ألم الجراح فاني أردت بذلك ثوابك ونصرة ذرية نبيك » .
والتفت الى الامام ليرى هل أدى حقه ووفى له بعهده قائلاً :

« أوفيت يا بن رسول الله (ص) ؟ »

فأجابه الامام شاكراً له :

« نعم أنت امامي في الجنة »

واترعت نفسه بالرضا والمسرات حينما سمع قول الامام ثم فاضت نفسه الزكية إلى بارئها ، وقد تحرق جسده من السهام والرماح فقتل اصيب بثلاثة عشر سهماً عدا الضرب والطعن (٢) لقد كان حقاً هذا هو الوفاء الذي لا يبلغه وصف ولا اطراء .

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٩٧)

مصرع زهير :

ومن انصار الامام الحسين الذين صهر نفوسهم الايمان بالله زهير بن القين
فقد كان يتمجج الرواح الى الجنة لمصافحة الرسول (ص) وقد اتجه
صوب الامام وهو جلدان مسرور بما يقوم به من التضحية في سبيله ،
ووضع يده على منكب الحسين وهو يخاطبه بهذا الرجز :

اقدم هديت هاديا مهديا فاليوم القى جلدك النيبا
وحسنا والمرضى عليا وذا الجناحين القى الكيا

واسد الله الشهيد الحيا

وكشف هذا الرجز عن ايمانه الراسخ فانه على يقين لا يخامرہ شك
انه سيحظى بملاقة النبي (ص) ووصيه الامام امير المؤمنين والحسن وجعفر
وحمة ، وكان ذلك من ارواح ما يصبو إليه . واجابه الامام :

و انا القاصم على أترك ، (١)

وحمل البطل على معسكر ابن زياد وهو يرتجز :

أنا زهير وانا ابن القين اذودكم بالسيف عن حسين

لقد عرفهم بنفسه ، واعلن لهم انه انما يناجزهم الحرب دفاعاً عن
سيده الحسين ، وقاتل كاعنف واشد ما يكون القتال ، وقد قتل فيما يقول
المؤرخون مائة وعشرين رجلاً (٢) وابلى في المعركة بلاداً يتعاطم عنه
الوصف ، وشد عليه المهاجر بن اوس ، وكثير بن عبد الله الشعبي فقتلاه
ومشى لمصرعه الحسين وهو منقل بالهموم والأحزان فألقى عليه نظرة
الوداع الأخير ، وراح يؤبته قائلاً :

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٣

(٢) مقتل المرقم (ص ٢٩٩)

« لا يبعدنك الله يا زهير ، ولن قاتليك لمن الذين مسخوا قرده
وخنازير . . . » (١) .

مصراع نافع بن هلال :

ومن وهب حياته لله نافع بن هلال الجملي (٢) فقد انبرى بإيمان
وصدق فجعل يرمي اعداء الله بسهام مسمومة كان قد كتب عليها اسمه
وهو يقول :

ارمي بها معلمة أفواها مسمومة تجري بها اخفافها

ليملأن أرضها رشاها والنفس لا ينفعها اشفاقها

ولم يزل يرميهم بسهامه حتى نفدت ثم عمد إلى سيفه فسله وحمل
عليهم وهو يرتجز :

أنا الغلام التميمي البجلي ديفي على دين حسين بن علي

ان اقتل اليوم وهذا عملي وذلك رأبي اولاقي عملي

لقد عرفهم بنفسه ، وعرفهم بعقيدته فهو على دين الحسين ربحانة
رسول الله (ص) وهو انما يقاتل دفاعاً عن عقيدته ومبادئه .

وجعل يقاتل بعزم شامخ قد استمد من وحدة سيده الحسين وحرابته

النشاط والحماس ، وقد قتل منهم اثني عشر رجلاً سوى المجروحين (٣)
وأحاط به اعداء الله فجعلوا يرشقونه بالسهام ويقذفونه بالحجارة حتى كسروا

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٣

(٢) وفي الطبري نافع بن هلال البجلي

(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٢١

عضدية ، فلم يتمكن أن يقل سيفه فبادروا إليه وأخذوه اسيراً إلى ابن سعد فقال له :

« ما حلك على ما صنعت بنفسك ؟ »

فأجابه جواب المؤمن بره قائلاً :

« ان ربي يعلم ما أردت »

والتفت إليه بعض أصحاب ابن سعد وقد رأى الدماء تسيل على وجهه ولحيته فقال له :

« أما ترى ما بك ؟ »

فقال مستهزئاً ومثيراً لغضبهم :

« والله لقد قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحت ، وما الوم نفسي على الجهد ، ولو بقيت لي عضد ما اسرتموني » .
وثار الابرص الحبيث شمر بن ذي الجوشن فعمد إلى سيفه فسلاه ، فصاح به نافع :

« والله يا شمر لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمد لله الذي جعل منايانا على أيدي شرار خلقه » .

اجل والله لو كان عند الشمر مسكة من الدين لما اقترف تلك الجرائم التي لا يقترفها إلا من لا علاقة له بالله ، واندفع الوغد الى نافع فضرب عنقه (١) وبذلك انتهت حياة هذا البطل العظيم الذي اخلص لدينه ، واخلص في الدفاع عن ابن رسول الله (ص) وهو من اعظم رجال الاسلام صلابة في الحق وصدقاً في الدفاع عنه .

(١) تاريخ ابن كثير ٨ / ٨٤ ، انساب الاشراف ق ١ ج ١

عابس مع شوذب :

ولما رأى البطل الملهم عابس بن شبيب الشاكري وحمدة الامام
واجتماع أهل الكوفة على قتله أقبل على رفيقه في الجهاد شوذب مولى
شاكر (١) فقال له :

« يا شوذب ما في نفسك أن تصنع ؟ »

فأبى شوذب يعلن ما صمم عليه من الفداء والتضحية قائلاً :

« اقاتل حتى اقتل »

فشكره عابس وأثنى عليه قائلاً :

« تقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك فان

هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر عليه » .

فأي إيمان مثل هذا الإيمان ؟ انه كان يسعى جاهداً بجميع طاقاته

ليظفر بما يقربه إلى الله زلفى ، وتقدم شوذب فأدى التحية الى الامام

وحمل على معسكر ابن سعد فقاتل قتال الأبطال حتى استشهد بين يدي

أبي عبد الله (٢) .

مصرع عابس الشاكري :

وعابس الشاكري كان من اسرة عريقة في الشرف والنبيل ، عرفت

بالشجاعة والاخلاص للحق ، وفيهم يقول الامام علي (ع) : « لوتمت عدتهم

الفا لعبد الله حق عبادته ، وكانوا يلقبون « فتيان الصباح » وكان عابس

(١) ورد في الزيارة الرجبية (سويد مولى شاكر)

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤

في طليعة أسرته ، ومن افذاذهم وهو الذي حمل رسالة مسلم الى الحسين
التي يطلب فيها قدومه الى العراق ، وظل ملازماً للامام من مكة إلى كربلاء
وكان من ألم أصحابه في الولاة والاخلاص له ، وقد تقدم اليه يطلب منه
الاذن في القتال وخاطب الامام فأعرب له بما يحمله في نفسه من الولاة
العميق قائلاً :

« ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي منك ، ولو
قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء اعز علي من نفسي لفعلت السلام عليك
اشهد اني على هداك وهدى أبيك ، (١) .

ثم هجم على معسكر ابن سعد ، وطلب منهم المبارزة فلم يجبه أحد
فقد جنبوا جميعاً عن مقابلته لأنهم كانوا يعرفونه من اشجع الناس ، فجعلوا
يتصايحون وقد ملأ الذعر قلوبهم واختطفت الخوف الوانهم قائلين :
« هذا اسد الاسود ، هذا ابن أبي شيب لا يخرجن إليه أحد
منكم . . . » .

وصاح ابن سعد بجميحه :
« ارضخوه بالحجارة »

وعمدوا إلى الحجارة فجعلوا يرضخونه بها من كل جانب ، ولما رأى
البطل جنبهم واحجامهم عن مقابلته القى درعه ومغفره وشد عليهم كالليث
فكان يطرد ما بين يديه أكثر من مائة فارس ثم انعطفوا عليه من كل جانب
فأردوه صريماً ، واحتزوا رأسه الشريف ، وجعلوا يتخاصمون فيما بينهم
كل واحد منهم يدعي انه قتله ليحظى بالجائزة وانكر ابن سعد أن يكون قد
قتله واحد منهم وإنما اشترك في قتله جماعة منهم (٢) وقد انتهت بذلك حياة

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤

هذا البطل العظيم الذي أبلى في الدفاع عن الاسلام بلاه حسناً ، وجاهد
جهاد النبيين .

هزيمة الضحاك :

وكان الضحاك بن عبد الله المشرقي من اصحاب الامام إلا انه لما
رأى كثرة القتلى من أصحاب الحسين صمم على الهزيمة والفرار ، وجاء
إلى الحسين فقال له :

« لقد كنت رافقتك على أن أقتل معك ما وجدت مقاتلاً ، فأذن لي
في الانصراف فإني لا أقدر على الدفاع عنك ، ولا عن نفسي » .
واذن له الامام في الانصراف فولى منهزماً ، وعرض له قوم من
اصحاب ابن سعد الا انهم خلوا سبيله فمضى هارباً فلم يرزق الشهادة بين
يدي ربيعة رسول الله (ص) (١) .

شهادة جون :

وجون (٢) من أفذاذ الاسلام ، وهو مولى لأبي ذر الغفاري ،
وكان شيخاً كبيراً قد اترعت نفسه الشريفة بالتقوى والايمان ، ولم يمنعه
سواد بشرته وتواضع حسيبه أن يتبوأ المكان الرفيع ، ويكون من اعلام
المسلمين فينال من الاكابر والتعظيم ما لم ينله أحد من أبطال التاريخ ،
ويقول المؤرخون انه تقدم ضارعا الى الامام ليمنحه الاذن فيستشهد بين

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٥

(٢) قبل اسمه حوي

يديه فقال له الامام :

« يا جون انما تبعتنا طلبا للعافية فأنت في اذن مني ،

وهوى جون على قدمي الامام يوسعهما تقبيلا ودموعه تتباور على

خديه وهو يقول :

« أذا في الرخاء الحسن فصاعكم وفي الشدة اخذلكم ، ان ريحي لنتن
وحسبي للثيم ، ولوني لأسود فتنفس علي بالجنحة ليطيب ريحي ويشرف
حسبي ، ويبيض لوني لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود
مع دمائكم . . . (١) .

أية عظمة عبرت عنها هذه الكلمات المشرقة ؟ واي شرف انطوت
عليه نفسه ؟ . . ان لوله الأسود لأشرق وانضر من الوان اولئك العبيد
وهو الحر بما يحملي من سمو النفس ، وشرف الذات ، وان ريحه لأطيب
من ريحهم ، وان حسبه هو الحسب الوضاح ، وان اهل الكوفة هم
المغمورون في احسابهم فقد تنكروا للانسانيتهم ، وصاروا وصمة عار وخزي
على البشرية بأسرها .

لقد حفل كلام جون بمنطق الأحرار فانه ليس من الانسانية في شيء
أن ينعم في ظلال الامام أيام الرخاء ، ويخذله امام هذه الخنة القاسية ،
لقد كان الوفاء من العناصر المميزة لكل فرد من أصحاب الامام أبي عبد الله
على بقية شهداء العالم .

وأذن له الامام فبرز مزهواً وهو يرتجز :

كيف ترى الفجار ضرب الأسود بالمشرفي القاطع المهند
بالسيف صلنا عن بني محمد أذب عنهم باللسان واليد

(١). مثير الاحزان لابن نما (ص ٣٣)

ارجو بذلك الفوز يوم المورد من الاله الواحد الموحد

إذ لا شفيح عنده كأحمد (١)

ودلل بهذا الرجز على بسالته وشجاعته ، وهو انما يدافع عن ابناء
النبي (ص) ويذب عنهم بلسانه ويده لا يبتغي في ذلك أي شأن من شؤون
الدنيا ، والمما يرجو الفوز في الدار الآخرة والشفاة من النبي
العظيم (ص) .

وقال جون قتال الأبطال فقتل فيما يقول المؤرخون خمسة وعشرين
رجلا ، وحمل عليه أعداء الله فأردوه قتيلا ، وخف إليه الامام فجعل
ينظر إلى جثته الممضب بالدماء واخذ يدعو له قائلا :
اللهم بيض وجهه ، وطيب ريحه واحشره مع محمد ، وعرف
بينه وبين آل محمد .

واستجاب الله دعاء الامام فكان من يمر بالمعركة يشم منه رائحة
طيبة أذكى من المسك (٢) .

شهادة حنظلة الشبامي :

وحنظلة الشبامي ممن صاغ حياته على الايمان بالله حتى بلغ أعلى
مستويات القيم الانسانية تقدم إلى الامام بلهفة وشوق ليأخذ مكانه العالي
مع الشهداء من اصحاب الامام وطلب منه الاذن ، فسمع له ، وتقدم الى
ساحة القتال فجعل يعظ القوم ويذكرهم الدار الآخرة قائلا :

(١) الفتوح • / ١٩٨

(٢) مقتل المقرم (ص ٢٠٤)

« يا قوم : اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والدين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد ، يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد . . يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى » .

ولم يع أولئك الاوغاد كلامه وانما راحوا سادرين في طيشهم وضلالهم قد ختم الله على قلوبهم واسماعهم فهم لا يبصرون ، وشكر له الامام مقاتله ، وقال له :

« رحمك الله انهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم اليه من الحق ، ونهضوا إليك ليُسْتَبِيحوك وأصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا اخوانك الصالحين ؟ » .

« صدقت يا بن رسول الله ، أفلا نروح الى الآخرة ؟ »
واذن له الامام فانطلق الى ساحة المعركة بشوق ليفوز بالشهادة ، وقاتل قتال الأبطال حتى استشهد (١) وقد وفى بما عاهد عليه الله من نصرة الحق والفداء في سبيل الاسلام .

مصراع الحجاج :

ومن بين صفحات الفداء الباهرة التي تحمل العظمة الانسانية الحجاج ابن مسروق الجمعي ، فقد برز إلى ساحة الحرب ، وجعل يقاتل اعنف القتال وأشده حتى خضب بدمائه الزكية ، فقفل راجعاً الى الامام الحسين وهو جلدان مسرور بما قدمه من الفداء والتضحية في سبيله ، وأخذ

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤

بخطاب الامام بهذا الرجز :

اليوم القى جدك النبياء ثم أباك ذا الندى عليا
ذاك الذي نعرفه وصيا

إنه ليقدم على رسول الله (ص) وهو مرفوع الرأس بما قدم من
التضحية في سبيل ريجانته ، وقد اجابه الامام .
« وأنا على أترك القاهما »
ورجم إلى حومة الحرب فجعل يقاتل ببسالة وصمود حتى استشهد (١)
دفاعا عن الحق فلذكره المجد والخلود .

مصراع عمرو بن جنادة :

وبرز الفتى النبيل عمرو بن جنادة الأنصاري وهو اصغر جندي في
معسكر الحسين ولكنه كان يفوق في عقله ردينه من في معسكر ابن سعد ،
ويقول المؤرخون انه كان يبلغ من العمر احدى عشرة سنة ، وقد استشهد
ابوه في المعركة ، فلما طلب الاذن من الامام لم يسمح له بذلك وقال :
« هذا غلام قتل ابوه في الحملة الاولى ولعل أمه تكره ذلك »
واندفع الفتى يلح على الامام ويقول له :

« إن أمي امرتني »

فاذن له الامام ، ومضى الفتى متحمسا إلى الحرب فلم يلبث الا قليلا
حتى استشهد ، واحتز رأسه الشريف اوغاد اهل الكوفة ورموا به صوب
مخيم الحسين فبادرت اليه السيدة أمه فأخذته وجعلت توسعه تقييلا ،
ثم مسحت عنسه الدم ، وردت به رجلا قريبا منها فصرعته وسارعت إلى

(١) مقتل المقرم (ص ٣٠٦)

المخيم فأخذت عموداً وحملت على اعداء الله وهي ترتجز :
 أنا عجوز في النساء ضعيفة محاوية باليسة زحيفة
 أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة
 واصابت رجلين فبادر إليها الامام وردها الى المخيم (١) لقد اثرت
 غربة الامام ووحدته على عواطف هذه السيدة الكريمة ، فقدمت فلذة
 كبدها فداءً له ، ثم انعطفت هي في ميدان القتال لتفديه بنفسها ، فكان
 - حقاً - هذا منتهى الايمان والاخلاص .

مصرع أنس الكاهلي :

وانس بن الحارث الكاهلي من صحابة النبي (ص) وقد شهد معه
 بدرأ وحنيناً ، وقد سمعه يقول : « ان ابني هذا - يعني الحسين - يقتل
 بأرض كربلاء ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره » (٢) وقد لازم الحسين
 وصحبه من مكة ، وكان شيخاً كبيراً طاعناً في السن وقد استأذن من
 الامام أن يجاهد بين يديه فاذن له ، وقد شد وسطه بهامته نظراً لتقوس
 ظهره كما رفع حاجبيه بالعصابة فلما نظر اليه الامام ارخى عينيه بالبكاء ،
 وقال له : شكر الله لك يا شيخ ، وقال - على كبر سنه - قتال الأبطال
 فروي أنه قتل ثمانية عشر رجلاً ثم استشهد (٣) وسمت روحه الطاهرة
 الى الرفيق الاعلى مع النبيين والصدّيقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

(١) مقتل الخوارزمي ١٤٠ / ٢

(٢) اسد الغابة ١ / ٣٤٩ ، الاصابة ١ / ٦٨ ، كنز العمال ٦ / ٢٢٣

(٣) مقتل المقرم

مصرع أبي الشعثاء :

وابو الشعثاء هو يزيد بن زياد بن المهاجر الكندي ، وكان من ابطال العرب وفرسانهم ، وكان ممن خرج مع ابن سعد لحرب الامام ، ولما عرض الامام على ابن سعد الشروط التي اشترطها وأبى ابن سعد مال الى الحسين (١) وجعل يرشق القوم بسهامه ويقول المؤرخون انه رماهم بمائة سهم فما سقط منها غير سهم ، وكلما رمى يقول له الامام .

« اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة »

ولما نفذت سهامه جرد سيفه وحمل عليهم وهو يرتجز :

أنا يزيد وأبي مهاجر اشجع من ليث بغيل خادر (٢)

يارب اني للحسين ناصر ولاين سعد رافض وهاجر

وقاتل قتال الأبطال حتى قتل (٣) وانتهت بذلك حياته مدافعا عن

دين الله ومناصراً لريحانة رسول الله (ص) .

مصرع الجابريين :

ومن المع أنصار الامام (ع) الجابريان ، وهما سيف بن الجارث ابن سريع الجابري ومالك بن عبد بن سريع الجابري وكانا اخوين من أم وابني عم ، وقد تقدما بين يدي أبي عبد الله ، وعيناهما تفيضان دموعا فقال لهما الامام :

« ما يبكيكما اني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين ؟ »

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٣ وجاء

فيه انه اول من قتل من أصحاب الامام .

(٢) وفي الفتوح ٥ / ١٩٩ « ليث عبوس في العرين جاذر ،

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

فاسرعاً قائلين :

« جعلنا الله فداك ، ما على انفسنا نبيكي ، ولكن نبيكي عليك ،
نراك قد أحبط بك ، ولا نقدر أن تنفكك » .
لقد امتلأت قلوب أصحاب الامام بالولاء الباهر والاخلاص العميق له
فكانوا لا يفكرون إلا به ، ويتمحرون ألماً وحزناً عليه .
وقاتل الجابريان قتال الأبطال ، وقد تناهبت أشلاءهما السيوف والرماح
في وحشية قاسية ، واستشهدا بالقرب من الامام (١) .

مصرع الغفاريين :

وبرز إلى ساحة الجهاد الاخوان عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة
الغفاري فجعلوا يقاتلان باستبسال نادر حتى استشهدا بين يدي الامام (٢) .

مصرع الانصاريين :

ولما استغاث الامام وجعل يطلب الناصر والمعين لحماية عقائل النبوة
ومخدرات الوحي اثر ذلك في نفوس الأنصاريين ، وهما سعد بن الحارث
واخوه ابو الختوف وكانا مع ابن سعد فمالا بسيفيهما على معسكر ابن سعد
وقاتلا حتى قتلا (٣) .

شهادة انيس :

وانبرى إلى ساحات الجهاد بين يدي أبي عبد الله انيس بن معقل
الأصبحي وهو يرتجز :

أنا أنيس وأنا ابن معقل وفي يميني نصل سيف مصقل

(١) (٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٢ (٣) الحدائق الوردية

اضرب به في الحرب حتى ينجلي اعلي به الهامات وسط القسطل
عن الحسين الماجد المفضل ابن رسول الله خير مرسل
وقد مثل هذا الرجز الحماس الديني الذي سيطر عليه فقد عرفهم
بنفسه وأعلن انه انما بقائلهم دفاعا عن ابن رسول الله ، وهو لا يبغي
بهلك أي مطعم سوى رضاء الله . . : وقاتل البطل قتالا عنيفا حتى
استشهد (١) .

مصرع قرعة الغفاري :

ومن اصحاب الامام الدين استشهدوا للحق قرعة بن أبي قرعة الغفاري
فقد برز وهو يرتجز :

قد علمت حقا بنو غفار وخندف عهد بني نزار
بأنني الليث لدى الغبار لأضربن معشر الفجار
بكل غضب ذكر بتار ضربا وحتفا عن بني المختار
رھط النبي السادة الأبرار (٢)

وهذا الرجز يتدفق بالحيوية والحماس للدفاع عن عترة النبي (ص)
وقد دلل على بطولته بأن بني غفار وخندف وبني نزار كلهم يشهدون
ببساطته وشجاعته ، وهو انما يجاهد دفاعا عن السادة الابرار ابناء رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم . . . وقاتل البطل الغفاري قتالا شديدا حتى هوى
جسده الشريف الى الأرض تحت ضرب السيوف وطعن الرماح ، وسمت
روحه الى الرفيق الأعلى .

(١) الفتوح ٥ / ١٩٨

(٢) الفتوح ٥ / ١٩٥

مصرع يحيى المازني :

وبرز إلى حومة الحرب يحيى بن سليم المازني ، وهو يرتجز :
لأضربن القوم ضرباً فيصلاً ضرباً شديداً في العداة معجلاً
لا عاجزاً فيها ولا مولواً ولا اخاف اليوم موتاً مقبلاً
لكنني كالليث أحمي مشيلاً

واعلن بهذا الرجز عن شجاعته فهو سينزل بالأعداء الضربات القاسية
وانه سيحاربهم ببسالة وصبور لا عاجزاً ، ولا مولواً ، ولا خائفاً من
الموت ، وانما هو كالليث يصول فيهم ليحامي عترة رسول الله ، وشد
عليهم كأنه جيش ، وفاتلهم أعنف القتال واشده حتى استشهد بين يدي
أبي عبد الله (١) .

الامام مع اصحابه :

وكان الامام يبعث في نفوس اصحابه روح العزم والصبور ، ويوصيهم
بالصبر على ملاقاتة الأهوال قائلاً لهم :
« صبراً بني الكرام فما الموت الا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء
الى الجنان الواسعة ، والنعم الدائمة ، فأياكم يكره أن ينتقل من سجن إلى
قصر ، ان أبي حدثني عن رسول الله (ص) انه قال : ان الدنيا سجن
المؤمن ، وجنة الكافر ، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم ، وجسر هؤلاء
الى جحيمهم . ما كذبت ، ولا كذبت ، (٢) .
وقد اهبت هذه الكلمات عواطفهم فخاضوا الموت في استبسال عاصف
ليصلوا الى مراتبهم في الفردوس الأعلى .

(١) الفتوح ٥ / ١٩٤ (٢) مقتل الحسين لعبد الله نور الله

شهادة عبد الله الزني :

وخرج إلى ميدان القتال عبد الله الزني فقاتل ببسالة زادرة وهو يرتجز :
انا ابن عبد الله من آل يزن ديني على دين حسين وحسن
اضربكم ضرب فتي من اليمن ارجو بذلك الفوز عند المؤمن
لقد عرفهم بنفسه وأسرته وبلده ، وعرفهم أنه على دين سيده
الحسين ، وهو اذ يضحى بنفسه في سبيله فالما ارجو بذلك الفوز عند
الله . . . وقاتل كما قاتل اخوانه الشهداء ببسالة وعزم ثم استشهد (١) .

الامام مع الشهداء :

وكان الامام العظيم يقف على الشهداء الممجدين من أصحابه وهو
يتأمل بوجهه الوديع فيهم فيراهم مضمخين بدم الشهادة ، ومعطرين بنفحات
من روح الله ، فانطلق يؤبئهم باعجاب قائلاً :
« قتلة كقتلة النبيين وآل النبيين » (٢)

مصرع سويد :

وكان آخر من استشهد من أصحاب الامام البطل الشجاع سويد بن
عمرو بن أبي المطاع الخثعمي فقد سقط في المعركة جريحاً وظنه القوم
أنه قد قتل فلم يجهزوا عليه ، وكان فدغامت نفسه من ألم الجروح ونزيف
الدماء فلما سمع القوم ينادون :
« قتل الحسين »

فانتفض كما ينتفض الأسد الجريح غير حائل بما هو فيه من ألم الجروح
فانبرى يفتش عن سيفه فلم يجده وظفر بمذبة فحمل عليهم يطعن فيهم ففروا

(٢) مقتل الحسين لعبد الله

(١) الفتوح ٥ / ١٩٤

مذعورين ، وقد ظنوا أن الموتى من اصحاب الحسين قد عادت إليهم
أرواحهم ليستأنفوا الجهاد ثانياً ، ولما أيقنوا خطأهم انعطفوا عليه فقتلوه
وقد قتله عروة بن بطن الثعلبي . ولم يعرف التأريخ الانساني اصدق
ولا انبل من هذا الوفاء ، فكان حقاً هذا هو المعجزة في معسكر الحسين ،
فقد ظلوا على الوفاء لامامهم حتى الرمق الأخير من حياتهم .

هؤلاء بعض اصحاب الامام ، وقد ابلوا في المعركة هباءً يقصر عنه
كل وصف واطراء ، فقد جاهدوا جهاداً لم يعرف له التأريخ نظيراً في
جميع عمليات الحروب التي جرت في الأرض ، فقد قابلوا على قلة عددهم
وما بهم من الظمأ القاتل تلك الجيوش المكثفة ، وانزلوا بها افدخ الخسائر .
إن تلك الكوكبة من ابطال الايمان قد صارعوا الأهوال ، وخاضوا
تلك المعركة الرهيبة ، وقد وقفوا وقفة الرجل الواحد ، وقادوا حركة
الايمان ، ولم تضعف لأي رجل منهم عزيمة ، ولم تلن لهم قناة ، وقد
خضبوا جميعاً بالدماء وهم يشعرون بالغبطة ويشعرون بالفخار ، وقد دللوا
بتضحياتهم الهائلة النبيلة على عظمة الاسلام الذي منحهم تلك الروح الوثابة
التي استطاعوا بها أن يقاوموا بصبر وثبات تلك الوحوش الكاسرة التي
ساقتها الأطماع الى اقتراف افظع جريمة في تأريخ البشرية كلها .

لقد سمت ارواحهم الطاهرة الى الرفيق الأعلى وهي انصر ماتكون
تغانياً في مرضاة الله واشد ما تكون إيماناً بعدالة قضيتهم التي هي من انبل
القضايا في العالم . . . وان اعطر تحية توجهه لذكراهم كلمات الامام
الصادق (ع) في حقهم .

« يا ابي أنت وأمي طيبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم والله
فوزاً عظيماً » .

مصارعُ العترة الطاهرة

وبعد ما استشهدت الصفوة العظيمة من أصحاب الامام هبت ابناء
الأسرة النبوية شباباً واطفالا للتضحية والمُداء ، وهم بالرغم من صغر
اسنانهم كانوا كالليوث لم يرهبهم الموت ولم تفزعهم الأهوال وتسايقوا
- بشوق - إلى ميادين الجهاد ، وقد ضنَّ الامام على بعضهم بالموت
فلم يسمح لهم بالجهاد الا انهم اخذوا يتضرعون إليه ، ويقبلون يديه ورجليه
ليأذن لهم في الدفاع عنه .

والمنظر الرهيب الذي يذيب القلوب ، ويذهل كل كائن حي هو أن
تلك الفتية جعل يودع بعضهم بعضا الوداع الأخير فكان كل واحد منهم
يوسع أخاه وابن عمه تقبيلاً وهم غارقون بالدموع حزناً وأسى على ريحانة
رسول الله (ص) حيث يرونه وحيداً هربياً قد احاطت به جيوش الأعداء
ويرون عقائل النبوة ومخدرات الوحي وقد تعالت اصواتهن بالبكاء
والعويل . . . وساعد الله الامام على تحمل هذه الكوارث التي تفهم
الأصلاط ، وذهل الألباب ، ولا يطبقها أي انسان الا من امتحن الله
قلبه للايمان . . . أما الذين استشهدوا من ابناء الرسول (ص) فهم :

علي الأكبر :

وأجمع المؤرخون ان علي بن الحسين الأكبر كان يضارع جده الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ، في خلقه وأخلاقه التي امتاز بها على سائر
النبيين ، وأعظم بهذه الثروة التي ملكها سليل هاشم فقد ملك جميع
الطاقات الانسانية والمثل الكريمة التي يسمو بها العظماء والمصلحون .
وكان البارز من معاني أخلاقه الاباء والشمم وعزة النفس والاندفاع
الهائل في ميادين الكرامة الانسانية ، فقد أثر الموت واستهان بالحياة في

سبيل كرامته ، ولا يخضع لحكم الدعي ابن الدعي ، وقد بعث عمر بن سعد رجلا من أصحابه فناده :

« وان لك قرابة بامير المؤمنين - يعني يزيد - وزيد أن ترعى هذا الرحم ، فان شئت آمنك ؟ »

فسخر منه علي بن الحسين وصاح به :

« لقرابة رسول الله احق ان ترعى ، (١) »

وكان من ابر ابناء الامام واكثرهم مواساة وحرصاً عليه ، وهو اول من اندفع بحماس بالغ من الهاشمين إلى الحرب ، وكان عمره فيما يقول المؤرخون ثمانى عشرة سنة (٢) ، فلما رآه الامام اخذ يطيل النظر إليه ، وقد ذابت نفسه حزناً واشرف على الاحتضار ، لأنه رأى ولده الذي لاند له قد ساق نفسه إلى الموت ، فرفع شيبته الكريمة نحو السماء وراح يقول بجرارة وألم ممض :

« اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز لايهم هلام أشبه الناس برسولك محمد (ص) خلتاً وخلتاً ومنطقاً ، وكنا إذا اشتقنا الى رؤية نبيك نظرنا إليه . . اللهم امنعهم بركات الأرض ، وفرقهم تفريقاً ، ومزقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قديدا ، ولا ترضي الولاة عنهم أبدا ، فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا » :

ويلمس في هذه الكلمات الحزينة مدى اساه على ولده الذي استوعب

(١) نسب قريش (ص ٥٧)

(٢) الفتوح ٥ / ٢٠٧ وقيل كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة كما في عمدة الطالب (ص ١٨٢) وقيل كان عمره سبعاً وعشرين سنة حسب ما ذكره المقدم في مقتل الحسين .

نفسه حباً له ، وقد دعا الله - بجرارة - ان ينزل على تلك العصاة
المجرمة عذابه الأليم في هذه الدنيا وتقطع قلب الامام حزناً على ولده فصاح
بالمجرم الأثيم عمر بن سعد .

« مالك قطع الله رحمك ، ولا بارك لك في أمرك ، وسلط عليك
من يلبحك بمسدي على فراشك ، كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من
رسول الله (ص) ثم تلا قوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم . . . » .

وشيع الامام ولده بدموع مشفوعة بالحزن والزفرات ، وخلفه نساء
أهل البيت وقد علامنن الصراخ والعيول على شبيه رسول الله (ص)
الذي ستتناهب شلوه السيوف والرماح .

وانطلق الفتى إلى حومة الحرب مزهواً لم يختلج في قلبه خوف ولا
رعب ، وهو يحمل هيبة الرسول (ص) وشجاعة امير المؤمنين وبأس حمزة
واباء الحسين ، وتوسط حراب الأعداء وسيوفهم وهو يرتجز بعزة وتصميم
محمياً عن دين الله .

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي

تا الله لا يحكم فينا ابن الدعي (١)

أجل والله يا فخر هاشم أنت وأبوك أولى بالنبي واحق بمقامه ،
فأنتم أقرب الناس إليه والصدقهم به ولكن الأطاغ السياسية التي تغلبت
على القوم هي التي دفعتمكم عن مقامكم ، وسلطت عايكم هذه الطغمة الجائرة
فعمدت الى تقطيع أوصالكم واستئصال شأفتكم ليخلو لها الجو في التآمر على
المسلمين بغير الحق .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٣ ، انساب الأشراف ق ١ ج ١

واعلان علي بن الحسين في رجزه عن روعة بأسه وشدة آبائه ، وانه يؤثر الموت على الخنوع للدعي ابن الدعي . . . والتحم مع اعداء الله وقد ملأ قلوبهم رهبا وفزعا وابدى من البسالة ما يقصر عنه الوصف ، فقد ذكروهم ببطولات جده امير المؤمنين ، وقد قتل فيما يقول بعض المؤرخين مائة وعشرين فارسا (١) سوى المجروحين والح عليه العطش فقفل راجعا الى أبيه يشكو إليه ظمأه القاتل ويودعه الوداع الأخير ، واستقبله أبوه بحرارة فبادره علي قائلا :

« يا أبة العطش قد قتلتني ، وثقل الحديد قد اجهدني ، فهل الى شربة ماء من سبيل اتقوى بها على الأعداء ؟ »
والتاع الامام كأشد ما تكون الولة الما ومحنة ، فقال له بصوت خافت وعيناه تفيضان دموعا .

« واغوثاه ما اسرع الملتقى بجسدك ، فيسقيك بكأسه شربة لا نظما بعدها أبداً . »

وأخذ لسانه فمصه ليريه ظمأه فكان كشفه مبرد من شدة العطش ودفع إليه خاتمه ليضعه في فيه (٢) .

لقد كان هذا المنظر الرهيب من افجع ما رزى به الامام الحسين لقد رأى فلذة كبده وهو في غضارة العمر وربعان الشباب ، وقد استوعبت الجراحات جسمه الشريف وقد اشرف على الهلاك من شدة العطش وهو لم يستطع أن يسعه بجرعة ماء ليروي ظمأه ، يقول الحجة الشيخ عبد الحسين صادق في رثائه :

يشكو لخير أب ظمأه وما اشتكى ظمأ الحشا الا إلى الظامي الصدي

(١) (٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٠

كل حشاشته كصايلة الغضا ولسانه ظمأ كشفة مبرد
فانصاع يؤثره عليه بريقه لو كان ثمة ريقه لم يجمد
وقفل علي بن الحسين راجعاً الى حومة الحرب قد فتكت الجروح
بجسمه وفتت العطش كبده ، وهو لم يحفل بما هو فيه ، وانما استوعبت
فكره وحدة أبيه وتضافر اعداء الله على قتله ، وجعل يرتجز :
الحرب قد بانث لها حقائق وظهرت من بعدها مصادق
والله رب العرش لا تفارق جموعكم أو تغمد البوارق (١)
لقد اعرب فخر هاشم بهذا الرجز بأن الحقائق قد ظهرت في هذه
الحرب ، وتجلت للجميع الأهداف النبيلة التي ينشدها أهل البيت ، وانهم
سابقون يناضلون عنها حتى تغمد البوارق .

وجعل علي الأكبر يقاتل أشد القتال واعنفه حتى قتل تمام المائتين (٢)
وقد ضج العسكر فيما يقول المؤرخون من شدة الخسائر التي مُني بها ،
فقال الوضري الخبيث مرة بن منقذ العبدى (٣) علي آثم العسرب إن
لم ائكل آياه (٤) وأسرع الخبيث إلى شبيهه رسول الله (ص) فطعنه بالرمخ

(١) الفتوح ٥ / ٢٠٩

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣١

(٣) مرة كان أبوه منقذ من قادة جيش الامام في معركة الجمل ،
واستشهد في تلك الواقعة وحمل ابنه مرة اللواء من بعده وخاض المعركة
وشهد مع علي صفين والنهروان ، ثم ارتد على عقبه وانحرف عن الاسلام
فانضم إلى معسكر ابن سعد واقترف في هذه الحرب افظع الجرائم التي منها
قتله لشبيهه رسول الله (ص) على الأكبر .

(٤) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣١٦) مقاتل الطالبين (ص ١١٦)

في ظهره وضربه ضربة غادرة بالسيف على رأسه ففلق هامته ، واعتنق علي فرسه بظن انه يرجعه إلى أبيه ليتزود بالنظر إليه ، إلا ان الفرص حمله الى معسكر الأعداء فأحاطوا به من كل جانب ولم يكتلموا بهتله وانما راحوا يقطعونه بسيوفهم ارباً ارباً تشفياً منه لما الحقه بهم من الخسائر الفادحة ، ونادى علي رافعاً صوته :

« عليك مني السلام أبا عبد الله ، هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه شربة لا اظماً بعدها ، وهو يقول : إن لك كأساً مذخورة ، .
وحمل الأثير هذه الكلمات الى أبيه الناكل الحزين فقطعت قلبه ومزقت احشائه فلزعج إليه وهو خائر القوى منهد الركن فانكب عليه ، ووضع خده على خده ، وهو جثة هامدة قد قطعت شلوه السيوف في وحشية قاسية ، فأخذ يذرف أحر دموعه وهو يقول بصوت خافت قد لفظ شظايا قلبه فيه :

« قتل الله قوما قتلوك ، يا بني ما اجرأهم على الله ، وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا » (١) .
وهرعت إليه الفتية من عمومته وأبناء عمومته فالقوا بنفوسهم عليه وهم يوسعونه تقييلاً ويلثمون جراحاته ، ويقسمون على أن يمضوا على ماضى عليه ، وأمرهم الامام أن يحملوه إلى المخيم .
وهرعت الطاهرة البتول حفيدة النبي (ص) زينب (ع) فانكببت على جثمان ابن أخيها تضمخه بدموعها ، وتندبه بأشجي ما تكون الندبة ، وقد انهارت امام ابن أخيها الذي كان قبل ساعة يملأ العين اهايه ، وأثر منظرها الحزين في نفس الامام فجعل يعزيها بمصاهاها الأليم ، وهو يردد :

(١) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٣ ، نسب قریش (ص ٥٧)

لقد كان علي بن الحسين الرائد والزعيم لكل ابي شريف مات
عصبا على الضيم في دنيا الابهاء والشرف
وداعا يا بطل الاسلام
وداعا يا فخر هاشم
وداعا يا فجر كل ليل
ونحن نودعك بالأمسى والحزن وزدد مع أبيك كلماته الحزينة
« على الدنيا بعدك العفا » .

مصارع آل عقيل :

واندفعت الفتية الطيبة من آل عقيل الى الجهاد وهي مستهينة بالموت
وقد نظر الامام (ع) إلى بسالتهم واندفاعهم إلى نصرته فكان يقول :
« اللهم اقتل قاتل آل عقيل . . . صبرا آل عقيل ان موهدكم
الجنة » (١) .

وكان علي بن الحسين زين العابدين (ع) يميل أشد الميل لآل عقيل
ويقدمهم على غيرهم من آل جعفر ، فقيل له في ذلك فقال : اني لأذكر
يومهم مع أبي عبد الله فارق لهم (٢) .
وقد استشهد منهم تسعة في المعركة دفاعاً عن ریحانة رسول الله (ص)
وفيهم يقول الشاعر :

عين جودي بعبرة وهويل واندبني ان نذبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب علي قد اصيبوا وتسعة لعقيل (٣)

(١) بطل الملقمي ١ / ٢٢٧ (٢) البحار ١١ / ١٢٣
(٣) المعارف (ص ٢٠٤)

وقد علوا بارادتهم وعزمهم الجبار على ذلك الجيش ، وانزلوا به
أفدح الخسائر ، ومن بينهم :

عبد الله بن مسلم :

وانبرى فتي هاشم عبد الله بن مسلم (١) إلى ساحة الجهاد فخاض
غمرات الحرب واهوالها في شوق إلى الشهادة ، وقد بهر الابصار بجماله
وبسالته وهو يرتجز :

اليوم القى مسلماً وهو أبي وفتية ماتوا على دين النبي
ليسوا كقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب

من هاشم السادات أهل الحسب (٢)

لقد عرف نفسه بأنه نجل الشهيد الخالد مسلم بن عقيل ، وأنه سيلقى
أباه في يومه ويلتقي بالفتية من أبناء عمومته الذين استشهدوا في سبيل
الاسلام وماتوا على دين النبي (ص) وانهم ليسوا كأهل الكوفة الذين
عرفوا بالغدر والخيانة والكذب ، وانما ينميهم هاشم سيد العرب ، وبهم
تلتقي كل فضيلة وشرف في الاسلام .

وقاتل الفتي قتالاً عنيفاً فقتل جماعة في ثلاث حملات ، وسدد له
الوضر الأثيم يزيد بن الرقاد (٣) سهماً غادراً فاتقاه الفتي بيده فسمرها

(١) عبد الله بن مسلم : أمه رقية بنت الامام امير المؤمنين (ع) جاء

ذلك في نسب قریش (ص ٤٥) .

(٢) الفتوح ٥ / ٢٠٣

(٣) في تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٣ ان الذي رماه عمرو بن صبيح

الصدائي .

الى جبهته ، فما استطاع ان يزيل السهم وقد اخذ منه الألم القاسي مأخذاً
عظيماً فراح يدعو على السفكة المجرمين قائلاً :
« اللهم انهم استقلونا واستدلونا فاقتلهم كما قتلونا »
وشد عليه وغد فطعنه بالرمح في قلبه ، فتوفي الفتي شهيداً مدافعاً
عن أقدس الحرمات في الاسلام (١) .

جعفر بن عقيل :

وبرز إلى ساحات الجهاد جعفر بن عقيل (٢) فتوسط في ميدان
الحراب وهو يرتجز :
أنا الغلام الأبطحي الطالبي من معشر في هاشم وغالب
ونحن حقاً سادة الدواب هذا حسين سيد الأطايب (٣)
لقد عرفهم نفسه بأنه من الأمرة النبوية التي هي أشرف الأسر
العربية واعلامها مجداً ، وانه انما يدافع عن سيده الحسين الذي هو سيد
الاطائب وفخر هذه الدنيا .
وقاتل الفتي قتالاً عنيفاً ، فرماه عروة بن عبد الله الخثعمي
فقتله (٤) .

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣١٧)

(٢) جعفر بن عقيل : امه أم الثغر بنت عامر العامري من بني
كلاب ، مقاتل الطالبيين (ص ٩٣) .

(٣) الفتوح ٥ / ٢٠٣

(٤) مقاتل الطالبيين (ص ٩٣)

عبد الرحمن بن عقيل :

وانطلق عبد الرحمن بن عقيل (١) الى حومة الحرب وأخذ بصول
ويجول وهو يرتجز :

أبي عقيل فاعرفوا مكاني من هاشم وهاشم اخواني
كهول صدق سادة القران هذا حسين شامخ البليان (٢)
لقد أدلى بنسبه الوضاح فهو نجل عقيل ابن عم رسول الله (ص)
واله من السادة الامجاد الذين هم من أروع امثلة الوفاء والنبيل والشرف
في الأرض ، كما اشاد بالامام الحسين بأنه شامخ البليان بمثله ومواهبه
وقرابته من النبي (ص) . . . وقاتل قتال الأبطال فشد عليه عثمان بن
خالد الجهنني وبشير بن حوص القايض فقتلاه (٣) .

محمد بن عقيل :

وكان محمد بن عقيل من الفقهاء ، وقد برز مدافعاً عن ربحانة
رسول الله (ص) واستشهد بين يديه (٤) .

(١) عبد الرحمن بن عقيل : امه ام ولد ، مقاتل الطالبين (ص ٩٢)

(٢) الفتوح • / ٢٠٣

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٩٢)

(٤) محمد بن أبي سعيد الأحول بن عقيل ، امه ام ولد ، مقاتل

الطالبين (ص ٩٤) .

عبد الله الأكبر :

وبرز عبد الله الأكبر (١) فقاتل ، وشد عليه عثمان بن خالد بن
أسير الجهني ورجل من همدان فقتلاه (٢) .

محمد بن أبي سعيد بن عقيل :

وكان محمد بن أبي سعيد بن عقيل متكلماً سريع الجواب ، وقد
برز الى حومة الحرب واستشهد بين يدي الامام (٣) .

محمد بن مسلم :

وبرز محمد بن مسلم (٤) الى الحرب فشد عليه ابو مرهم الأزدي
واقطع بن اياس الجهني فقتلاه (٥) .

علي بن عقيل :

وبرز علي بن عقيل فقاتل قتالا شديداً ، واستشهد بين يدي
أبي عبد الله (ع) (٦) .

(١) عبد الله الأكبر امه ام ولد ، مقاتل الطالبين (ص ٩٢)

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٩٣)

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٩٤)

(٤) امه ام ولد

(٥) مقاتل الطالبين (ص ٩٤)

(٦) مقاتل الطالبين (ص ٩٥)

لقد ابدى شباب آل عقيل من البطولة والبسالة مالا يوصف ،
وتنافسوا على الشهادة بين يدي الحسين ، وفدوه بأرواحهم .

ابناء الحسن :

وتقدمت الفتية من ابناء الامام الحسن وهم في غضارة العمر وربيعان
الشهاب فجعلوا يتسابقون الى الموت ليفدون عمهم بأرواحهم ، وهم :

عبد الله بن الحسن :

ويكنى أبا بكر ، وأمه أم ولد يقال لها رملة ، وقد برز إلى الحرب
فتناهبت جسمه السيوف والرماح وخر صريعاً إلى الأرض يتخبط بدمه
الزاكي (١) .

القاسم بن الحسن :

وفي طليعة ابناء الامام الحسن القاسم ، وكان فيما وصفه المؤرخون
كالقمر في بهائه وجماله ، وكرونق الزهور في زهوه ولضارته ، وقد
انعم الله عليه وهو في سنه المبكر باسراق العقل وفطنة النفس وعزة
الايان ، وقد هلهاه عمه بمواهبه ، وأفرغ عليه إشعة من روحه حتى صار
مثلاً للكمال وقدوة للايمان .

وكان القاسم يرنو الى عمه وينطلق إلى محنته ، ويود أن يرد عنه

(١) حياة الامام الحسن ٢/٤٦٢ ، الدر التنظيم (ص ١٧٠)

عوادي الاعداء بدمه ، وكان يقول :

« لا يقتل عمي وأنا أحمل السيف » (١)

ولما رأى وحدة عمه احاطت به الآلام الهائلة ، واندفع يطلب منه الأذن ليجاهد بين يديه فاعتنقه الامام وعيناه تفيضان دموعاً ، وأذن له بالجهاد بعد الحاحه ، وانطاق الفتى ببطولة رائمة وهولا يعرف الخوف ويهزأ من الحياة ، ولم يصف على جسده لامة حرب ، وانما صحب معه سيفه ، والتحم مع الأعداء يضرب الأعناق ، ويحصد الرؤوس كأن المنايا كانت طوع أمره يقذف بها من يشاء ، وبينما هو يقاتل اذ انقطع شمع نعله ، فانف مليل النبوة ان تكون احدى رجله بلا نعل فوقف يشده متحدياً تلك الوحوش الكاسرة وغير حافل بها ، واغتنم هذه الفرصة الوغد الخبيث عمرو بن سعد الأزدي ، فقال : والله لأشدن عليه « فانكر عليه ذلك حميد بن مسلم وراح يقول له :

« سبحان الله ! ! وما تريد بذلك ؟ يكفيك هؤلاء القوم الذين ما يبقون على أحد منهم » .

فلم يعن به ، وشد عليه فضربه بالسيف على رأسه الشريف ، وهوى إلى الارض صريعاً كما تهوى النجوم ، ونادى رافعاً صوته :

« يا عماء . »

وتقطع قلب الامام ، وهرع نحو ابن أخيه ، فعمد إلى قاتله فضربه بالسيف فانقاها بساعده فقطعها من المرفق ، وطرحه أرضاً ، فعملت خيل أهل الكوفة لاستنقاذه الا انه هلك الاثيم تحت حوافرها وانعطف الامام

(١) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (ص ٢٥) لعهد الدين

الأصفهاني من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

نحو ابن أخيه فجعل يقبله والفتى يفحص يديه ورجليه ، وجعل الامام يخاطبه بدوب روحه قائلاً ؟

« بعداً لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك . . عزّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا ينفعك صوت والله هذا يوم كثراته ، وقل ناصره ، (١) .

وحمل الفتى بين ذراعيه وهو يفحص برجليه كالطير المدبوح (٢) وجاء به فالفاه بجوار ولده علي الأكبر وسائر القتلى من اهل البيت ، وأخذ يطيل النظر إلى تلك الكواكب المشرقة من أهل بيته ، فجعل يدعو على السلفكة المجرمين من أعدائه ، ويدعو البقية الباقية من أهل بيته بالخلود إلى الصبر قائلاً :

« اللهم احصهم عدداً ، ولا تغادر منهم أحداً ، ولا تغفر لهم أبداً صبراً يا بني عموتي ، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً . . . » (٣) .

لك الله يا أبا عبد الله على هذه الرزايا والكوارث التي تميد من هولها الجبال ، وتعصف بحلم أي انسان كان .

الحسن بن الامام الحسن :

وقال الحسن بن الامام الحسن قتال الأبطال حتى هوى إلى الأرض جريحاً ، ولما عمد انذال اهل الكوفة إلى حز رؤوس الشهداء وجدوا به

(١) الارشاد (ص ٢٦٨) البداية والنهاية ٨ / ١٨٦

(٢) البستان الجامع (ص ٢٥)

(٣) مقتل الخوارزمي ٢٨/٢ ، الدر النظيم في مناقب الأئمة (ص ٢٧١)

رمقاً فاستشفع به أسماء بن خارجة الفزاري وكان من اخواله فشفعوه فيه فحمله معه الى الكوفة وعالجه حتى برىء من جرحه ، ثم لحق في يثرب (١) .

عبد الله بن الحسن :

كان غلاماً له من العمر احدى عشرة سنة ، وقد رأى عمه قد احاطت به الأعداء فهرب الى عمته زينب لئلا ياتها ، وجاءه يركض الى عمه فاهوى البحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين فصاح به الطفل في براءة الأطفال :

« يا بن الخبيثة اقتل عمي ؟ ! ! »

وعمد ابن الخبيثة الى الطفل فعلاه بالسيف فتلقاه بيده فأطنا إلى الجلد فاذا هي معلقة فصاح الطفل مستغيثاً بعمه قائلاً : يا عمه ، ووقع في حجر عمه فاعتنقه وجعل يواسيه ، وبصبره على ما نزل به قائلاً :

« يا بن أخي اصبر على ما نزل بك ، واحسب في ذلك الخير فان الله يلحقك بآبائك الصالحين » .

وأخذ الامام يدعو على السفكة المجرمين :

« اللهم ان متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقاً واجعلهم طرائق قدا ولا ترض الولاية عنهم أبدا فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا » (٢) .
وبينا هو في حجر عمه إذ سدده له الباغي اللثيم حرمة بن كاهل

(١) حياة الامام الحسن

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٩

سهماً غادراً فدبحه (١) وحمله الامام فوضعه بين القتلى من أهل بيته ،
لقد تجرد اولئك المسوخون من كل نزعة انسانية فاستباحوا قتل الاطفال
الأبرياء الذي كان محرماً حتى في العرف الجاهلي .

ابناء عبد الله بن جعفر :

وتسابت الفتية من ابناء عبد الله بن جعفر الى الجهاد بين يدي
ريحانة رسول الله (ص) وهم :

١ - عون بن عبد الله

وامه العقيلة زينب بنت الامام امير المؤمنين ، وقد برز الى ساحة
الجهاد فجعل يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز :

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في المجنان أزهري
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً من معشر (٢)
وقد عرف نفسه بأنه ابن جعفر الشهيد الخالد في الاسلام الذي قطعت
يداه في سبيل الدعوة الاسلامية ، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما في
الفردوس الأعلى حسبما يقول الرسول الأعظم (ص) ويكفى عوناً شرفاً
ومجداً انه حفيد هذا الرجل العظيم .

وجعل يقاتل فحمل عليه عبد الله بن قطبة الطائي فقتله (٣) ، وقد
رثاه سليمان بن قنة بقوله :

(١) اللهوف (ص ٦٨)

(٢) الفتوح ٥ / ٢٠٤

(٣) الارشاد (ص ٢٦٨)

واندبني إن بكيت عوناً أخاه
فلمعري لقد أصبت ذوي القر
لبس فيما ينوبهم بخسول
بي فبكي على المصاب الطويل (١)

٢ - محمد بن عبد الله

وبرز إلى حومة الحرب محمد بن عبد الله بن جعفر ، واهم الخوصا
من بني بكر بن وائل (٢) وجعل يقائل وهو يرتجز :
نشكو إلى الله من العدوان قتال قوم في الردى عميان
قد هدلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان
واظهروا الكفر مع الطغيان (٣)

لقد شكنا إلى الله بهذا الرجز ما يعاينه أهل البيت (ع) من الظلم
والاعتداء من تلك العصاة الباغية التي عميت عن الحق وتردت في الضلال
وبدلت احكام القرآن ، واظهرت الكفر والطغيان .

وقاتل الفتى اعنف القتال فحمل عليه هامر بن نهشل التميمي (٤)
فضربه بالسيف فهوى جسمه الحضيب على رمضاء كربلاء ، ولم يلبث أن
لفظ انفاسه الأخيرة وقد رثاه سليمان بن قتة بقوله :

وسمي النبي خودر فيهم قد علوه بصارم مصقول
فاذا ما بكيت عيني فجودي بدموع تسيل كل مسيل (٥)

(١) مقاتل الطالبين (ص ٩١)

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٩٠)

(٣) الفتوح ٥ / ٢٠٤

(٤) الارشاد (ص ٢٦٨)

(٥) مقاتل الطالبين (ص ٩٢)

٣ - عبيد الله بن جعفر

وعبيد الله امه الخوصا بنت حفصه ، وقد برز إلى الجهاد
فقتل (١) .

اخوة الحسين :

وبعد ما استشهدت الصفوة الطيبة من أهل البيت (ع) ولم يبق مع
الامام الحسين (ع) سوى اخوته من أبيه هبوا للجهاد ، ووطنوا نفوسهم
على الموت ليفدوا ربحانة رسول الله (ص) بنفوسهم ومهجهم .

العباس مع اخوته :

ولما رأى بطل هاشم وفخر عدنان العباس بن الامام امير المؤمنين
كثرة القتل من أهل بيته التفت الى اخوته من أبيه وأمه فقال لهم :
« تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله وأرسوله فإنه لا ولد
لكم . . . » (٢) .

وكشفت هذه الكلمات عن مدى إيمانه العميق ، فهو يطلب من
أخوته أن يكونوا قرايين لله ، ويراهم في جهادهم قد نصحوا لله ورسوله
ولم يلحظ في جهادهم أي اعتبار آخر من النسب وغيره . . . والتفت
ابو الفضل الى أخيه عبد الله ، وكان أكبر اخوانه سنا فقال له :

(١) مقاتل الطالبين (ص ٩٢)

(٢) الارشاد (ص ٢٦٩)

« تقدم يا أخي حتى أراك قتيلا واحتسبك » (١)
 واستجابت الفتية الى نداء الحق ، فتقدموا الى الجهاد بعزم واخلاص

قول رخيص :

وان من أرخص الأقوال وأهزلها ما ذكره ابن الأثير ان العباس (ع)
 قال لآخوته : « تقدموا حتى أرتكم فإنه لا ولد لكم » (٢) لقد قالوا
 بذلك : ليقبلوا من أهمية هذا العملاق العظيم الذي هو في طبيعة رجال
 الاسلام بدلا وتضحية في سبيل الله ، وهل من الممكن أن يفكر العباس
 عليه السلام في الناحية المادية في تلك الساعة الرهيبة التي كان الموت المحتم
 منه كقاب قوسيع أو ادنى ، مضافا الى الحزن الشاق التي احاطت به ،
 فهو يرى الكواكب من ابناء اخوته وعمومته صرعى على الأرض ، ويسمع
 ضجيج حرائر النبوة وكرائم الوحي ، ويسمع صراخ الأطفال وهم يتادون
 العطش العطش ، ويرى اخاه قد احيط به وهو يستغيث فلا يغاث ،
 فقد استوعبت هذه الرزايا التي تذهل الالباب جميع مشاعره وعواطفه
 ولم يكن يفكر الا بسرعة الرحيل عن هذه الدنيا ، ومضافاً لذلك كله فان
 أم البنين ام العباس كانت حية فهي التي تحوز ميراث ابنائها لأنها من
 الطبقة الأولى ، ولعل الوارد حتى أن أرتكم أي اطلب بشاركم فحرف ذلك .

مصراع عبد الله بن امير المؤمنين :

وبرز عبد الله بن امير المؤمنين وأمه ام البنين الى ساحة الجهاد
 والتحم مع الأعداء وهو يرتجز :

(١) مقاتل الطالبين (ص ٨٢) (٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٤

شيخني علي ذو الفخار الأطول من هاشم الخبير الكريم المفضل
هدا حسين بن النبي المرسل عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مبيجل يارب فامنحني ثواب المنزل (١)
لقد اعتر بهذا الرجز بأبيه الامام امير المؤمنين باب مدينة علم
النبي (ص) ووصيه كما اعتر بأخيه الامام الحسين ربحانة رسول الله (ص)
وانه انما ينافح عنه لا بدافع الأخوة والرحم ، وانما يبغى بذلك وجه الله
والدار الآخرة .
ولم يزل الفتى يقاتل اعنف القتال حتى شد عليه الباغى الأثيم هاني
ابن ثبيت الحضرمي فقتله (٢) .

مصرع جعفر :

وبرز جعفر بن أمير المؤمنين (ع) وامه أم البنين وكان له من العمر
تسع عشرة سنة ، فجعل يقاتل قتال الأبطال فشد عليه هانيء بن ثبيت
فقتله (٣) ،

مصرع عثمان :

وبرز عثمان بن أمير المؤمنين وامه ام البنين وهو ابن احدي وهشرين

(١) الفتوح ٥ / ٢٠٥

(٢) الأرشاد (ص ٢٦٩) وفي الفتوح ٥ / ٢٠٥ ان الذي قتله

زحر بن بدر النخعي .

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٨٣)

سنة فرماه خولى بسهم فاضعهه ، وشده عليه رجل من بني دارم فقتله
وأخذ رأسه (١) ليقرب به إلى صيده ابن مرجانة .

مصرع العباس :

وايس في تأريخ الانسانية قديماً ولا حديثاً أخوة اصدق ولا أنبل
ولا أوفى من أخوة أبي الفضل لأخيه الامام الحسين فقد حفلت بجميع
القيم الانسانية والمثل الكريمة .

وكان البارز من مثل تلك الأخوة النادرة الأيثار والمواساة والفداء
فقد آثر ابو الفضل أخاه وفداه بروحه ، وواساه في أقسى المحن والخطوب
وقد أشاد الامام زين العابدين (ع) بهذه المواساة النادرة من عمه
يقول (ع) :

« رحم الله عمي العباس فلقد آثر وابلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت
يداه ، فأبداه الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما
جعل لجعفر بن أبي طالب . . وان للعباس عند الله تعالى منزلة يغطه بها
جميع الشهداء يوم القيامة » (٢) .

وقد أثار هذه الأخوة الصادقة الاكبار والاعجاب عند جميع
الناس ، وصارت مضرب المثل في جميع الأحقاب والآباد ، وقد اعز بها
حفيدة الفضل بن محمد (٣) يقول :

(١) مقاتل الطالبين (ص ٨٣)

(٢) البحار ٩ / ١٤٧

(٣) الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس

جاء ذلك في عيون الأخبار وفنون الآثار (ص ١٠١) .

أحق الناس أن يبكى عليه
أخوه وابن والده علي
ومن واساه لا يشنيه شيء
ويقول الكهيت :

وابو الفضل إن ذكرهم الحلو
شفاء النفوس من اسقام
قتل الادعياء إذ قتلوه
اكرم الشاربين صوب الغمام (٢)
لقد كان ابو الفضل يملك طاقات هائلة من التقوى والدين ، وكانت
اساير النور بادية على وجهه الكريم حتى لُقب بقمر بني هاشم ، كما
كان من الأبطال البارزين في الاسلام ، وكان اذا ركب الفرس المطهم (٣)
تخطان رجلاه في الأرض (٤) وقد ورث صفات أبيه من الشجاعة والنضال .
واسند اليه الامام (ع) يوم الطف قيادة جيشه ودفع إليه رايته
فرفعها عالية خفاقة ، وقد قاتل اعنف القتال واشده ، ولما رأى وحدة
أخيه وقتل أصحابه وأهل بيته الذين باعوا نفوسهم لله البرى إليه يطلب
منه الرخصة ليلاقي معيره المشرق ، فلم يسمح له الامام وقال له بصوت
خافت حزين النبرات .

« أنت صاحب لوائى »

لقد كان الامام يشعر بالقوة والمنعة مادام أبو الفضل حيا ، فهو
كجيش إلى جانبه يحميه ويذب عنه ، والحق عليه ابو الفضل قائلا :
« لقد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين ، واريد أن آخذ نأري
منهم » .

(١) (٢) مقاتل الطالبين (ص ٨٤)

(٣) المطهم : الفرس المسمين الفاحش السمن

(٤) مقاتل الطالبين (ص ٨٤)

لقد ضاق صدره وسئم من الحياة حينما رأى الكواكب المشرقة
من اخوته وابناء اخوته وعمومته صرعى مجزرين على رمال كربلا فتحرق
شوقاً للالتحاق بهم والأخذ بثأرهم ، وطلب منه الامام أن يسعى لتحصيل
الماء الى الاطفال الذين صرعه العطش فاندفع الشهم النبيل نحو اولئك
المسوخين فجعل يعظهم ويحذرهم غضب الله ونقمته ، وخاطب ابن
سعد قائلاً :

« يا ابن سعد هذا الحسين بن بنت رسول الله (ص) قد قتلتم أصحابه
وأهل بيته ، وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى فاسقوهم من الماء ، قد احرق
الظلمة قلوبهم ، وهو مع ذلك يقول : دعوني اذهب الى الروم أو الهند
وأخلي لكم الحجاز والعراق . »

وزلزات الأرض تحت اقدامهم وودوا أن تخيس بهم ، وبكى بعضهم
وساد عليهم صمت رهيب فانبرى اليه الرجس الخبيث شمر بن ذي الجوشن
فرد عليه قائلاً :

« يا ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماءً وهو تحت أيدينا
لما سقيناكم منه قطرة الا أن تدخلوا في بيعة يزيد . »

وقفل أبو الفضل راجعاً إلى أخيه فاخبره بعنو القوم وطغيانهم ،
وسمع الأبى الشهم صراخ الأطفال وهم يستغيثون وينادون :

العطش العطش

الماء الماء

فرآهم ابو الفضل العباس - ويالهول ما رأى - قد ذبلت شفاههم
وتغيرت ألوانهم وأشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ ، فالتاع كأشد ما يكون
الالتباع ، وسرى الألم العاصف في عياه ، واندفع ببسالة لاهانتهم فركب

جواده وأخذ معه القربة ، فاقنحم الفرات وقد استطاع بقوة بأسه أن يفك الحصار الذي فرض على الماء وقد انهزم الجيش من بين يديه فقد ذكرهم بطولات أبيه فاتح خيبر ومحطم فلوك الشرك ، وقد انتهى الى الماء وكان قلبه الشريف قد تفتت من العطش ، واحترف من الماء غرفة ليشرب منه الا انه تذكر عطش أخيه ومن معه من النساء والأطفال فرمى الماء من يده وامتنع أن يروي غليله وهو يقول :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

هكذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

تا الله ما هذا فعال ديني (١)

ان الانسانية بكل اجلال واكبار لتحي هذه الروح العظيمة التي تألفت في دنيا الفضيلة والاسلام ، وهي تلقي على الأجيال أروع الدروس عن الكرامة الانسانية والمثل العليا .

لقد كان هذا الايثار الذي تجاوز حدود الزمان والمكان من ابرز الدائيات في خلق أبي الفضل ، فلم تمكنه عواطفه المترعة بالولاء والحنان لأخيه أن يشرب من الماء قبله ، فأى ايثار أنبل أو اصدق من هذا الايثار لقد امتزجت نفسه بنفس أخيه ، وتفاعلت روحه مع روحه ، فلم يعد هناك أي تعدد في الوجود بينها واتجه فخر هاشم مزهواً نحو المخيم بعدما ملأ القربة وهي عنده اغلى واثمن من الحياة ، والتحم مع الأعداء التحاماً رهيباً فقد أحاطوا به ليمنعوه من ايصال الماء الى عطاشى أهل البيت ، وأشاع فيهم البطل القتل فأخذ يحصد الرؤوس ويجندل الأبطال وهو يرتجز :

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٢٦)

لا أرهب الموت اذا الموت زقا حتى اوارى في المصاليت لقي
نفسي لسبب المصطفى الطهروقا لاني انا العباس اغدو بالسقا
ولا اخاف الشر يوم الملتقى (١)

لقد اعلن لهم عن شجاعته النادرة وبطولانه العظيمة ، فهو لا يرهب
الموت ، وانما يستقبله بثغر باسم دفاعاً عن الحق ، ودفاعاً عن أخيه رائد
العدالة الاجتماعية في الأرض . . . وانه لفخور اذ يتعدو بالسقاء مملوئاً
من الماء ليروي به عطاشى أهل البيت .

وانهزمت جيوش الباطل بطاردها اذرع والفرع ، فقد أبدى
أبو الفضل من البطولات ما يفوق حد الوصف وقد أيقنوا أنهم عاجزون
عن مقاومته ، الا ان الوضر الجبان زيد بن الرقاد الجهني قد كمن له من
وراء نخلة ، ولم يستقبله بوجهه ، فضربه على يمينه فبراها . . لقد قطع
تلك السيد التي كانت تفيض سماحا وبراً على الناس ودفاعاً عن حقوق
المظلومين والمضطهدين .

ولم يعن ابو الفضل بيمينه ، وانما راح يرتجز :

والله ان قطعتم يميني اني أحامي أبداً عن ديني

وعن امام صادق يقيني نجل النبي الطاهر الأمين (٢)

ودلل بهذا الرجز على الأهداف العظيمة التي يناضل من اجلها ،
فهو انما يناضل دفاعاً عن الدين ، ودفاعاً عن امام المسلمين .
ولم يبعد العباس قليلا حتى كمن له من وراء نخلة رجس من ارجاس
البشرية وهو الحكيم بن الطفيل الطائي فضربه على يساره فبراها ، وتنص

(١) مناقب ابن شهر اشوب ٤ / ١٠٨

(٢) المناقب ٤ / ١٠٨

بعض المقاتل انه حمل القربة باسنانه وجعل يركض ليوصل الماء إلى عطاشي أهل البيت ، غير حافل بما كان يعاينه من نزف الدماء وألم الجروح وشدة الظمأ . . لقد كان ذلك منتهى ما وصلت إليه الانسانية في جميع ادوارها من الوفاء والرحمة والحنان .

وبينما هو يركض وهو بتلك الحالة اذاصاب القربة سهم غادر فاريق ماؤها ، ووقف البطل الشهم حزينا ، فقد كان اراقة الماء عنده أشد عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح ، وشد عليه رجس فعلاه بعمود من حديد على رأسه الشريف ففلق هامته ، وهوى الى الأرض وهو يؤدي نحيته ووداعه الأخير إلى أخيه قائلاً :

« عليك مني السلام أبا عبد الله » (١)

وحمل الأئمة كلماته إلى أخيه فخرقت قلبه ومزقت احشائه ، وانطلق وهو خائر القوى منهد الركن فاقتحم بجواده جيوش الأعداء ، ووقف على الجثمان المقدس وهو يعالي آلام الاحتضار والقي بنفسه عليه فجعل يشمه ويضمخه بدموع عينيه وهو يلفظ شظايا قلبه الذي مزقته الكوارث قائلاً :

« الآن انكسر ظهري ، وقلت حيلتي »

وجعل الامام يطيل النظر إلى جثمان أخيه وهو يذكر اخوته الصادقة ووفاءه النادر وشهامته الفذة . . وتبددت جميع آماله ، وكان مما يهون عليه احوال هذه الكارثة سرعة اللحاق به ، وعدم بقائه بعده اللحظات ، ولكنها كانت عنده كالسنين فقد ودَّ أن المنية قد وافته قبله .

وقام الناكث الحزين وقد انهارت قواه ، وهو لا يتمكن ان يقل قدميه ، وقد بان عليه الانكسار والحزن ، واتجه صوب المخيم وهو يكلمكف دموعه ، فاستقبلته سكينه قائلة :

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٢٦)

« أين عمي ؟ »

فأخبرها بشهادته وهو غارق بالبكاء والشجون ، وذعرت حفيذة الرسول (ص) زينب واستولى عليها الفزع حينما سمعت بمقتل أخيها ، ووضعت يدها على قلبها المذاب وهي تصيح :

« وا أخاه ، واعباساه ، واضيعتنا بعدك »

وشارك الامام شقيقته في النياحة على أخيه البار ، واندفع رافعاً هقيرته وهو الصبور :

« واضيعتنا بعدك يا أبا الفضل » (١)

لقد شعر بالوحدة والضيعة بعد فقدته لأخيه الذي لم يترك لونا من الوان البر والمواساة الا قدمها لأخيه .

فسلام على سيرتك وذكراك يا أبا الفضل ، فلقد مضيت الى مصبرك العظيم وأنت من أعظم الشهداء اشراقا وتضحية .

وداعا يا قمر بني هاشم

وداعاً يا بطل كربلا

وسلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا

محمد الأصغر :

ومن استشهد من أخوة الحسين لأبيه محمد الأصغر وأمه ام ولد (٢) وقد قاتل قتالا عنيفاً فشد عليه رجل من تميم فقتله (٣) .

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٢٢٨)

(٢) مقاتل الطالبين (ص ٨٥) وفي تاريخ خليفة خباط ٢٢٥ / ١

ان امه لبانة بنت عبيد الله بن العباس .

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٨٦)

ابو بكر :

وهو أخو الامام لأبيه ، وأمه ليلى بنت مسعود لم يعرف اسمه (١)
ويقول الخوارزمي ان اسمه عبد الله (٢) وقد برز للحرب فقتله رجل من
همدان ، وقبل لا يدري من قتله (٣) ويذهب الطبري الى انه مشكوك في قتله .

العباس الأصغر :

وهو اخو الامام لأبيه واهله لبابة بنت عبيد الله بن العباس استشهد
يوم الطف (٤) ويقول القاسم بن اصمغ المجاشعي لما أتى بالرقوس إلى
الكوفة رأيت فارسا علق في ساق فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة
البدر فاذا طأطأ الفرس رأسه لحق رأس الغلام بالأرض فسألت عن الفارس
فقال هو حرملة بن كاهل وسألت عن الرأس فقول هو رأس العباس بن
علي (٥) وهذا مما يؤكد وجود العباس الأصغر لأن العباس الأكبر كان
عمره يوم قتل النين وثلاثين سنة وليس غلاما امرداً .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن شهداء أهل البيت (ع) وقد انتهكت
بقتلهم حرمة الرسول (ص) فلم برع الجيش الأموي قرابتهم من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء .

(١) مقاتل الطالبين (ص ٨٦)

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٨٦)

(٤) تاريخ خليفة خياط ٢٢٥ / ١

(٥) مرآة الزمان في تواريخ الزمان (ص ٩٥) الحدائق الوردية

١٣٢ / ١ ، الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٢) .

مَصْرَعُ الْإِمَامِ الْعَظِيمِ

وتتابعت الرزايا والخطوب يتتبع بعضها بعضاً على ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو لم يكسب ينتهي من كارثة قاصمة حتى تتواكب عليه أشد الكوارث هولا واعظماً محنة .

لقد عانى الامام في تلك اللحظات الرهيبة من المحن الشاقة ما لم يماله أي مصلح كان ، ومن بينها :

أولاً - انه كان ينظر الى مخدرات الرسالة وعقائل الرحي وهن بحالة من الدهر لا يعلمها الا الله ففي كل لحظة يستقبلن عزيزاً من نجوم العترة الطاهرة مضمخاً بدمائه الزكية لا يلبث أن يلفظ نفسه الأخير أمامهن ومما زاد في وجلهن ان الجفافة من الأعداء الذين محبت الرحمة من نفوسهم قد أحاطوا بهن ، ولا يعلمن ماذا سيجري عليهن من المحن بعد فقد الأهل والحماة ، وكان الامام ينظر إلى ما ألم بهن من الخوف فيلدوب قلبه أسى وحسرات فكان يأمرهن بالتجلد والخلود الى الصبر ، وأن لا يبدين من الجزع ما ينقص قدرهن ، واعلمهن أن الله يحفظهن وينجين من شر الأعداء .

ثانياً - ان الأطفال قد تعالى صراخهم من ألم الظماً القاتل ، وهو لا يجد مجالاً لاغائتهم ، وقد ذاب قلبه الكبير حناناً ورحمة على أطفاله وعباله الذين يعانون مالا طاقة لهم به :

ثالثاً تعدي السفكة المجرمين بعد قتل أصحابه وأهل بيته الى قتل الأطفال الابرياء من أبناء اخوته وعمومته .

رابعاً - مقاساته العطش الأليم ، فقد ورد عن شدة ظمأه أنه كان لا يبصر السماء إلا كالدهان وان كبده الشريف قد نفتت من شدة العطش ، يقول الشيخ التستري : « ان عطش الحسين قد أثر في أربعة أعضاء فالشفة ذاهلة من حر الظماً ، والكبد مفتت لعدم الماء - كما قال (ع) - وقد

أخبر بذلك حينما يشس من الحياة ، وقد علموا أنه لا يعيش بعد ذلك فقال لهم : اسقوني قطرة من الماء فقد تفتت كبدي ، واللسان مجروح من شدة اللوك - كما في الحديث - والعين مظلمة من العطش ، (١) خامساً - فقدته للأحبة ، من أهل بيته وأصحابه ، فكان ينظر إلى خيمهم فيراها خالية فجعل يصعد آهاته واحزانه ، ويندهم بأقسي ندبة . ان النفس لتدوب حسرات من هذه الخطوب التي ألمت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول صفى الدين : « وقد لاقى الحسين من المحن والبلايا مالا يستطيع مسلم أن يسمعه إلا ويلوب فؤاده » (٢) .

استغاثة الامام :

والقى الامام الممتحن نظرة مشفوهة بالأسى والخسرات على أهل بيته وأصحابه فرآهم مجزرين كالأضاحي على رمال كربلا تصهرهم الشمس ، وسمع عياله وقد ارتفعت اصواتهن بالبكاء فأخذ يستغيث ويطلب الناصر والمعين ليحمي عن حرم رسول الله (ص) قائلاً :

« هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله (ص) ؟ هل من موحد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في اهانتنا ؟ » (٣) .

ولم تنفل هذه الاستغاثة إلى تلك القلوب التي ران عليها الباطل وغرقت في الآثام . . . ولما سمع زين العابدين استغاثة أبيه وثب من فراشه ،

(١) خصائص الحسين (ص ٦٠)

(٢) وسيلة المآل في مناقب الآل

(٣) درر الافكار في وصف الصفوة الأخبار (ص ٣٨) لأبي الفتح

ابن صدقة .

وجعل يتوكأ على عصا لشدة مرضه ، فبصر به الحسين فصاح بأخته
السيدة أم كلثوم ! احبسيه لثلاث نخلو الارض من نسل آل محمد ، وبادرت
اليه فارجمته إلى فراشه (١) .

مصرع الرضيع :

أي صبر كان صبر أبي عبد الله ؟ ! كيف امتطاع أن يتحمل هذه
الكوارث . . انه صبر تعجز عنه الكائنات ، وتميد من هوله الجبال ،
وكان من افجع وأقسى ما نكب به رزيقته بولده عبد الله الرضيع فقد كان
كالبدن في جهائه ، فأخذه وجعل يوسعه تقبيلاً ويودعه الوداع الأخير ، وقد
رآه مغمى عليه ، وقد هارت عيناه وذبلت شفثاه من شدة الظمأ فحملة إلى
القوم ليستدر عواطفهم لعلهم يسقوه جرعة من الماء ، وعرضه عليهم وهو
يظلل له بردائه من حرارة الشمس ، وطلب منهم أن يسعفوه بقليل من
الماء ، فلم ترق قلوب اولئك المسوخين ، وانبرى الباغي اللثيم حرملة
ابن كاهل فسدد له سهماً ، وجعل يضحك ضحكة الدناة وهو يقول ملتخراً
أمام اللثام من أصحابه ؛
« نخذ هذا فاسقه »

واخترق السهم - يالله - رقبة الطفل ، ولما أحس بجمرة السهم
أخرج يديه من القماط ، وجعل يرفرف على صدر أبيه كالطير المذبوح ،
وانحنى الطفل رافعاً رأسه الى السماء فمات على ذراع أبيه . . . إنه منظر
تصدع من هوله القلوب ، وتلجم الالسن . . ورفع الامام يديه وكاننا
مملوثين من ذلك الدم الطاهر فرمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ٢٢٢

واحدة الى الارض - حسبما يقول الامام الباقر عليه السلام - ، وأخذ
يناجي ربه قائلاً :

« هوناً ما نزل بي أنه يعين الله تعالى . اللهم لا يكون أهون عليك
من فصيل ، الهي إن كنت حبست عنا النصر فأجعله لنا هو خير منه ،
وانتقم لنا من الظالمين ، واجعل ما حل بنا في العاجل ذهبية في الآجل ،
اللهم ! انت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد (ص) .
ونزل الامام عن جواده وحفر لطفله بجفن سيفه حفرة ودفنه مرملًا
بدمائه الزكية ، وقيل انه القاه مع القتلى من أهل بيته (١) لك الله
يا أبا عبد الله على هذه الكوارث التي لم يمتحن ببعضها أي نبي من أنبياء
الله ، ولم تجر على أي مصلح في الارض .

صمود الامام :

ووقفت الامام وحيداً في الميدان أمام أعدائه ، وقد زاده الفجائع
المدهلة ايماناً وبقينا في بشر وطلاقة وثقة بما يصبر إليه من منازل الفردوس
الأعلى .

لقد وقف ثابت الجنان لم يوهن عزيمته مصارع اولاده وأهل بيته
وأصحابه ولا ما كان يعانیه من ألم العطش وتزيف الدماء ، انه صمود
الأنبياء وأولي العزم الذين ميزهم الله على بقية عبادته ، وقد روى ولده
علي بن الحسين زين العابدين (ع) الصور المدهلة عن صبر أبيه و صموده
قال : كان كلما يشتد الأمر يشرق لونه ، وتطمئن جوارحه ، فقال بعضهم :

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٣٣)

انظروا كيف لايبالي بالموت (١) ويقول عبد الله بن عمار : رأيت الحسين حين اجتمعوا عليه يحمل على من على يمينه حتى اندحروا عنه (٢) فو الله ما رأيت مكثوراً قد قُتِل أولاده وأصحابه اربط جأشاً منه ، ولا أمضى جنازاً منه ، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله (٣) وكان يتمثل بقول ابن الخطاب الفهري :

مهلاً بني عمنا ظلامتنا إن بنا سورة من القلق
لمثلكم تحمل السيوف ولا تغمز احسابنا من الرفق
إني لأنمي اذا انتميت إلى عز عزيز ومعشر صدق
بيض سباط كأن أعينهم تكحل يوم الهياج بالعلق (٤)
وحمل على اعداء الله فجعل يقاتلهم أشد قتال رآه الناس ، وقد
حمل على الميمنة وهو يرتجز :
الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار
وحمل على الميسرة وهو يرتجز :

(١) خصائص الحسين للتستري (ص ٣٩)

(٢) اندحروا : أي ولوا منهزمين فزعين

(٣) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٨٨

(٤) ربحانة الرسول (ص ٦٤) وجاء فيه (أن من الغريب أن كل

من تمثل بهذه الأبيات قتل ، فقد تمثل بها الحسين يوم الطف وزيد بن علي يوم السبخة ، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان ، ولما تمثل بها ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن في خروجه على المنصور تطير له أصحابه ، ولم يلبث أن أتاه سهم غادر فقتله .

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبي (١)
أجل أنت الحسين وأنت ملء فم الدنيا شرفاً ومجداً ، وأنت الوحيد
في هذه الدنيا لم تنثن عن عزيمتك وأرادتك ، فلم تضرع ولم تهن ومضيت
في طريق الكفاح تدك حصون الظالمين والماردين .
لقد مضيت على دين جدك الرسول (ص) فأنت الباعث المجسد
لهذا الدين ولولاك لكان شعباً مبهماً لا ظل له على واقع الحياة . . .
وروى ابن حجر ان الامام كان يقاتل وينشد هذه الأبيات :
أنا ابن علي الحمر من آل هاشم كلاني بهذا مفخراً جين أفخر
وجدي رسول الله اكرم من مشى ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أمة سلالة أحمد وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقا وفينا الهدى والوحي والخير يذكر (٢)

موقف المكرهين :

وانبرى بعض الأوغاد من المكرهين في جيش ابن سعد فأخذوا
بالدعاء للامام بالنصر والتغلب على أعدائه يقول سعد بن صبيدة : إن اشياخنا
من أهل الكوفة كانوا واقفين على نل وهم يبكون ويقولون اللهم أنزل

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ٢٢٣

(٢) الصواعق المحرقة (ص ١١٧ - ١١٨) جوهرة الكلام في

مدح السادة الأعلام (ص ١١٩) .

عليه - أي على الحسين - نصرك ، فأنتكر عليهم سعد وقال : يا أعداء الله
الا تنزلون فتنصرونه (١) :

فزع ابن سعد :

وذعر ابن سعد من كثرة الخسائر التي مُني بها جيشه ، فراح الخبيث
الدينس يثير النعرات ويؤلب الجيش على حرب ربحانة رسول الله (ص)
قائلاً :

و هذا ابن الانزع البطين ، هذا ابن قتال العرب احملوا عليه من
كل جانب .

لقد أثار ابن سعد الاحقاد الجاهلية على الامام فذكرهم بقتل
امير المؤمنين للعرب ، وعليهم أن يثأروا لدمائهم وهو منطلق من لا علاقة
له بالاسلام فان الامام امير المؤمنين لم يقتل العرب وانما قتل القوى الباغية
على الاسلام والمنحرفة عن الدين .

ووجه ابن سعد الرماة نحو الامام فكان - فيما يقول المؤرخون -
قد سددت نحوه أربعة آلاف نبلة فصار جسده الشريف هدفاً لنبال اولئك
البغاة (٢) والتحم معهم التحاماً رهيباً ، وقد أيدى من البسالة ما لم يشاهد
له نظير في جميع فترات التاريخ .

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ٢٢٣

استيلاء الامام على الماء :

والح العطش علي الامام ، وأضر به إلى حد بعيد ، فحمل على الفرات ، وكان الموكلون بحراسته فيما يقول بعض المؤرخين أربعة آلاف فانهزموا من بين يديه ، واستولى على الماء فغرف منه غرفة لبروي ظمأه القاتل فناداه خبيث من القوم :

« اتلذذ بالماء ؟ ! ! وقد هتكت حرملك ،

ورمى أبي الضميم الماء من يده ، وآثر كرامة عائلته على عطشه واسرع الى الخيمة فاذا بها سالمة فعلم أنها مكيدة (١) يقول ابن حجر : ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول (٢) .

الهجوم على خيم الحسين :

وتوسط أبي الضميم معسكر الأعداء وجعل يقاتلهم أشد القتال واعنفه وقد هجموا على خيمه ليسلبوا الحريم والأطفال فصاح بهم :

« يا شيعة آل أبي سفيان ، ان لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى احسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون . . . » (٣) .

(١) بحار الأنوار ١٠ / ٢٠٤

(٢) الصواعق المحرقة (ص ١١٨)

(٣) اللهوف (ص ٤٧) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٤ درر الاپكار في

وصف الصفوة الأختيار (ص ٣٨) .

لقد جردهم الامام بهذه الكلمات من الاطار الاسلامي ، و اضافهم
الى آل أبي سفيان العدو الأول للإسلام وتزعم من بعده أبناؤه القوى
الباغية عليه ، وما كارثة كربلا الا امتداد لاحقادهم واضغانهم على نبي
الاسلام . . . وقد دعاهم (ع) الى الاحتفاظ بالتقاليد العربية التي كانت
سائدة في أيام الجاهلية من عدم التعرض للنساء والأطفال بأي أذى أو مكروه .
وانبرى الوغد الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال للامام :

« ما تقول يا بن فاطمة ؟ »

وحسب الرجس أنه قد انتقص الامام بنسبته الى أمه سيدة النساء ،
ولم يعلم أنه نسبه إلى معدن الطهر والنبوة ، وحسب الحسين فخراً ومجداً
أن تكون أمه سيدة نساء العالمين حسبما يقول الرسول (ص) (١) .

فقال له الامام

« أنا الذي أقاتلكم ، والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم من
التعرض لحرمي مادمت حياً » .
فأجابه الشمر الى ذلك ، وأحاط به القتلة المجرمون وهم يوسعونه
ضرباً بالسيف وطعنا بالرماح ، فجعلت جراحاته تنفجر دماً .

(١) الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة (ص ٨٣) للحافظ
السيوطي من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين ، وجاء فيه روى عمران
ابن حصين أن النبي (ص) عاد فاطمة وهي مريضة فقال لها : كيف
انت ؟ قالت : اني وجمة واني ليزيدني ألماً مالي طعام أكله ، قال يا بنية
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين ، قالت : فابن مريم ؟ قال :
لك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك .

خطابه الأخير :

وجه الامام (ع) وهو بتلك الحالة خطاباً لأعدائه حذرهم فيه من
هرور الدنيا وفتنتها ، ويقول المؤرخون انه لم يلبث بعده الا قليلا
حتى استشهد ، وهذا نصه :

« عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا
لو بقيت لأحد ، وبقي عليها أحد لسكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى
بالرضا ، وارضى بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء ، وخلق
أهلها للفتاء فجدبدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهرة ، والمنزل
بلغة ، والدار قلعة فتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلمكم
تفلحون ، (١) .

الامام يطلب ثوبا خلقا :

وطلب الامام من أهل بيته ان يأثوه بثوب خلق لا يرغب فيه احد
ليجعله تحت ثيابه لئلا يسلب منه ، فأثوه بتيان (٢) فلم يرغب فيه وقال
ذلك لباس من ضررت عليه الذلة ، وأخذ ثوبا فخرقه ، وجعله تحت
ثيابه فلما قتل جردوه منه (٣) .

(١) زهر الآداب ١ / ١٦٢ ، كفاية الطالب .

(٢) التبان : سراويل صغيرة

(٣) معجم الطبراني الكبير ١ / ١٤٠

وداعه لعياله :

وقفل الامام راجعاً الى عياله ليودعهم الوداع الأخير ، وجراحاته تنفجر دماً وقد أوصى حرم الرسالة وعقائل الوحي بلبس الأزرق والاستعداد للبلاء ، وأمرهن بالخلود الى الصبر والتسليم لقضاء الله قائلاً :

« استعدوا للبلاء ، واعلموا ان الله تعالى حاميك وحافظكم ، وسينجيكم من شر الأعداء ، ويجعل عاقبة امركم الى خير ، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم ، (١) .

تزلزل الدول ، وتذهب الممالك ، وتنفى الحضارات ، وهذا الايمان الذي لا حد له أحق بالبقاء واجدر بالخلود من كل كائن في هذه الحياة أي نفس تطيق مثل هذه الكوارث ، وتستقبلها برهافة جأش ورضا وتسليم لأمر الله ، انه ليس هناك غير الحزين أمل الرسول الأهم (ص) وريحانته والصورة الكاملة التي تحكيه .

وذابت أمى ارواح بنات الرسول (ص) حينما رأى الامام بتلك الحالة يتعلقن به يودعنه ، وقد وجلت منهن القلوب ، واختطف الرعب الوانهن ، والتاع الامام حينما نظر إليهن وقد سرت الرعدة بأوصالهن يقول الامام كاشف الغطاء :

« من ذا الذي يقتدر أن يصور لك الحسين (ع) وقد تلاطمت امواج البلاء حوله ، وصبت عليه المصائب من كل جانب ، وفي تلك الحال عزم على توديع العيال ومن بقي من الأطفال فاقترب من السرادق المضروب على حرائر النبوة وبنات علي والزهراء (ع) فخرجت المخدرات

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٣٧)

كسرب القطا المدعورة فاحطن به وهو سايح بدمائه ، فهل تستطيع أن
تنصور حالهن وحال الحسين في ذلك الموقف الرهيب ولا يتفطر قلبك ،
ولا يطيش لبك ، ولا تجري دمعتك ، (١) .

لقد كانت محنة الامام في توديعه لعياله من أقسى وأشق ما عاناه من
الحن والخطوب ، فقد لظمن بذات رسول الله (ص) وجوههن ، وارتفعت
اصواتهن باليكاء والعيول ، وهن يندبن جدهن الرسول (ص) والقين
بأنفسهن عليه لوداعه ، وقد أثر ذلك المنظر المرعب في نفس الامام بما لا يعلم
بمداه الا الله .

ونادى الرجز الخبيث عمر بن سعد بقواته المسلحة يجرضها على الهجوم
على الامام قائلا :

« اهجموا عليه مادام مشغولا بنفسه وحرمه ، فوالله ان فرغ لكم
لا تمتاز ميمتكم عن ميسرتكم » .

وحمل عليه الأحيات فجعلوا يرمونه بالسهم ، وتخالفت السهام بين
اطناب المخيم ، وأصاب بعضها ازر بعض النساء فذعرن ودخلن الخيمة
وخرج بقية الله في الأرض كالليث الغضبان على اولئك المسوخين فجعل
يحصد رؤوسهم الخبيثة بسيفه ، وكانت السهام تأخذة يميناً وشمالاً ، وهو
يتقيها بصدرة ونحره ، ومن بين تلك السهام التي فتكت به .

١ - سهم اصاب فمه الطاهر ، فتفجر دمه الشريف فوضع يده
تحت الجرح فلما امتلأت دماً رفعه إلى السماء وجعل يخاطب الله تعالى قائلاً :
« اللهم ان هذا فيك قليل ، (٢)

(١) جنة المأوى (ص ١١٥)

(٢) الدر النظيم (ص ١٦٨)

٢ - سهم أصاب جبهته الشريفة المشرقة بنور النبوة والامامة رماه به ابو الحتوف الجعفي فانتزعه ، وقد تفجر دمه الشريف ، فرفع يديه بالدعاء على السفكة المجرمين قائلا :

« اللهم انك ترى ما أنا فيه من عبادك العصاة ، اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ، ولا تغفر لهم أبداً ، وصاح بالجيش :

« يا أمة السوء بثسما خلفتم محمداً في عترته ، أما انكم لا تقتلون رجلا همدي فتهابون قتله بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم اياي ، وأيم الله اني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون . . . (١) .

لقد كان جزاء الرسول (ص) الذي القدهم من حياة البؤس والشقاء أن عدوا على ذريته فسلكوا دماءهم ، واقتروا منهم ما تقشع منه الجلود وتندى له الوجوه . . . وقد استجاب الله دعاء الامام فانتقم له من اعدائه المجرمين ، فلم يابثوا قليلا حتى اجتاحتهم الفتن والعواصف ، فقصد هب الثائر العظيم المختار طالبا بدم الامام فأخذ يطاردهم ويلاحقهم ، وقد هربوا في البيداء وشرطة المختار تطاردهم حتى أباد الكثيرين منهم ، يقول الزهري لم يبق من قتلة الحسين أحد الا عوقب اما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه ، او زوال الملك في مدة يسيرة (٢) .

٣ - وهو من أعظم السهام التي فتكت بالامام . يقول المؤرخون : ان الامام وقف ليستريح بعدما اعياه زيف الدماء ، فرماه ولحد بججر أصاب جبهته الشريفة فسالت الدماء على وجهه فأخذ الثوب ليمسح الدم

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٣٩)

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ١٠٣ - ١٠٤

عن عيينه ، فرماه رجس بسهم محدد له ثلاث شعب فوقه على قلبه الشريف الذي يحمل العطف والحنان لجميع الناس ، فعند ذلك أيقن بدنو الأجل المحتوم منه فشخص ببصره نحو السماء وهو يقول :

« بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله (ص) . . الهي انك تعلم انهم يقتلون رجلا ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي طهري » .
وأخرج السهم من قفاه فالتبث الدم كالميزاب فأخذ يتلقاه بيديه فلما امتلأنا رمى به نحو السماء وهو يقول :

« هون ما نزل بي أنه بعين الله »
وأخذ الامام من دمه الشريف فلطخ به وجهه ولحيته ، وهو يتلك الهيبة التي تحكى هيبة الأنبياء واندفع يقول :
« هكذا اكون حتى التقي الله وجددي رسول الله (ص) وأنا مخصب بلدي . . » (١) .

٤ - رماه الحصين بن نمير بسهم أصاب فمه الشريف فتفجر دما فجعل يتلقى الدم بيده ويرمي به نحو السماء وهو يدعو على الجنة المجرمين قائلا :

« اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تذر على الأرض منهم أحدا » (٢) .

وتكاثرت عليه السهام حتى صار جسده الشريف قطعة منها . . وقد اجهدته نزيق الدماء واعياه العطش ، فجلس على الأرض ، وهو يتنؤ برقبته من شدة الآلام فحمل عليه وهو بتلك الحالة الرجس الخبيث مالك

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

ابن الذر فشمته وعلاه بالسيف ، وكان عليه برنس (١) فامتلاً دماً ،
فرمقه الامام بطرفه ، ودعا عليه قائلاً :
« لا اكلت يمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين »
والقى البرنس واعتم على القلنسوة (٢) فأمرع الباغي الى البرنس فأخذه
وقد شلت يده (٣) .

الامام مع ابن رباح :

وكان مسلم بن رباح هو آخر من بقي من أصحاب الامام ، وكان
معه ، وقد أصاب الامام سهم في وجهه الشريف فجلس على الأرض
وانتزعه ، وقد نفجر دمه ، ولم تكن به طاقة فقال لابن رباح :
« ادن يدك من هذا الدم »
فوضع ابن رباح يديه تحت الجرح فلما امتلأنا دماً قال له :
« اسكبه في يدي »
فسكبه في يديه ، فرفعها نحو السماء وجعل يخاطب الله تعالى قائلاً :
« اللهم اطلب بدم ابن بنت نبيك »
ورمى بدمه الشريف نحو السماء فلم تقع منه قطرة واحدة الى الأرض
فما يقول ابن رباح (٤) .

(١) البرنس : قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الاسلام

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤

(٣) انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٧ ، كفاية الطالب في مناقب علي

ابن أبي طالب من مخطوطات مكتبة كاشف الغطاء العامة .

مناجاة مع الله :

واتجه الامام (ع) في تلك اللحظات الأخيرة الى الله فأخذ يناجيه
ويتضرع إليه بقلب مُنيب ويشكو إليه ما ألم به من الكوارث والمخطوب
قائلا :

و صبراً على قضائك لا اله سواك ، يا غياث المستغيثين ، مالي رب
سواك ولا معبود غيرك . صبراً على حكلك ، يا غياث من لا غياث له ،
يا دائماً لا نفاذ له يا محيي الموتى ، يا قائماً على كل نفس احكم بيني وبينهم
وأنت خير الحاكمين ، (١) .

انه الايمان الذي تفاعل مع جميع ذلبياته فكان من أهم عناصره . .
لقد تعلق بالله وصبر على قضائه وفوض إليه جميع ما نزل به وعاناه من
من الكوارث والمخطوب ، وقد أنساه هذا الايمان العميق جميع ما حل به
يقول الدكتور الشيخ احمد الوائلي في رثعته :

ها أبا الطف وزدهم بالضحايا	من أديم الطوف روض خيل
نخبة من صحابة وشقيق	ورضيع مطوق وشبول
والشباب الفينان جف ففاضت	طلعة حلوة ووجه جميل
وتوطلت تستين الضحايا	وزواكي الدماء منها تسيل
ومشت في شفاهك الغر نجوى	نم عنها التحميد والتهليل
لك عتي يارب إن كان يرضيك	فهذا الى رضاك قليل

(١) مقتل المكرم (ص ٣٤٥)

المهجوم عليه :

وهجمت على ربحانة رسول الله (ص) تلك العصابة المجرمة التي تحمل رجس الأرض وخبث اللثام فحملوا عليه - يا لله - من كل جانب وهم يوسمونه ضرباً بالسيف وطعنا بالرمح فضربه زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى ، وضربه وغداً آخر على عاتقه ، وكان من احقد أعدائه عليه الخبيث سنان بن انس ، فقد أخذ يضربه تارة بالسيف واخرى يطعنه بالرمح ، وكان يفخر بذلك ، وقد حكى للحجاج ما صنعه به باعزاز قائلاً :

و دعتاه بالرمح ، وهبرته بالسيف هبراً ، (١)
فالتاع الحجاج على قسوته وصاح به : اما انكما لن تجتمعا في دار (٢) .

وأحاط به اهداء الله من كل جانب ، وسيوفهم تقطر من دمه الزكي يقول بعض المؤرخين إنه لم يضرب أحد في الاسلام كما ضرب الحسين فقد وجد به مائة وعشرون جراحة ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورميسة سهم (٣) .

ومكث الامام مدة من الوقت على وجه الأرض ، وقد هابه الجميع ونكصوا من الاجهاز عليه يقول السيد حيدر :
فما اجلت الحرب عن مثله صريعاً يجبن شجعانها

(١) هبرته : قطعته

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٤

(٣) الخدائق الوردية ١ / ١٢٦

وكانت هيئته تأخذ بمجامع القلوب حتى قال بعض أعدائه : « لقد شغلنا جمال وجهه ونور بهجته عن الفكرة في قتله ، وما انتهى إليه رجل الا انصرف كراهية أن يتولى قتله (١) .

خروج العقيلة :

وخرجت حليدة الرسول (ص) زينب من خباتها وهي فزعة تندب شقيقها وبقية أهلها وتقول بلذوب روحها :
« ليت السماء وقعت على الأرض »
وأقبل ابن سعد فصاحت به : يا عمر أرضيت أن يقتل ابو عبد الله وأنت تنظر إليه ؟ فأشاح الحبيث بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته المشومة (٢) ولم تعد العقيلة تقوى على النظر الى أخيها وهو بتلك الحالة التي تميد بالصبر ، فانصرفت الى خباتها لترعى المذاعير من النساء والأطفال .

الفاجعة الكبرى :

ومكث الامام طويلا من النهار ، وقد اجهدته الجروح واعياه زيف الدماء ، فصاح بالقتلة المجرمين :
« أعلى قتلي نجتمعون ؟ اما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله وأبم الله إنني لأرجو ان بكرمني الله بهوانكم ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون . . . »

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب (ص ١٣٩)

وكان الشقي الأثيم سنان بن أنس قد شهر سيفه فلم يدع أحداً يدنو
من الامام مخافة أن يغلبه على أخذ رأسه فيخسر الجائزة من سيده ابن
مرجانة ، والتفت الخبيث عمر بن سعد إلى شبت بن رهمي فقال له :

« انزل فجنني برأسه »

فانكر عليه شبت وقال له :

« انا بايعته ثم هدرت به ، ثم انزل فاحتز رأسه لا والله لا أفعل

ذلك . . . »

والتاع ابن سعد فراح يهدده :

« اذا اكتب الى ابن زياد ،

« اكتب له » (١)

وصاح شمر بالأوغاد المجرمين من أصحابه : ويحكم ماذا تنتظرون
بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم امهاتكم فاندفع خولى بن يزيد الى الاجهاز عليه الا
انه ضعف وأرعد فقد اخذته هيبة الامام فأنكر عليه الرجس سنان بن أنس
وصاح به : فت الله في عضدك وأبان يدك ، واشتد كالكلب على الامام
فاحتز رأسه الشريف فيما يقول بعض المؤرخين (٢) ، وسندكر الأقوال
في ذلك .

واحتز رأس الامام (ع) وكانت على شفطيه ابتسامة الرضا والاطمئنان
والنصر الذي احرز به الى الأبد .

لقد قدم الامام روحه ثمناً للقرآن الكريم ، وثماناً لكل ما تسمو به
الانسانية من شرف وعز وابهاء . وقد كان الثمن الذي بذله غالياً وعظيماً
فقد قتل مظلوماً مهضوماً غريباً بعد أن رزى باهناؤه وأهل بيته وأصحابه

(١) الدر التنظيم في مناقب الأئمة (ص ١٦٨)

(٢) مناقب الخوارزمي ٣٦/٢

وذبح هو عطشاناً أمام عائلته ، فأى ثمن اغلى من هذا الثمن الذي قدمه
الامام قربانا خالصا لوجه الله ؟

لقد تاجر الامام مع الله بما قدمه من عظيم التضحية والفداء ، فكانت
تجارته هي التجارة الراجحة قال الله تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن
ومن اوفى بمعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو
الفوز العظيم » (١) .

والشيء المحقق ان الامام قد ربح بتجارته وفاز بالفخر الذي لم يلز به
أحد غيره ، فليس في اسرة شهداء الحق من نال الشرف والمجد والخلود
مثل ما ناله الامام فها هي الدنيا تعج بذكراه ، وها هو حرمه المقدس اصبح
اعز حرم وامنه في الأرض .

لقد رفع الامام العظيم راية الاسلام عالية خفاقة وهي ملطخة بدمه
ودماء الشهداء من أهل بيته وأصحابه : وهي تضيء في رحاب هذا الكون
وتفتح الآفاق الكريمة لشعوب العالم وأمم الأرض لحريتهم وكرامتهم .
لقد استشهد الامام من اجل أن يقيم في ربوع هذا الكون دولة
الحق ، وينقل المجتمع من حكم الأمويين الذين كفروا بحقوق الانسان ،
وحولوا البلاد الى مزرعة لهم بصييون منها حيث ما شاءوا .

القاتل الأثيم :

واختلف المؤرخون في المجرم الأثيم الذي اجهز على ربحانة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه بعض الأقوال :

(١) سورة التوبة : آية ١١٠

١ - سنان بن أنس

وذهب الكثيرون من المؤرخين الى ان الشقي الأثيم سنان بن أنس هو الذي احتز رأس الامام (ع) (١) وفيه يقول الشاعر ١
وأى رزية عدلت حسينا غداة تبيره كفا سنان (٢)

٢ - شمر بن ذي الجوشن

وصرحت بعض المصادر ان الأبرص شمر بن ذي الجوشن هو الذي قتل الامام (٣) فقد كان هذا الحبيث من أحمق الناس على الامام يقول المستشرق رينهارت دوزي : ولم يتردد الشمر لحظة بقتل حفيد الرسول (ص) حين احجم غيره عن هذا الجرم الشنيع . وان كانوا مثله في الكفر (٤) .

٣ - عمر بن سعد

وذكر المقرئزي وغيره ان عمر بن سعد هو الذي قتل الامام بعد أن احجم غيره من السفكة المجرمين من قتله (٥) .

-
- (١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٥ ، مقاتل الطالبين (ص ١١٨)
البداية والنهاية ٨ / ١٨٨ ، أنساب الأشراف ق ١ ج ١ ، تاريخ القضاة
(٢) الاستيعاب ١ / ٣٧٩
(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٦ ، مقتل الحسين للمقرئ (ص ٣٤٧)
(٤) مسامحة اسباليا
(٥) خطط المقرئزي ٢ / ٢٨٦ ، مناقب ابن شهر آشوب ٥ / ١١٩
من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين .

٤ - خولى بن يزيد الأصبحي

وتعزو بعض المصادر أن خولى بن يزيد الأصبحي هو الذي قتل
الامام واحتز رأسه (١)

٥ - شبل بن يزيد الأصبحي

ونص بعض المؤرخين على أن خولى بن يزيد الأصبحي نزل عن فرسه
ليحتز رأس الامام فارتعدت يده فنزل إليه اخوه شبل فاحتز رأسه
ودفعه إليه (٢) .

٦ - الحصين بن نمر

نص على ذلك بعض المؤرخين (٣)

٧ - رجل من مدحج

ذكر ذلك ابن حجر (٤) وانفرد هو بنقله .

(١) درر الابكار في وصف الصلوة الاخيار (ص ٣٨) وجاء فيه
ان عمر بن سعد قال لأصحابه : انزلوا فحزوا رأسه فنزل إليه نصر بن
حرشة الضبابي فجعل يضرب بسيفه في مدحج الحسين فغضب ابن سعد ،
وقال لرجل عن يمينه : ويحك انزل الى الحسين فارحه فنزل إليه خولى
فاحتز رأسه .

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٣٣٣

(٣) المعجم الكبير للطبراني ، الافادة في تأريخ الأئمة السادة

(٤) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٣

٨ - المهاجر بن أوس

نص على ذلك السبط ابن الجوزي (١) ولم يذكره غيره
 هذه بعض الأقوال ، والذي نراه ان شمر بن ذي الجوشن ممن تولى
 قتل الامام ، واشترك مع سنان في حز رأسه ، كما ذهب لذلك بعض
 المؤرخين (٢) .

وعلى أي حال فالويل لذلك الشقي الذي قدم على اقرار هذه
 الجريمة التي هي أبشع ما اقرت من يوم خلق الله هذه الأرض حتى يرثها
 وقد أثر عن النبي (ص) عما يلاقه قاتل الحسين في الدار الآخرة من العذاب
 الأليم قال (ص) : « ان قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف
 عذاب أهل النار ، وقد شددت يداه ورجلاه بسلاسل من نار ، منكس في
 النار حتى يقع في نار جهنم وله ريح يتعوذ أهل النار الى ربهم من شدة
 ريح ننته ، وهو فيها خالد ذائق العذاب العظيم ، كلما فضجت جلودهم
 بدلتناهم جلوداً غيرها حتى يدوقوا العذاب الأليم ، لا يفتر عنهم ساعة ،
 وسقوا من حميم جهنم ، ويل لهم من عذاب الله عز وجل ، (٣) .
 بأي وجه يلقى رسول الله (ص) وقد اذكله بريحانته ، وسبطه ،
 يقول منصور النمري :

وبلك يا قاتل الحسين لقد نؤت بحمل ينوء بالحامل

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

(٢) الافادة في تأريخ الأئمة السادة

(٣) مناقب ابن المغازلي : رقم الحديث (ص ٣٩٠) بنحط المحقق

الاميني في مكتبة الامام امير المؤمنين .

أي حياء حيوت أحمد في حفرته من حرارة الثاكل
بأي وجه تلقى النبي وقد دخلت في قلبه مع القتال (١)

عمر الامام وسنة شهادته :

أما عمر الامام (ع) حين شهادته فقد اختلف فيه المؤرخون ،
وهذه بعض الأقوال :

١ - ٥٨ سنة : وإليه ذهب معظم المؤرخين (٢)
٢ - ٥٦ سنة : وإليه ذهب اليعقوبي وقال : لأنه ولد سنة ٤ من
الهجرة (٣) .

٣ - ٥٧ سنة : (٤)

٤ - ٦٥ سنة : (٥)

أما السنة التي استشهد فيها فهي سنة (٨٦١) حسبما ذكره أغلب المؤرخين (٦)

(١) زهر الآداب ٦٦٩/٣ ، الأغاني ٢١/١٢ ، أمالي السيد المرتضى
(٢) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٦ ، الاستيعاب ١ / ٣٨١ ، الارشاد
(ص ٢٨٣) البداية والنهاية ٨ / ١٩٨ ، المعجم الكبير للطبراني ، الافادة
في تأريخ الأئمة السادة ، مجمع الزوائد ٩ / ١٩٨ .

(٣) تأريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨

(٤) الاستيعاب ١ / ٣٨١ المطبوع على هامش الاصابة

(٥) مرآة الجنان ١ / ١٣١

(٦) اسد الغابة ٢ / ٢٠ ، الاصابة ١ / ٣٣٤ ، الاستيعاب ١ / ٣٨١

مجمع الزوائد ٩ / ١٩٧ ، تأريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨ .

وهي تصادف سنة (٦٨٠ م) في ١٠ اكتوبر تشرين الأول (١) وما ذكره
الحجة الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء رحمه الله انه في (١٠ تموز ، (٢)
فانه لا واقع له .. يقول المؤرخون إنه وكانت بين وفاة النبي (ص) واليوم
الذي قتل فيه الحسين خمسون سنة (٣) ولم يرع المسلمون أنه رحالة لبيهم
وسبطه الذي خلفه في أمته .

امتداد الحمرة في السماء :

ومادت الأرضن واسودت آفاق الكون (٤) وامتدت حمرة رهية في
السماء (٥) كانت نذيراً من الله لاولئك السفكة المجرمين الذي انتهكوا جميع
حرمات الله ، وفي هذا الافق الملتهب بالحمرة والنار يقول ابو العلاء المعري :

وعلى الأفق من دماء الشهيد ين علي ونجمله شاهدان
فهما في اواخر الليل فجرا ن وفي اولياته شفقان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعد يا الى الرحمن

(١) تاريخ الدول العربية (ص ١٤٤) الجدول الملحق بفجر الاسلام
(ص ٣٠٥) الجدول الملحق بتاريخ الدول لابن العبري ، وهو يتفق مع
ما ذكره اليعقوبي في تحديد الشهر .

(٢) مجلة الغري السنة الأولى (عدد ٢٣ و ٢٤)

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٣٣٤

(٤) مرآة الجنان ١ / ١٣٤ ، خطط المقرئزي ٢ / ٢٨٥ ، تهذيب

التهذيب ٢ / ٣٥٥

(٥) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٧ ، الاتحاف بحب الاشراف (ص ٢٤)

وقد انكشفت الشمس ، وكانت قد مالت الى الغروب ، وقد شاركت
العالم البائس احزانه واشجانه .

فرس الحسين :

وصبغ فرس الحسين ناصيته بدم الامام الشهيد واقبل يركض وهو
مدعور نحو خيمة الحسين ليعلم العيال بقتله ، ولما نظرت إليه النساء علمن
بمقتله (١) وفي زيارة الناحية « فلما نظرن النساء الى الجواد مخزيا ،
والسرج عليه ملوبا خرجن من الخدور ناشرات الشعور ، على الخدود
لاطمات وللوجوه سافرات ، وبالعويل داعيات ، وبعد العز مدلالات والى
مصارع الحسين مبادرات » .

ونادت عقيلة الوحي :

« واعمدها ، واأبتاه واعلياه ، واجعفرها ، واحزنه ، هذا حسين
بالعراء ، صريم بكر بلاه . ليت السماء أطبقت على الأرض ، وليت
الجبال تدكدت على السهل » (٢) .
وذهل الجيش ، وود أن تخيس به الأرض ، وجرت دموع أولئك
الجفأة من هول مصيبة بنات الرسالة .

حرق الخيام :

وعند الانخبات اللثام الى حرق خيام الامام غير حافلين بما تضم من

(١) التاريخ المظفري (ص ٢٣٠) من مصورات مكتبة الامام الحكيم

(٢) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٤٦)

بنات الرسالة وعقائل الوحي ، وقد حملوا أقبسة من النار (١) ومناديهم
ينادي .

« احرقوا بيوت الظالمين »

يا لله ! ! لقد كان بيت الامام - حسب ما يزعمون - بيت الظلم ،
وبيت ابن مرجانة بيت العدل ، وقد اغرق هو وابوه الناس في الظلم والجور .
وحيثما التهب النار في الخيم فررن بنات الرسالة وعقائل الوحي من
خباء والنار تلاحقهن ، أما اليتامى فقد هلا صراخهم فبين من تعلق بأذيال
عمته الحوراء لتحميمه من النار ، وتصدد عنه اعتداء الجفافة وبين من هام
على وجهه في البيداء ، وبين من يستغيث بأولئك المسوخين الذين خلت
قلوبهم من الرحمة والعطف ، لقد كان ذلك المنظر مما تتصدع له الجبال
ولم يغيب عن ذهن الامام زين العابدين طيلة المدة التي عاشها بعد أبيه ،
فكان دوما يذكره مشفوها بالأسى والعبرات وهو يقول :

« والله ما نظرت الى عماتي واخواتي الا وخنقتني العبرة وتذكرت
فراهن يوم الطف من خيمة الى خيمة ومن خباء الى خباء ، ومنادي
القوم ينادي احرقوا بيوت الظالمين ، »

سلب جثة الامام :

واقترف جيش ابن سعد اسوأ المآثم وافظع الجرائم فقتل هرعوا
بجشع و جثة الامام العظيم فجعلوا ينهبون ما عليها من لامة حرب أو
ثياب فأخذ رجل من بني نهشل سيفه (٢) وهو سيف النبي (ص) المسمى

(١) التاريخ المظفري (ص ٢٢٨)

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

بلدي الفقار (١) واخذ قيس بن الأشعث احد قادة ذلك الجيش قطيفة الامام وكانت من خز ، فعيب عليه وسمي قيس القطيفة وسلب قميصه اسحاق بن حوية ، واخذ الأحنس بن مرشد عمامة (٢) واخذ بحير سراويله فلبسها فصار زمنا مقعداً (٣) ولم يتركوا على جثمان الامام الا السراويل التي عمد الامام على تمزيقها حتى يتركوها على جسده .

وجاء احط البشرية واقدرها بجدل ففتش عن مغنم يجده على جسم الامام فلم يجد شيئاً وفتش مليا فرأى خاتم الامام في يده وقد بنت عليه الدماء فعمد الى قطع اصبعه وأخذه (٤) وترك البقاة جثمان الامام عاريا تصهره الشمس .

سلب حرائر النبوة :

وعمد ارذال أهل الكوفة وعبيد ابن مرجانة الى سلب حرائر النبوة وعقائل الرسالة فسلبوا ما عليهن من حلي وحلل ، ومال وغد من ارغادهم

(١) التاريخ السياسي للدول العربية ٧٥ / ٢ وجاء في هامشه أن هذا السيف غنمه النبي (ص) يوم بدر (ابن هذيل حليمة الفرسان وشعار الشجعان ص ١٥) ، وسمي بلدي الفقار لأنه كان يشبهه في شكله فقرات الظهور (كنوز الفاطميين ص ٥٤) وقد انتقل هذا السيف الى حيازة العباسيين ومن بعدهم إلى الفاطميين (المجالس مخطوط) .

(٢) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٤٧)

(٣) تاريخ المظفري (ص ٢٣٠)

(٤) شرح شافية ابي فراس ٢ / ٢

بخسة ووحشية إلى السيدة أم كلثوم فسلب قرطبها (١) واسرع وضر خبيث
نحو السيدة فاطمة بنت الحسين فانتزع خلعها ، وهو يجهد بالبكاء ،
وبهرت منه ابنت الحسين فقالت له :

« مالك تبكي ؟ ! ! »

« كيف لا ابكي وأنا اسلب ابنة رسول الله (ص) »

ولما رأت تعاطفه قالت له :

« دعني »

وراح الدنيء يبدي جشعه قائلاً :

« أخاف ان يأخذه غيري » (٢)

وعمدوا إلى نهب ماني الخيام من ثقل ومتاع ، وهجم الشر على
ثقل الحسين لنهبه فوجد ذهباً فأخذه ودفع بعضه إلى ابنته لتصوغه حلماً لها
فجاءت به إلى الصائغ فلما أدخله النار صار هباءً (٣) ،

وبصرت امرأة من آل بكر بن وائل ما جرى على بنات رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، من النهب والسلب والترويع ، فاندفعت وهي
مدهولة فجعلت تحفز اسرتها على انقضاء ودائع النبوة من أيدي أولئك
الجفاة قائلة « يا آل بكر بن وائل اتسلب بنات رسول الله ! ! لا حكم
إلا لله ، يا لثارات رسول الله » .

وبادر إليها زوجها فردها إلى رحله (٤) وتجرد ذلك الجيش من
كل نزعة انسانية ، وخلا من كل رافة ورحمة ، فقد جعلوا يوسعون بنات

(١) التاريخ المظفري (ص ٢٣٠)

(٢) سير اعلام النبلاء ٣ / ٢٠٤

(٣) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٠)

(٤) اللهوف (ص ٧٤)

رسول الله (ص) ضرباً بكعب رماحهم وهن يلدن من الرعب بعضهم
ببعض ، وقد سقطت فاطمة بنت الحسين مغشياً عليها من شدة الضرب
فلما أفاق رأت عمتها السيدة ام كلثوم تبكي عند رأسها (١) ان مأساة
هائلة الرسالة تبكي الجهاد وتستثير عطف الصغور .

المهجوم على زين العابدين :

وهجم الفجرة الجفأة على زين العابدين وكان مريضاً قد انهكتته
العلّة ، ومزق الأسي قلبه ، فاراد الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن
ان يقتله فنهره حميد بن مسلم قائلاً له :

« سبحان الله ! ! انقتل الصبيان ؟ انما هو مريض »

فلم يعن به الوغد ، وبادرت إليه العقيلة عمته زينب فتعلقت به ،
وقالت لا يقتل حتى اقتل دوله (٢) فكف اللثام عنه ، وقد نجا منهم
باعجوبة ، واجتاز على النساء الرجس عمر بن سعد فصحن في وجهه
وبكن فمنع الخبيث العسكر من التعرض لمن بسوء (٣) .

(١) مقتل المكرم (ص ٣٧٠)

(٢) تاريخ القرمانى (ص ١٠٨) وفي المنتظم ان ابن سعد هو
الذى امر بقتل زين العابدين فوقعت عليه زينب وقالت ، لا يقتل حتى
اقتل فرق لها وكف عنه .

(٣) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٨٩

الخيل تدوس الجثمان العظيم :

واخذ شر اولئك الجفافة يستشري فلم يدعوا حرمة لله الا انتهكوها ولا ائماً الا اقترفوه ، فقد انبرى ابن سعد لينفذ اوامر سيده ابن مرجانة فنادى : من ينتدب للحسين فيوطني الخيل صدره وظهره (١) قال الواقدي : وهادر الشمر فوطيء الجثمان المقدس بفرسه (٢) وبعه عشرة من اولاد البغايا وهم اسحاق بن يحيى الحضرمي ، وهانيء بن ثابت الحضرمي وادلم بن ناعم ، واسد بن مالك والحكيم بن الطفيل الطائي ، والأخنس بن مرشد وعمرو بن صبيح المدحجي ورجاء بن منقذ العبيدي ، وصالح بن وهب الزني ، وسالم بن خيثمة الجعفي (٣) فداسوا ریحانة رسول الله (ص) بنحيوهم مقبلين ومدبرين حتى الصقوا الجثمان العظيم بالأرض (٤) وكان المجرم الخبيث اسد بن مالك يفتخر امام ابن سعد ويقول :

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الأسر (٥)
وجرى هذا التمثيل المنكر أمام ابن سعد وسائر قوات ذلك الجيش (٦)
ولم تجر هذه العملية فيما احسب - على أحد من أهل بيت الامام وأصحابه ويؤيد

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٦١

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤ / ١١١

(٤) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٨٩

(٥) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٩

(٦) تاريخ دول الاسلام ١ / ٥٧ وجاء فيه ان الجيش حمل جثة الامام

العظيم إلى ابن سعد فأمر الخبيث أن تدوس الخيل صدر الامام وظهره .

ذلك أن الأوامر التي صدرت من ابن زياد الى ابن سعد قد اقتضت على التمثيل بجسد الحسين دون غيره .
وعلى أي حال فقد أعلنوا بهذا العمل الفظيع عن حقدهم البالغ على الامام ، وتجردهم من جميع العواطف الانسانية .
لقد داسوا جسد الامام الذي تربى في كنف الرسول (ص) ونبت لحمه من لحم علي وفاطمة ، والذي قال فيه الرسول :
« حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً »
لقد داسوا ذلك الجسد الذي ثار في وجه المعتدين والظالمين ، وأراد أن يزيل البغي ، ويظهر العدل في الأرض حسب ما أمر الله به .

العقيلة أمام الجثمان العظيم :

ووقفت حفيذة الرسول (ص) وابنة أمير المؤمنين (ع) العقيلة زينب عليها السلام على جثمان أخيها العظيم الذي مزقته السيوف ، وجعلت تطيل النظر اليه ورفعت بصرها نحو السماء وهي تدعو بجرارة فائلة :
« اللهم تقبل هذا القربان » (١)
ان الانسانية لتتحنى اجلالاً وخضوعاً امام هذا الايمان الذي هو السر في خلود تضحية الحسين .
لقد تحملت بطلا كربلاء اعباء تلك المحن الشاقة ، وتجرعت غصص تلك الأهوال محتسبة الأجر عند الله ، وهي تتضرع بنحسوع الى الله أن يتقبل ذلك القربان ، فأأي صبر يماثل هذا الصبر ؟

(١) مقتل الحسين للمكرم (ص ٣٧٩)

لقد تجلت قوة الشخصية في حميدة الرسول ، وبرزت معاني الوراثية للنبوية في مواقلها الخالدة التي صالت بها أهداف الامام ، واطهرت الواقع في تضحيته ، وانارت السبيل في بيان اسرار شهادته :

سنان يطلب الجائزة :

واحتف اولئك الجملة حول القاتل الأثيم سنان بن انس (١) وجعلوا يمنونه الأمانى ويقولون له :
« قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة . . . قتلت اعظم العرب خطراً الذي اراد أن يزيل ملك هؤلاء فأنت امرأك فاطمك ثوابك منهم ، فانهم او اعطوك بيوت أموالهم في قتله لكان قليلاً ،
وتحركت مطامعه ، فأقبل حتى وقف على فسطاط ابن سعد رافعاً
صوته :

او قر ركابي فضة أو ذهباً إنني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون النسبا
ولما سمعه ابن سعد نهره ورماه بالسوط ، وقال له : ويحك أنت
مجنون لو سمعتك ابن زياد تقول هذا الضرب عنقك (٢) وقد حدد الباغي
اللثيم أهدافه في هذا الرجز ، فهو انما يلمش الذهب والفضة في قتله لخير
الناس أما وأبا ، ولم يؤثر أن هناك رجزاً قيل في المعركة أو بعدها سوى

(١) سنان بن أنس : هو جد شريك القاضي المعروف بعدم النزاهة
جاء ذلك في الاستيعاب ١ / ٣٧٧ .

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٨٩ ، وفي المعجم الكبير للطبراني ٢ / ١٤٠
ان انس أنشد هذين البيتين امام ابن زياد وكذلك جاء في الاستيعاب ١ / ١٧٧ .

هذا الرجز ، وهو يمثل أهداف الأكرية الساحقة في ذلك الجيش السحيق وحلل الدكتور يوسف خليف هذا الرجز بقوله :

« والعاطفة التي تشيع في هذا الرجز - مع الأسف - عاطفة الفرح والزهو ، فراح القاتل بهذه الهوية الغالية التي يحملها إلى الأمير ، وزهوه بهذا العمل الضخم الذي قام به من أجل الدولة ، وهو لهذا يشعر بأن أقل ما يمكن أن يكافئه الأمير به أن يوقر ركا به فضة وذهبا ، وهو - لهذا أيضاً - يضلّي على قتيله خبير ما يمكن أن يضيفه انسان على انسان ، وقد جعله هذا يشعر بشيء من الدالة على الأمير يبيح أن يجعل حديثه عن هذه الجائزة حديث الأمر الذي لا يقبل رداً ولأرفضاً ، وهو - من أجل هذا - يبدأ رجزه لا بالحديث عن الحادثة التي تعني الأمير وانما بالحديث عن الجائزة التي تعنيه هو ، كأنما لا يعنيه من الأمر الا ما سوف يناله من ذهب وفضة ، (١) .

القبائل تقسم الرؤوس :

وبادرت القبائل الى حز رؤوس أولئك الأحرار الذين استشهدوا من أجل العدالة الاجتماعية ، ومن أجل تحرير الانسان من الظلم والظغيان :

ولم يقر الاسلام في جميع حروبه التمثيل الا ان الجيش الأموي قد استباح ذلك ، فان معاوية قدمه وابعاه ، فقد أمر برأس الشهيد العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي أن يطاف به ، وقد اقتدى به ابن مرجانة فبعث برأس مسلم وهانيء إلى يزيد ثم عهد إلى ابن سعد أن يحز رؤوس الشهداء في واقعة كربلاء لبيعها هدية إلى يزيد ، وقد تهافت تلك العصاة المجرمة

(١) حياة الشعر في الكوفة (ص ٣٧٣ - ٣٧٤)

إلى اقتسام الرؤوس ليقدموها هدية لابن مرجانة ، وقد اقتسمت القبائل التالية ما يلي من الرؤوس .

١ - كندة ١ جاءت بثلاثة عشر رأساً ، وصاحبهم قيس بن الأشعث

٢ - هوازن : حصلت على عشرين رأساً ، وصاحبهم شمر بن

ذي الجوشن .

٣ - مذحج جاءت بسبعة رؤوس

٤ - بنو قيس جاؤا بتسعة رؤوس

٥ - بنو تميم : جاؤا بسبعة عشر رأساً

٦ - بنو أسد ١ جاؤا بستة عشر رأساً (١)

٧ - مائر الجيش جاؤا بسبعة رؤوس (٢)

وهقيت على صعيد كربلاء جنة الحسين ، وجثث الشهداء من أهل بيته

وأصحابه قد فصلت عنها الرؤوس ، ووضعت فوق الحراب لتكون مناراً

لجميع شعوب الأرض على طريق الحق والشرف والايمان .

عودة الطاغية الى الكوفة :

وكان الطاغية معسكراً بالنخيلة يتلقى الأحداث في كل لحظة فقد كان

على اتصال دائم بابن سعد فلما جاءه للبشير بقتل الحسين ارتحل مسرعاً

إلى الكوفة ليحكم أمرها ، ويتخذ التدابير للمحافظة عليها فاصدر أمره إلى

حراس البلد وكان عددهم عشرة آلاف فارس يمنع حمل السلاح على كل أحد

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، المنتظم الجزء الخامس

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٠٢

ونادى مناديه بالكوفة بذلك (١) كما أرسل الوفود الى جميع انحاء البلاد
لاعلان النصر واذاعة الخوف بين الناس (٢) :

ليلة الحادي عشر :

وقل ما شئت في تصوير المحنة الكبرى التي دهمت عقائل النبوة في
ليلة الحادي عشر من المحرم ، فانك لا تستطيع تصويرها ولا استيعاب
مأساتها ، فلم تبق رزية من رزايا الدنيا ، ولا غصة من غصص الدهر الا
جرت عليهن ، فالاعداء الجلاء الذين لا يملكون أي شرف أو نبل قد
استولوا عليهن ، والحماة الأبهة من آل الرسول (ص) قد تناثرت
اشلاؤهم الزكية أمامهن من دون أن ينبري أحد الى مواراتهم ، والحيام
قد احرقت ونهب ما فيها من ثقل ومتاع ، وسلب ما عليهن من حلي وحلل
ووصف ذلك المنظر الحزين الدكتور الشيخ احمد الوائلي في رائعته التي
يقول فيها :

وسجى الليل والرجال ضحايا	والنساء المخدرات ذمور
واليتامى تشرد وضياع	والثكالى مدام وعويل
وبقايا مخيم من رماد	وقيود يثن منها عليل
وزنود قست عليها سياط	وجسوم يضرى بها التمثيل (٣)

أما حليدة الرسول (ص) وشقيقة الحسين العقيلة زينب (ع) فإنها
ما وهنت ولا استكانت أمام تلك الأهوال القاصمة فقد اسرعت تلتقط

(١) مع الحسين في نهضته (ص ٢٨٥)

(٢) مقتل الحسين لعبد الله

(٣) مجلة البلاغ العدد التاسع السنة الرابعة (ص ١٣)

الأطفال الذين هاموا على وجوههم في البيداء ، وتجمع العيال في تلك
البيداء الموحشة ، وهي تسليهم وتصبرهم على تلك الرزايا ، وقد انفتت
تلك الليلة ساهرة على حراستهم ، وقد هامت في تيارات من الأسى لا يعلم
بمداها الا الله ، وقد أدت وردها من صلاة الليل ولكن استولى الضعف
عليها فادتها من جلوس .

عدد الضحايا من أهل البيت :

واختلف المؤرخون في عدد الضحايا من أهل البيت (ع) وهذه
بعض الأقوال :

١ - سبعة عشر ، وقد اعلن ذلك الامام الصادق (ع) في حديث
له مع شيخ جرى عن قتل الحسين قال (ع) له : « ذلك دم يطلب الله به
ما أصيب من ولد فاطمة ، ولا يصابون بمثل الحسين ، ولقد قتل في سبعة
عشر من أهل بيته ونصحوا الله ، وصبروا في جنب الله فجزاهم الله أحسن
جزاء الصابرين » (١) ويقول محمد بن الحنفية : « لقد قتل معه - أي
مع الحسين - سبعة عشر ممن ارتكضوا في رحم فاطمة » (٢) وهي فاطمة
بنت أسد ام الامام امير المؤمنين (٣) .

(١) مقتل الامام الحسين لعبد الله بن نور الله من مخطوطات مكتبة
الامام أمير المؤمنين .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١ / ١٤٠ ، خطط المقرئ ٢ / ٢٨٦
تذهيب التهذيب ١ / ١٥٦ .

(٣) مقتل الحسين لعبد الله بن نور الله

٢ - ستة عشر رجلا ، يقول الحسن البصري : « قتل مع الحسين
ابن علي ستة عشر رجلا ما على وجه الأرض لهم من شبيهه » (١) .

ويقول سراقه البارقي :

عيني ابكي بعبرة وعويل والدي إن نذبت آل الرسول
تسعة منهم لصلب علي قد ابيدوا وسبعة لعقيل (٢)

٣ - خمسة عشر ، وقد اعلن ذلك المغيرة بن نوفل في مقطوعته التي
رثاهم بها يقول :

اضحكني الدهر وابكاني والدهر ذو صرف والوان
يا لهفت نفسي وان النفس لا تنفك من هم واحزان
على أناس قتلوا تسعة بالطف أمسوا رهن اكفان
وستة ما أن أرى مثلهم بني عقيل خير فرسان (٣)

٤ - تسعة عشر رجلا من أهل البيت عليهم السلام (٤)

٥ - عشرون ، من أبناء علي سبعة ، ومن أبناء الحسن اثنان ، ومن
أبناء عبد الله بن جعفر اثنان ومن أبناء الحسين ثلاثة ومن أبناء عقيل ستة
خير مسلم (٥) .

(١) مرآة الجنان ١ / ١٣٣ ، تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٧ ، ذخائر
العقبى (ص ١٤٦) تاريخ خلية خياط ١ / ٢٢٥ ، الاستيعاب ١ / ٣٨٠

(٢) المعارف

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٤) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٨٧)

(٥) مرآة الزمان (ص ٥٩)

- ٦ - ثلاثة وعشرون رجلاً من ولد الحسين واخوته واهل بيته (١)
- ٧ - سبعة وعشرون شهيداً من ولد فاطمة (٢) يعني بنت أسد
- ٨ - ثمانية وسبعون صرح بذلك النسابة السيد ابو محمد الحسن الحسيني (٣) وهو اشتباه ولعله أراد من قتل مع الامام من أصحابه .
- ٩ - ثلاثون نسب ذلك الى الامام الصادق في حديث له مع عبد الله ابن سنان ، فقد أمره بالصوم في يوم عاشوراء ، وأمره بالافطار بعد صلاة العصر وقال له : « فانه في ذلك الوقت - أي العصر - تجلت الهيبة عن آل رسول الله (ص) وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً مع مواليتهم يعز على رسول الله (ص) مصرعهم ، ولو كان في الدنيا حياً لكان هو المعزى بهم » (٤) .
- ١٠ - ثلاثة عشر رجلاً انفراد بذلك المسعودي (٥) ولم يذكره غيره .
- ١١ - اربعة عشر رجلاً ذكر ذلك الخوارزمي (٦) .
- هذه بعض الأقوال التي ذكرت ، واحتوت الزيارة المنسوبة الى الناحية على ذكر سبعة عشر شهيداً وذكر ذلك الشيخ المفيد (٧) ولعله هو الأقرب الى الواقع والله العالم .

(١) خطط المقرئزي ٢ / ٢٨٦ ، الدرية الطاهرة

(٢) المناقب ٤ / ١١٢

(٣) بحر الانساب الجزء الثاني

(٤) سفينة البحار ٢ / ١٩٦ ، اعيان الشيعة ٤ / ق ١ / ص ١٣٤

(٥) مروج الذهب

(٦) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٤٧

(٧) الارشاد (ص ٢٧٩)

الجرحي من اصحاب الامام :

وسقط في المعركة بعض الجرحى من أصحاب الامام ، ولم يجهز عليهم جيش ابن سعد ، وهم

١ - سوار بن حمير الجاهري

حمل من المعركة ومات متأثراً بجراحه بعد ستة أشهر (١)

٢ - عمرو بن عبد الله

سقط في المعركة جريحاً وحمل ، ومات متأثراً بجراحه بعد سنة (٢)

٣ - الحسن بن الحسن

وقاتل الحسن بن الامام الحسن مع عمه حتى سقط على الأرض جريحاً ولما اقبل اجلاف أهل الكوفة على حزر رؤوس الشهداء وجدوا به رمقاً فجاء أسماء بن خارجة الفزاري وكان من أنحواله فاستشفم به فشفعوه فحمله معه الى الكوفة وعالجه حتى برىء ثم لحق في يثرب (٣) .

الناجون من القتل :

ونجا من القتل من أصحاب الامام وأهل بيته ما يلي :

(١) (٢) الحدائق الوردية ١ / ٢٦

(٣) حياة الامام الحسن ٢ / ٤٦٤

١ - عقبة بن سمعان

وكان عقبة بن سمعان مولى للرهبان بنت امرئ القيس زوجة الامام الحسين (ع) جيء به أسيراً الى ابن سعد فقال له :
- من أنت ؟
- مملوك
فخلى سبيله ولم يتعرض له بمكروه (١)

٢ - المرقع بن قمامة

وكان المرقع بن قمامة الأسدي من أنصار الامام (ع) فأسر فجاءت قبيلته فطلبت له الامسان ، وجيء به مخفوراً إلى ابن مرجانة ، واخبره ابن سعد بشأنه ، فنفاه الى الزارة من أرض البحرين وبقي فيه (٢) .

٣ - مسلم بن رباح

وكان مع الامام يمرضه ، ولما قتل انفلت ونجا سالماً ، وقد روى بعض فصول واقعة كربلاء (٣) .

٤ - الامام زين العابدين

وكان مريضاً قد أنهكته العلة ، ونجا باعجوبة من أيدي أولئك الطفلة وحمل اسيراً إلى ابن مرجانة وسيدته يزيد بن معاوية .

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) أنساب الأشراف ق ١ ج ١ ، تأريخ الطبري ٦ / ٢٦١

(٣) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٧٧) مقال الطالبين (ص ١١٩)

٥ - الحسن بن الحسن

وقد ذكرنا انه سقط في المعركة جريحا ، وبريء من جراحاته

٦ - عمر بن الحسن

وزجا من القتل عمر بن الحسن ، ولم نعلم أنه اشترك في الحرب أم انه كان صغيراً :

٧ - القاسم بن عبد الله

وهو ابن عبد الله بن جعفر

٨ - محمد بن عقيل

٩ - زيد بن الحسن (١)

وهؤلاء هم الذين نجوا من القتل وافتتوا من أيدي اولئك السفكة المجرمين الذين كانوا يتعطشون الى اراقة دماء أهل البيت .

خسائر ابن سعد :

أما حجم الخسائر في جيش ابن سعد فكانت جسيمة للغاية ، فقد دمر أصحاب الامام على قتلهم جميع كتائب ذلك الجيش ، وانزلوا به افدح الخسائر ، فاشاعوا في ارباض الكوفة الثكل والحداد ويقول بعض المؤرخين : الهم لم يتركوا بيتاً في الكوفة الا وفيه نائحة ، أما ما يدعهم

(١) مقاتل الطالبين (ص ١١٩)

ذلك فهي التصريحات التي أدلى بها بعض قادة الفرق عن فزعهم وذعرهم بما منوا به من الخسائر ، وقد أشرنا إليها في البحوث السابقة .
 أما تقدير الخسائر فننص بعض المقاتل على ان عدد القتلى من جيش ابن سعد كانوا ثمانية آلاف وثمانين رجلا (١) وفيما احسب أن هذا العدد مبالغ فيه ، وان القتل دون ذلك ، وذكر ابن الأثير ان القتل كانوا ثمانية وثمانين سوى الجرحى (٢) وهذا القول لا نصيب له من الصحة والغاية منه التقليل من أهمية معسكر الحسين ، فان من المقطوع به انهم انزلوا بجيش ابن سعد الهزائم والحقوا به افدح الخسائر ، حتى ضج العسكر من كثرة من قتل منهم ومن الطبيعي ان ذلك لا يتفق مع هذا العدد القليل .

رؤيا ابن عباس :

وحينا نزع الامام من الحجاز الى العراق كان ابن عباس قلقاً تساوره المموم والأحزان خوفاً على ابن عمه من غدر أهل الكوفة ، وقد نام في اليوم العاشر من المحرم فاستيقظ فزعاً مرعوباً ، وقد رفع صوته :

« قُتِلَ الحُسَيْنِ وَاللَّهِ »

فأنكر عليه أصحابه قائلين له :

« كلا يا ابن عباس ! ! »

فأجابهم ودموعه تتيلور على خديه رأيت رسول الله (ص) ومعه زجاجة ، فقال لي : الا تعلم ما صنعت أمي بعدي ؟ قتلوا ابني الحسين ،

(١) مقتل الحسين لعبد الله

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٦

وهذا دمه ودم اصحابه ارفعه إلى الله عز وجل ، وسجل اصحابه اليوم
والساعة التي حدثت فيها الرؤيا ، ووافتهم الانبياء بمقتل الامام في نفس الوقت
التي حدثت فيه الرؤيا (١) .

رؤيا ام سلمة :

وكانت أم المؤمنين السيدة أم سلمة وجلة مضطربة من حين خروج
الامام الى العراق ، فقد عهد إليها رسول الله (ص) بمقتل ولده الحسين
في أرض كربلاء ، واعطاها قارورة من تربته ، واعلمها انها اذا فاضت
دماً فان سبطه قد قتل (٢) وكانت تنظر كل يوم الى القارورة وتقول :
إن يوماً تتحولين دماً ليوم عظيم (٣) ورقدت في اليوم العاشر من المحرم
فرأت في منامها رسول الله (ص) وعلى رأسه لحيته التراب فقالت له :

« مالك يا رسول الله ؟ ! »

« شهدت قتل الحسين »

وانتهت أم سلمة فزعة مذعورة وهي صارخة منادية « قُتِلَ الحسين

(١) تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٨٥ ، مرآة الجنان ١ / ١٣٤ ، تذهيب
التهديب ١ / ١٥٥ ، تأريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٩ ، تأريخ بغداد ،
خطط المقرئ ٢ / ٢٨٦ ، المنتظم الجزء الخامس .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ، تأريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٤٩ ،
تأريخ المظفرى (ص ٣٠) وجاء فيه ان اول صارخة على الحسين بالمدينة
هي أم سلمة .

(٣) المعجم الكبير للطبراني

ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، (١) وسمع ابن عباس الصراخ قد علامن بيت أم سلمة فخف إليها ، وقد ازدحم بيتها بالرجال والنساء فقال لها : يا أم المؤمنين ما بالك تصرخين وتعولين فلم تجبسه ، واقبلت على النساء الهاشميات فقالت لهن :

« يا بنات عبد المطلب اسعدني ، واهيكن ، فقد والله قُتل سبط رسول الله وربحانته الحسين » .

فقلن لها :

« من أين علمت ذلك ؟ »

فأخبرت برؤياها للنبي (ص) (٢) وتصارخت النسوة حتى ضجعت المدينة وما سمع بواعية مثل ذلك اليوم (٣) وأقامت أم سلمة من وقتها مجلس العزاء على الحسين ، فجعل المسلمون يقدون عليها ويمزونها بمصاهاها الأليم ، ومن وفد عليها معزيا شهر بن حوشب ، فأخذت تحذثه عما سمعته من رسول الله (ص) في فضل أهل البيت فائتة ! دخل رسول الله (ص) على منامة لئنا فجاءته فاطمة بشيء فوضعتة ، فقال (ع) لها : ادع لي حسنا وحسينا وابن عمك عليا فلما اجتمعوا عنده قال اللهم هؤلاء خاصتي وأهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (٤) وأخذت أم سلمة تلعن أهل الكوفة وتقول : قتلوه قتلهم الله عز وجل ، طروه واذلوه

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٨٥

(٢) امالي الطوسي ٢ / ٢٠٣

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٩

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٣٩

لعنهم الله (١) وكان يغشى عليها من شدة الحزن ، ولم تلبث الا يسيراً حتى توفيت كمدأ وحزنا على الحسين (ع) (٢) .

خولى يحمل رأس الامام :

ولم يكن ابن سعد بالتمثيل بجسم الامام الذي حرمه الاسلام بعد أن صدرت له الأوامر من ابن مرجانة بذلك ، وقد عهد فور استشهاد الامام الى ارسال رأسه مع خولى بن يزيد الاصمحي وحميد بن مسلم الأزدي ، فحملا الرأس الشريف هدية لابن مرجانة كما حمل رأس يحيى بن زكريا الى بغى من بغايا بني اسرائيل ، وقد اقبلا بجذان السير لابلويان على شيء حتى انتهيا إلى الكوفة في الهزيع الأخير من الليل ، فوجدوا باب القصر مغلقاً ، فأخذ خولى رأس الامام وولى مسرعاً الى بيته ليبيشر به زوجته وطرق باب داره طرقة عنيقا ، وهو يلهث من شدة التعب وعظيم الفرح فخرجت إليه زوجته النوار بنت مالك الحضرمي ، وكانت علوية الرأي فأسرعت إليه قائلة :

« ما الخبر ؟ »

« جئت بغنى الدهر ، هذا رأس الحسين معك في الدار »

« وفقدت المرأة اهاها ، وراحت تصيح به :

« وبلك جاء الناس بالفضة والذهب ، وجئت برأس ابن بنت

(١) المعجم الكبير للطبراني

(٢) سير اعلام النبلاء ٢ / ١٤٦

رسول الله ، والله لا يجمع رأسي ورأسك شيء أبدا ، (١) .
وأصبح زوجها من أبيض الناس إليها ، وفي الصباح الباكر حمل
حولى رأس الامام الى ابن زياد فأظهر الفرح والسرور ، وقد تمت - فيما
يحسب - بوارق آماله وأحلامه .

الطاعية مع قاتل الامام :

والتفت ابن زياد الى الجلادين من شرطته الذين حضروا المعركة
فقال لهم :
« أياكم قتله ؟ »
فوثب إليه رجل وهو فرح لعله أن ينال الجائزة منه فقال له :
« أنا قتلته »
« ما قال لك ؟ »
« لما أخذت السلاح قلت له : ابشر بالنار ، قال : ابشر ان شاء الله
تعالى برحمته وشفاعة نبيه » (٢) .
واطرق ابن مرجانة برأسه الى الأرض وهو يشعر بالوخز وخيبة
المصير وسوء المنقلب .

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، وفي العقد الفريد ٢ / ٢٤٢ انها
قالت له : والله لا يجمعني وياك فراش أبدا وفي البداية والنهاية ٨ / ١٩٠
انها قامت من فراشه ، ونظرت الى الاجانة فرأت النور ساطعاً من تلك
الاجانة الى السماء ورأت طيوراً بيضا ترفرف حولها .

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٣٣٤

تشفي ابن زياد برأس الامام :

ولما وضع رأس ربحانة رسول الله (ص) بين يدي الدعبي ابن الدعبي أخذ يعبث بشناياه ساعة من الزمن ، وهو يجرد في ذلك لذة لانعدها لذة ، وهذا على وجهه آثار الحقد الدفين والتشفي الآثم ، فأخذ يضرب بعوده ثنايا الامام وشفتيه التي طالما كان رسول الله (ص) يوسعها تقبيلا يقول القيم بن محمد : ما رأيت منظراً قط افزع من القاء رأس الحسين بين يدي ابن مرجانة وهو ينكسه (١) وكان في مجلسه الصحابي زيد بن ارقم فلما رأى صنعه انهارت قواه وصاح به .

« اعل بهذا القضيبي عن هاتين الشفتين ، فوالذي لا اله الا هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبلهما » .
وانفجر زيد هاكيا وراح ابن زياد يهزأ من الصحابي قائلاً :
« ابكى الله عينيك ، لولا انك شيخ قد حرفت وذعب عقلك
لضربت عنقك »

فانذم الصحابي قائلاً :

« الا احذثك حديثاً هو اغلظ من هذا ، رأيت رسول الله (ص) أقعد حسنا على فخذه اليماني ، وحسينا على فخذه اليسرى ، ووضع يديه على يافوخيهما ، وقال : اللهم اني استودعك اياهما وصالح المؤمنين ، فكيف كانت وديمة رسول الله (ص) عندك يا ابن زياد ؟ »
وخرج زيد غير حافل ببطش ابن مرجانة ، وهو يخاطب اهل الكوفة قائلاً :

« أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وامرتم

(١) امالي الشيخ الطوسي ١ / ١٦١ مخطوط

ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم ، فبُعداً لمن رضي بالذل والعار ، (١) .

ولما فرغ ابن مرجانة من العبث برأس ربحانة رسول الله (ص) التفت الى كاهن كافر فقال له : قم فضع . على رأس عدوك ، ففعل الكاهن ذلك (٢) لقد فعل ابن زياد بآل البيت ما لم يفعله أي كافر على وجه الأرض ، فقد استهان بجميع القيم والمقدسات ، واستباح كل ما حرمه الله :

رجوع القوات المسلحة :

ومكثت القوات المسلحة في كربلا يوم الحادى عشر من المحرم فوارت جيف قتلاها بين مظاهر الاجلال والتعظيم ، وقد فتحت لها كوة من قبح جهنم يؤجج ضرامها ولا يخبو نارها تلمح وجوههم النار وهم فيها كالخون . أما جثة الامام العظيم والجثث الزواكي من أهل بيته واصحابه ، فقد عمدوا الى تركها على صعيد كربلا تسلي عليها الرياح لا مسلمين ولا مكفنين .

وأمر ابن سعد حميد بن بكر الأحمري ، فنادى بالناس الرحيل الى الكوفة (٣) وسارت قوات ابن سعد بعد الزوال من كربلا واعلامها رؤوس العترة الطاهرة التي ثارت من اجل احقاق الحق ، وتوطيد اركان العدل ، وقد حملوا معهم نساء الحسين واخواته ونساء الأصحاب فكان عشرين

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٧) الصراط السوي

في مناقب آل النبي (ص ٨٧) المناقب والمثالب

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٧)

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١

امراة (١) ماعدا الصبية وقد سيروهن على اقتاب الجمال بغير وطاء وساقوهن كما يساق سبي الترك والديلم ، ومروا بهن على جثث القتلى من أهل البيت مبالغة في ايدائهن ، وكان العرب في جاهليتهم الأولى يتجنبون مرور النساء على قتلاهن الا ان جيش ابن سعد لم يلتزم بأي خلق ، ولم تكن عنده أية عاطفة السانية .

ولما نظرت عقائل النبوة الى جثث القتلى من اهل البيت رفعت اصواتهن بالبكاء ، وصاحت حفيدة النبي (ص) زينب (ع) بصوت يلذيب القلوب .
 يا محمداه هذا حسين بالعراء ، مرمل بالدماء ، مقطع الأعضاء ،
 وهنالك سبابا ، وذريتك مقتلة ، (٢)
 ووجم القوم مبهوتين ، وفاضت عيونهم دموعا ، وبكى العدو
 والصديق (٣) .

جزع الامام زين العابدين :

وجزع الامام زين العابدين كأشد ما يكون الجزع حينما رأى جثمان أبيه ، وجثث أهل بيته وأصحابه منبوذة بالعراء لم ينبر أحد الى مواراتها وبصرت به عمته زينب فبادرت إليه مسلية قائلة :
 مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي واخوتي ، فوالله إن هذا لعهد من الله الى جدك وأبيك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات ، انهم يجمعون

(١) مقتل المقيم (ص ٣٧٧)

(٢) خطط المقرئ ٢ / ٢٨٠ ، البداية والنهاية ٨ / ١٩٣

(٣) جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب (ص ١٤٠)

هذه الأعضاء المقطعة ، والجسوم المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف
 هلما لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ، ولا يحى رسمه على كرور
 الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر واشبايع الضلال في محوه وطمسه
 فلا يزداد أثره الا علواً ، (١) .

وازالا حفيذة الرسول (ص) ما ألم بالامام زين العابدين من الجزن
 العميق على عدم مواراة أبيه ، فقد أخبرته بما سمعته من أبيها وأخيها من
 قيام جماعة من المؤمنين بمواراة تلك الجثث الطاهرة ، وسينصب لها علم
 لا يحى أثره ، ويبقى خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها . . . وقد
 جدّ ملوك الأمويين والعباسيين على محوها وازالة آثارها ، وجهدوا للوسهم
 وسخروا جميع امكانياتهم الا انهم لم يفلحوا ، ومضى مرقد الامام شامخاً
 على الدهر ، ومضت ذكراه تملأ رحاب الأرض نوراً وفخراً وشرفاً كاسمى
 صورة تعز بها الانسانية في جميع أدوارها .

مواراة الجثث الطاهرة :

وبقيت جثة الامام العظيم وجثث الشهداء الممجدين من أهل بيته
 واصحابه ملقاة على صعيد كربلا تصهرها الشمس ، وتسفي عليها الرياح ،
 وقد انبرى جماعة من المؤمنين الذين لم يتلوثوا في الاشتراك بحرب ريمانة
 رسول الله (ص) الى مواراتها ، وقد اختلفت المؤرخون في اليوم الذي
 دفنت فيه ، وفيما يلي ذلك .

(١) كامل الزيارات (ص ٢٦١)

١ - يوم الحادي عشر (١)

٢ - يوم الثاني عشر (٢)

٣ - يوم الثالث عشر (٣)

اما الذين حظوا بمواراتها فهم قوم من بني أسد كانوا ينزلون بالقرب من مكان المعركة فحفوا إليها بعد أن نزلت جيوش ابن سعد ، فرؤوا الجثث الزواكي ملقاة بالعراء فأيقنوا انها جثث أهل البيت ، وجثث أصحابهم فعمجوا بالبكاء والهويل ، وصرخت نساؤهم ، وقاموا في هدأة الليل حيث امنوا الرقباء ، فحفروا قبراً لسيد الشهداء ، وقبراً آخر لبقية الشهداء ، وقد حفروها على ضوء القمر حيث كان على وشك التمام ، ولم يطلع القمر على مثلها شرقاً في جميع الاحقاب والآباد .

يقول الشيخ المفيد :

« ولما رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية الى الحسين وأصحابه فصلوا عليهم ، ودفنوا الحسين (ع) حيث قبره الآن ودفنوا ابنة علي بن الحسين الأصغر عند رجليه : وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه - الذين صرعوا حوله - مما يلي رجلي الحسين ، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً . ودفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن ، (٤) .

وتنص بعض المصادر الشيعية على أن بني أسد كانوا متحبرين في

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٧) البداية والنهاية

٨ / ١٨٩ ، المناقب ٥ / ١٣٣ مصور .

(٢) البحار

(٣) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٩٦)

(٤) الارشاد (ص ٢٢٧)

شأن تلك الجثث الزواكي ولم يهتدوا لمعرفتها لأن الرؤوس قد فصلت عنها
وبينما هم كذلك اذ أطل عليهم الامام زين العابدين فأوقفهم على شهداء
أهل البيت وغيرهم من الأصحاب ، وبادر الى حمل جثمان أبيه فواراه في
مثواه الأخير وهو يدرف أحر الدموع قائلاً :

« طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر ، فان الدنيا بعدك مظلمة
والآخرة بنورك مشرقة ، أما الليل فمسهد ، والحزن سرمد أو يختار الله
لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم ، وعليك مني السلام يا بن رسول الله
ورحمة الله وبركاته . »

ورسم على القبر الشريف هذه الكلمات : « هذا قبر الحسين بن
علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً ، ودفن عند رجلي الامام
ولده علي الأكبر ، ودفن بقية الشهداء المجدين من هاشميين وغيرهم في
حفرة واحدة ، وانطلق الامام زين العابدين مع الأسديين الى نهر العلقمي
فواروا قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين ، وجعل الامام يبكي احر
البكاء قائلاً :

« على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم ، وعليك مني السلام من
شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته ، (١) . »

وأصبحت تلك القبور الطاهرة رمزاً للكرامة الانسانية ، ورمزاً لكل
تضحية تقوم على العدل يقول العقاد : « فهي اليوم مزار يطيف به المسلمون
متفقين ومختلفين ومن حقه أن يطيف به كل انسان لأنه عنوان قائم لأقدس
ما يشرف به هذا الحي الآدمي من بين سائر الأحياء
فما اظلت قبة السماء مكاناً لشهيد قط هو اشرف من تلك القباب

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٩٧ - ٣٩٨)

بما حوته من معنى الشهادة وذكرى الشهداء ، (١) .
ويقول يوسف رجيب : « وليس لقبر من قبور أولياء الله الصالحين
البررة غير قبر الحسين هو قبلة الدنيا وكعبة بني الأرض لأن الله شرفه
بجهاد أعدائه الذين اعتزموا طمس الدين الخنيف ، وانتهاك الشريعة ،
والمخاذا الخلالة أمره زمنية استباحوا بها كل محرم يتلذذون بما حرم الله
وحرمته كتبه ، (٢) .

لقد ضمت تلك البهجة المباركة خلاصة الإباء والشرف والدين ،
وقد أصبحت أقدس مراكز العبادة وأفضلها في الإسلام ففي كل وقت
يطيف بها المسلمون متبركين ومتقربين إلى الله ، كما أصبحت مطافاً للملائكة
الله المقربين ، فقد روى الفضل بن يسار عن أبي عبد الله أنه سئل عن
أفضل قبور الشهداء فقال عليه السلام :

« أوليس أفضل الشهداء الحسين بن علي ؟ فو الذي نفسي بيده ان
حول قبره اربعين الف ملك شعناً خُبراً يكون عليه إلى يوم القيامة » (٣) .
ويقول الامام الرضا (ع) : « إن حول قبر الحسين سبعين الف ملك
شعناً خُبراً يكون عليه إلى يوم القيامة » (٤)

وقد حظى مرقد العظيم باستجابة الدعاء عنده فما قصده مكروب
أو ملهوف الا فرج الله عنه مما ألم به يقول الجواهري :

(١) ابو الشهداء

(٢) مجلة الغري السنة الثانية العدد ١٠ ص ٢٢

(٣) مناقب ابن المغازلي ؛ رقم الحديث ٣٩٠

(٤) ذخائر العقبى (ص ١٥١)

تعاليت من مفزع للحتوف وهورك قبرك من مفزع
تلوذ الدهور فمن مسجد على جانبيه ومن ركع (١)
ويقول المؤرخون إن الامام الهادي (ع) ألم به مرض فأمر أبا هاشم
الجعفري أن يبعث له رجلاً إلى الخائر الحسيني ليدعو له بالشفاء ، وقد
سئل عليه السلام عن ذلك فقال : ان الله أحب أن يدعى في هذا
المكان (٢) .

لقد احتل اهل الشهداء المكانة العظمى عند الله تعالى كما احتل قلوب
المسلمين وحظى بأصدق محبتهم فهم يشدون الرحال الى مثواه من كل فج
عميق وفاءً بحقه واعتزازاً بفضله والتماساً لعظيم الأجر الذي كتبه الله
لزائريه ، ويقول (نيكلسون) : وخلال هضع سنوات عن مصرع الحسين
اصبح ضريحه في كربلا محجا تشد إليه الرحال (٣) .

فضل زيارة الحسين :

وتواترت الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بفضل زيارة سيد
الشهداء (ع) وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوبها ، وقد ألف محمد بن
علي العلوي كتاباً يقع في جزئين أسماه « فضل زيارة الحسين » ونلتم
الى بعض تلك الأخبار .

١ - روى أبو حمزة الثمالي قال : سألت علي بن الحسين عن زيارة
الحسين (ع) فقال : « زره كل يوم فان لم تقدر فكل جمعة ، فان لم

(١) ديوان الجواهري ١ / ١٩٤

(٢) كامل الزيارات (ص ٢٢٣)

(٣) تأريخ الأدب العربي

تقدر فكل شهر فمن لم يزره فقد استخف بحق رسول الله (ص) ، (١) .
 ٢ - روى ابو الجارود قال : قال لي ابو جعفر : كم قبر الحسين
 منكم ؟ قال : قلت له : يوم للراكب ويوم وليلة للراجل ، قال : لو كان
 منا كما هو منكم لانخذناه حجرة ، (٢) .
 ٣ - وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال : (مروا شيعتنا
 بزيارة قبر الحسين فان اتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع مدافع
 السوء ، واتيانه مقترض على كل مؤمن يقر له بالامامة من الله ، (٣) .
 والأخبار بذلك كثيرة ، وهي مما تفيد القطع بالصدور عن أئمة أهل
 البيت عليهم السلام .

دعاء الامام الصادق لزوار الحسين :

ودعا الامام الصادق بهذا الدعاء الشريف لزوار قبر جده الحسين
 وقد رواه الثقة معاوية بن وهب وهذا نصه :
 قال : استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقبل لي ادخل فدخلت
 فوجدته في مصلاه ، فجلست حتى قضى صلاته فسمعتة وهو يناجي ربه
 وهو يقول :

« يا من خصنا بالكرامة ، وخصنا بالوصية ، وهدنا بالشفاعة ،
 وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفتدة من الناس تهوي إلينا ، اغفر لي
 ولاخواني ، ولزوار قبر أبي الحسين (ع) الذين انفقوا أموالهم واشخصوا

(١) فضل زيارة الحسين ١٤/١ من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين

(٢) فضل زيارة الحسين ١ / ١٧

(٣) وسائل الشيعة ١٠ / ٣٢١

ابدانهم رغبة في برنا ، ورجاءاً لما عندك في صلتنا ، وسروراً ادخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله واجابة منهم لأمرنا ، وغيظاً ادخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك ، فكافهم عنا بالرضوان واكلاهم بالليل والنهار واخلف على آهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف ، واعطهم أفضل ما أملوا منك في هربتهم عن أوطانهم ، وما آثرونا به على ابنائهم وأهاليهم واقربائهم .

اللهم : ان اعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم يمنعمهم ذلك عن الشخوص إلينا ، وخلافاً منهم على من خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس ، وارحم تلك الحدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله ، وارحم تلك العين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا .

اللهم : إني استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى توافيهم على الحوض يوم العطش ، فما زال وهو ساجد يدعو الله بهذا الدعاء فلما انصرف قلت :

« جعلت فداك لو ان هذا الذي سمعت كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً ، والله لقد تمنيت أن كنت زره ولم احج . »

فقال عليه السلام :

« ما أقربك منه فماذا الذي يمنحك من زيارته ؟ لم تدع ذلك ؟ »

« لم ادر أن الأمر يبلغ هذا كله »

« يا معاوية من يدعو لزواره في السماء اكثر ممن يدعو لهم في الأرض

يا معاوية لا تدعه فمن تركه رأى من الحسرة ما يتمنى ان قبره كان عنده

أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (ص)
وعلي وفاطمة والأئمة ، أما تحب أن تكون غداً ممن تصافحه الملائكة
أما تحب أن تكون غداً فيمن يخرج وليس له ذنب فيتبع به ، أما تحب
أن تكون غداً ممن يصافح رسول الله (ص) (١) .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن مصرع الامام العظيم لمستقبل سببا أهل
البيت في الكوفة .

سَيِّدَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ

فِي الْكُوفَةِ

واستقبلت الكوفة سبأيا آل البيت (ع) بمزيد من الفرح والاضطراب
وخيم عليها الذك والهوان ، فقد كمت الأفواه ، وأخرست الألسن ، ولم
يستطع أحد أن يظهر مافي دخائل نفسه من الأسى الشديد خوفاً من السلطة
العاتية التي استهالت بارواح الناس وكراماتهم .

وعزفت أبواق الجيش وخطقت راياتهم ، وقد رفعوا على الحراب
رؤوس العترة الطاهرة ، ومعهم الأسرى من عقائل النبوة وجرائر الوحي
وقد ربطوا بالحبال ، وقد وصف ذلك المنظر الرهيب مسلم الجصاص
يقول : دعاني ابن زياد لاصلاح دار الامارة بالكوفة فبينما أنا اجصص
الأبواب واذا بالزعقات فد ارتفعت من جميع الكوفة فاقبلت على أحد
لخدام القصر فقلت له :

« مالي أرى الكوفة تضج ،

« الساعة يأتون برأس خارجي خرج على يزيد ،

« من هذا الخارجى ؟ »

« الحسين بن علي ،

« يقول : فتركت الخادم حتى خرج واخذت الطم على وجهي حتى
خشيت على عيني أن تذهب ، وغسلت يدي من الجص ، ومخرجت من
القصر حتى أتيت الى الكناس فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول
السبأيا والرؤوس اذ اقبل أربعون جملا تحمل النساء والاطفال ، واذا بعلي
ابن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً ، وهويبيكي ويقول :

يا أمة السوء لا سقيا لربكم يا أمة لم تراع جدنا فينا

لو اننسا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا

نسيرونا على الاقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم دينا (١)

(١) مقتل الحسين لعبد الله نور الله مخطوط

ويقول جلد بن بشير : قدمت الكوفة سنة (٥٦١ هـ) عند مجيء علي ابن الحسين من كربلا الى الكوفة ومعه النسوة وقد أحاطت بهم الجنود وقد خرج الناس للنظر إليهم وكانوا على جمال بغير وطاء فجعلت نساء أهل الكوفة يبكين ويندن ، ورأيت علي بن الحسين قد انهكته العلة ، وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة الى عنقه (١) ، وهو يقول بصوت ضعيف : ان هؤلاء سيكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا ؟ (٢) والبرت احدى سيدات الكوفة فسألت احدى السبايا وقالت لها :

« من أي الأسارى أنتن ؟ »

« نحن أسارى أهل البيت »

ولما سمعت بذلك المرأة صرخت ، وصرخت النسوة التي معها ، ودوى صراخهن في ارجاء الكوفة ، وبادرت المرأة فجمعت مافي بيتها من ازر ومقانع فجعلت تناولها الى العلويات ليتسترن بها عن أعين الناس (٣) كما هادرت سيدة أخرى فجاءت بطعام وتمر وأخذت تلقيه على الصبية التي أضناها الجوع .

ونادت السيدة أم كلثوم من خلف الركب :

« ان الصدقة حرام علينا أهل البيت »

ولما سمعت الصبية مقالة العقيلة رمى كل واحد منهم مافي يده أو فمه

من الطعام وراح يقول لصاحبه : إن عمي تقول :

« إن الصدقة حرام علينا أهل البيت »

(١) امالي الشيخ المفيد (ص ١٤٣) مخطوط

(٢) (٣) مقتل الحسين لعبد الله

خطاب السيدة زينب :

وحينما رأت السيدة زينب (ع) حفيده الرسول (ص) وشقيقة الامام
الجشود الزاخرة التي ملأت شوارع الكوفة وأزقتها ، اندفعت الى الخطابة
لبلورة الموقف ، واطهار المصيبة الكبرى التي جرت على أهل البيت وتحميل
الكوفيين مسؤولية هذه الجريمة النكراء ، فهم الذين نقضوا العهد ، وخاسوا
بالدمة ، فقتلوا ريحانة رسول الله (ص) ثم عادوا بعد قتله ينوحون
ويبكون كأنهم لم يفتروا هذا الاثم العظيم ، وهذا نص خطابها :

الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله (ص) وعلى آله
الطاهرين الأخيار ، أما بعد : يا أهل الكوفة يا أهل الختل والخلل (١)
أبيكون ؟ ! فلا رقأت لكم دمة (٢) انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم الا بهنس ما قدمت لكم
انفسكم ان مسخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون .

أبيكون وتنتحبون ! ! أي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ،
كل ذلك بانتهاكم حرمة ابن خاتم الأنبياء ، وسيد شباب أهل الجنة ،
وملاذ حضرتمكم ، ومفزع نازلتكم ، ومنار حجتمكم ومدرة سلتكم الا ساء
ما تزررون ، وبُعداً لكم ، ومسحقا ، فلقد خاب السعي ، ونبت الأيدي
وخسرت الصفقة وتوليتم بغضب الله ، وضربت عليكم الدلاة والمسكنة .

أندرون وبلدكم يا أهل الكوفة ؟ أي كبد لرسول الله (ص) فريتم
وأي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم ؟ لقد جثتم شيئاً ادا تكاد
السموات يتفطرون منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدأ ! !

(١) وفي نسخة : الغدر

(٢) وفي نسخة : فلا رقأت الدمة ولا هدأت الرنة

لقد جئتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض ، وملء السماء ، أفعجبتهم
ان مطرت السماء دما ولعذاب الآخرة أخزى ، وهم لا ينصرون فلا
يستخفونكم المهمل فانه لا يحفره البدار ، ولا يخاف فوت النار وان ربكم
ليالمرصاد . . . (١) .

لقد قرعتهم بطله كربلا ، بمنطق الصدق وصوت الحق ، ودلتهم
على نفوسهم الخبيثة ، فلم تنخدع بدموعهم الكاذبة ، ولم ينطل عليها زورهم
وبهتانهم ، ونعت عليهم جريمتهم النكراء التي هي أشم جريمة وقعت في
الأرض . . . وقد وصفتهم بأخس الصفات التي توصف بها احط الشعوب
فقد وصفتهم بالختل والغدر ، وهما مصدران لانحطاط الانسان وشقائه .
وعلقت سلام الله عليها على بكائهم فقالت : ان من حقهم أن يبكوا
كثيراً ويضحكوا قليلا على عظيم ما اقترفوه من الأثم ، فقد قتلوا سيد
شباب أهل الجنة وسليل خاتم النبوة ، والمنقلد والمحرر لهم ، وفروا كبد
رسول الله (ص) وانتهكوا حرمة ، وسبوا عياله ، فأى جريمة أشم أو
افظع من هذه الجريمة ؟

صدي الخطاب :

واضطرب الناس من خطاب سليمة النبوة وايقنوا بالهلاك ، وقد
وصف خزيمة الأسدي مدى الأثر البالغ الذي أحدثه خطاب العقيلة يقول :
لم أر والله خفرة انطق منها كأنما تفرغ عن لسان الامام امير المؤمنين
ورأيت الناس بعد خطابها حيارى واضعي أيديهم على افواههم ، ورأيت

(١) مقتسل الحسين للمقرم (ص ٣٨٧) نور الابصار للشبلنجي

(ص ١٦٧) .

شيخا قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول : يا بني أنتم وأمي
كحولكم خير الكحول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزي
أبدأ (١) إلا ان الامام زين العابدين قطع على عمته خطابها قائلا :
« اسكتي يا عمه ، فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة ، وفهمة غير
مفهمة . » (٢) .

فأسكتت عن الكلام ، وتركتم المجتمع يمور بالأسى والحزن .

خطاب السيدة فاطمة :

وانبرت الى الخطابة فاطمة بنت الامام الحسين (ع) فخطبت ابلاغ
خطاب واروعه ، وكانت طفلة ، فبهز الناس ببلاغتها وفصاحتها وقد
أخذت بمجامع القلوب وتركتم الناس حيارى قد بلغ بهم الحزن إلى
قرار سحيق فقالت :

« الحمد لله عدد الرمل والحصى ، وزنة العرش الى الثرى ، أحده
وأومن به ، وأتوكل عليه ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمداً عبده ورسوله . . وان اولاده ذبحوا بشط اللغات ، من غير
ذحل ولا تراث .

اللهم إنني أعوذ بك أن افتري عليك ، وان اقول عليك خلاف
ما أنزلت من اخذ اليهود والوصية لعلي بن أبي طالب ، المغلوب حقه ،
المقتول من غير ذنب - كما قتل ولده بالأمس - في بيت من بيوت الله
تعالى ، فيه معشر مسلمة بألسنتهم ، تعسا لرؤوسهم ، ما دفعت عنه ضيما

(١) نور الابصار (ص ١٧٦) الدر التنظيم (ص ١٧٢)

(٢) احتجاج الطبرسي

في حياته ، ولا عند مماته ، حتى قبضه الله تعالى إليه محمود النقية ، طيب العريكة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم تأخذه في الله سبحانه لومة لائم ، ولا عدل عاذل ، هديته اللهم للاسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولم يزل ناصحاً لك ، ولرسولك ، زاهداً في الدنيا ، غير حريص عليها ، راهباً في الآخرة ، مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فاخترته وهديته الى صراط مستقيم .

أما بعد : يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، فإنا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاككم بنا ، فجعل بلادنا حسناً ، وجعل علمه عندنا وفهمه لديننا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه ، وحكمته وحجته على الأرض في بلاده لعباده ، اكرمنا الله بكرامته ، وفضلنا بنبيه محمد (ص) على كثير من خلق الله تفضيلاً . . . فكلدهتمونا وكفرتموننا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ودمواننا نهياً ، كأننا أولاد ترك أو كاهل ، كما قتلتم جدنا بالأمس . . . وسيفوكم تقطر من دماننا أهل البيت ، لحقد متقدم ، قرت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم اقتراءً على الله ، ومكراً مكرتم ، والله خير الماكرين ، فلا تدعونكم انفسكم الى الجدل بما أصبتم من دماننا ، ونالت أيديكم من أموالنا فان ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور .

تبا لكم فانظروا لعنة والعداب ، فكأن قد حل بكم ، وتواترت من السماء نقات ، فبسحتكم بهداب ، ويلدق بعضكم بأس بعض ، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتونا ألا لعنة الله على الظالمين .
ويلكم ألدرون أية يد طاعتنا منكم ، واية نلس نزعنا الى قتالنا ، أم بأية رجل مشيتم إلينا ، تبغون محاربتنا ، فست قلوبكم ، وغلظت أكبادكم

وطبع الله على افتدتكم ، وختم على سمعكم وبصركم ، وسول لكم الشيطان
واملى لكم ، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون .
تباً لكم يا أهل الكوفة أي تراث لرسول الله قبلكم ، وذحول له
لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب جدي وهذيه ، وعترته الطيبين
الأخيار ، وافتخر بذلك مفتخركم :

قد قتلنا عليكم وهنيه بسيف هندية ورماح
وسيينا نساءهم سبي ترك ونطخناهم فأبي نطاح
بليك أيها القاتل الكئيب والآئيب (١) افتخرت بمقتل قوم زكاهم الله
وطهرهم واذهب عنهم الرجس ، فاكظم واقمي كما أقمى أبوك فالما لكل
امرى ما اكتسب وما قدمت يداه .

حسدتمونا ويلا لكم على ما فضلنا الله تعالى ، ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من
نور . . . (٢) .

وتحدثت سائلة النبوة والامامة في خطابها العظيم عن أمور بالغة
الاهمية وهي :

١ - انها عرضت لمحبة جدها الامام امير المؤمنين رائد الحق والعدالة
في الأرض ، وما عاناه من الحن والمصاعب حتى استشهد في بيت من بيوت
الله ، ولم يدفع عنه المجتمع الكوفي ولم يقف إلى جالبيه وإنما تركوه
وحده بصارع الاحوال حتى قبضه الله إليه وهو جرم المناقب ، محمود النقيبة
طيب العريكة ، قد اصطفاه الله ، وخصه بالفضائل والمواهب .

(١) الكئيب : التراب ، الآئيب : فتات الحجارة والتراب
(٢) اللهوف لابن طاووس ، ومثير الأحران لابن نما ، مقتل الحسين

لعبد الله .

٢ - وتحدثت عن محنة أهل البيت ، بذلك المجتمع ، فانهم سلام الله عليهم بحكم قيادتهم الروحية للأمة ، فانهم مسؤولون عن حمايتها ، ولكن الأمة قد جانبت الحق ، فسفكت دماءهم وانتهكت حرمتهم فما اجل رزيتهم واعظم هلاهم .

٣ - شجيت الاعتداء الصارخ على أهل البيت ، ووصلت المعتدين القساة بأبشع الصفات ، ودعت الله أن ينزل عليهم نقمته وعذابه الأليم .

صدي الخطاب :

وآثر الخطاب تأثيراً بالغاً في نفوس المجتمع فقد وجلت منه القلوب وفاضت العيون ، والدفع الناس يبكاء قائلين :
(حسبك يا هنة الطاهرين ، فقد أحرقت قلوبنا ، وانضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا ، (١) .
وأمسكت عن الكلام وتركت الجماهير في محنتها وشذائها تصعد الآهات وتبدي الجسرات وتندب حظها التemis على عظيم ما اقترفت من الاثم .

خطاب السيدة ام كلثوم :

وانبرت حفيذة الرسول (ص) السيدة أم كلثوم إلى الخطابة فأومأت إلى الناس بالسكوت فلما سكنت الأنفاس بدأت بحمد الله والثناء عليه ثم قالت :

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٣٩٢)

« مه يا أهل الكوفة . تقتلنا رجالكم ، وتبكيونا نساؤكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب .

يا أهل الكوفة سوأة لكم ، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله ، وسبيتم نساءه ونكبتموه فتبا لكم وسحقاً . ويلكم اندرون أي دواه دهمتكم ، وأي وزر على ظهوركم حملتم ۱۱ وأي دماء سفكتم ، وأي كريمة اصبتموها ، وأي صببية اسلمتموها ، وأي أموال انتهبتموها ، قتلتم خير الرجال بعد النبي (ص) ونزعت الرحمة من قلوبكم الا ان حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان هم الخاسرون .

واضطرب المجتمع من خطابها فنشرت النساء شعورهن ولطمن الخدود ولم ير اكثر هالك ولا هاكمية مثل ذلك اليوم (۱) :

خطاب الامام زين العابدين :

وانبرى إلى الخطابة الامام زين العابدين فقال بعد حمد الله والثناء عليه :
« أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتهكت حرمة ، وسلبت نعمته ، وانتهب ماله ، وسبى عياله ، انا ابن المدبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات أنا ابن من قتل صبراً وكلني بذلك فخراً .

أيها الناس ناشدكم الله هل تعلمون أنكم كتبتهم الى أبي وخذعتموه ، واعطيتموه من انفسكم العهود والميثاق والبيعة وقائلتموه ، فتباً لكم لما قدمتم لانفسكم وسوأة لرايكم ، بأية عين تنظرون الى رسول الله ؟ إذ يقول لكم :

(۱) اللهوف لابن طاووس ، ويذهب السيد المقرم وغيره الى أن

السيدة أم كلثوم هي العقيلة زينب (ع) .

قتلتم هترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي ، .
وعلت الأصوات بالبكاء ، ونادى مباد منهم
« هلكتم وما تعلمون »
واستمر الامام في خطابه فقال :
« رحم الله امرأاً قبل نصيحتي وحلظ وصيتي في الله وفي رسوله
وأهل بيته ، فان لنا في رسول الله (ص) اسوة حسنة » .
فهتفوا جميعاً قائلين بلسان واحد :
« نحن يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون للامامك ، غير
زاهدين فيك ولا راهبين عنك ، فمرنا بأمرك يرحمك الله ، فانا حرب
لحربك ، وسلم لسلمك نبراً ممن ظلمك وظلمنا » :
ورد الامام عليهم هذا الولا الكاذب قائلاً :
« هيهات ، هيهات ، اينها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات
الفسكم ، اتريدون ان تأتوا إلي كما اتيتم إلى ابي من قبل ، كلا ورب
الراقصات ، فان الجرح لما يندمل ، قتل ابي بالأمس واهل بيته ، ولم
ينس نكل رسول الله (ص) وثكل ابي ربي ابي ، إن وجدته والله لبين طاتي
ومرراته بين حناجري وحلقي وخصه تجري في فراش صدري ، (١) .
وأمسك الامام عن الكلام معرضاً عن اولئك الغدرة الفجرة الذين
سودوا وجه التاريخ بتناقضهم في سلوكهم فقتلوا الامام ثم راحوا
يكون عليه .

(١) مشير الأحران لابن نما ، واللهوف

في مجلس ابن زياد :

وادخلت بنات رسول الله (ص) وهن في اسر الذل على ابن مرجانة
سليل الارجاس والخيانة وهو في قصر الامارة وقد امتلأ القصر بالسفكة المجرمين
من جنوده وهم يهشون بالظفر ويحدثونه ببطولاتهم المفتعلة في يوم الطف
وهو جلدان مسرور بهز اعطافه فرحا ، وبين يديه رأس ريحانة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل الخبيث يعبث به وينكته بمخصرته وهو
يقول متشمتاً :

« ما رأيت مثل هذا الوجه قط ! ! »

ولم يته كلامه حتى سدد له الصحابي انس بن مالك سهماً من
منطقه فقال له :

« انه كان يشبه النبي » (١)

والتابع الخبيث من كلامه ، وكان في المجلس رجل من بكر بن وائل
يقال له جابر فانتفض وهو يقول :

« لله علي ان لا اصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك الا خرجت
معهم » (٢) .

الطاعية مع عقيلة الوحي :

ولما روى ابن مرجانة احقاده من رأس الامام التفت الى عائلة الحسين
فرأى امرأة منحازة في ناحية من مجلسه وعليها اردل الثياب وقد حفت

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٨)

بها المهابة والجلال مما حمل ابن زياد على السؤال عنها فقال :
« من هذه التي انحازت ناحية ومعها لساؤها ؟ »
فأعرضت عنه ، وكرر السؤال مرتين فلم تجبه استهانة به واحتقاراً
لشأنه ، فأنبرت إحدى السيدات فقالت له :
« هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (ص) » .
فالتاع الحبيث الدنس من احتقارها له واندفع يظهر شماته بلسانه
الألسن قائلاً :

« الحمد لله الذي فضحك وقتلكم ، واطل احدثونكم ،
فتارت حفيده الرسول (ص) بشجاعة محتقرة ذلك الوضر الحبيث
وصاحت به :

« الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه ، وطهرنا من الرجس تطهيراً ، إنما
يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا يا ابن مرجانة » (١) ،
لقد قالت هذا القول الصارم وهي والخفرات من آل محمد (ص)
في قيد الأسر وقد نصبت فوق رؤوسهن حراب الفاتحين ، وشهرت عليهن
سيوف الشامتين . . وقد انزلت الطاغية من عرشه الى قبره ، واطاحت
بغلوائه ، وعرفته أمام خدمه وأتباعه أنه المفتضح والمنهزم . . فقال ابن
مرجانة متشفياً بأحط وأخس ما يكون التشفي :

« كيف رأيت فعل الله بأخيك ؟ »
وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات الظفر
والنصر لها ولأسرتها قائلة :

« ما رأيت الا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى
مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحتاج وتخاصم فالظر لمن الفلج

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٣

بومئذ تكلمتكم امك يا بن مرجانة » :

وفقد الحقير اهابه من هذا التبيكيت الموجه ، والتعريض المقذع ،
وتميز غيظاً وغضباً ، وهممٌ أن ينزل بها عقوبته فنهاه عمرو بن حريث ،
وقال له : الها امرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها ، فالتفت اليها قائلاً :
« لقد شفى الله قلبي من طاغيتك ، والعصاة المردة من أهل بيتك ،
وغلب على العقيلة الحزن والأسى من هذا التشفي ، والجرأة عليها ،
وقد تذكرت الصفوة الأبطال من أهل بيتها الذين سقطوا في ميادين الجهاد
فادركتها لوعة الاسى فقالت :

« لعمرى لقد قتلت كهلي وأبدت أهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثت
أصلي فان يشلك هذا فقد اشتلتيت »

وتهافت ابن مرجانة وسكن غيظه وراح يقول :

« هذه سجاعة . لعمرى لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً »

فردت عليه زينب : ان لي عن السجاعة لشغلا ما للمرأة والسجاعة (١)
ما الأم هذه الحياة وما اخسها التي جعلت ربيبة الوحي أسيرة عند
ابن مرجانة وهو يباليغ في احتقارها وتوهينها .
ان كان عندك يا زمان بقية مما يضم به الكرام فهاها

الطاغية مع زين العابدين :

وادار الطاغية بصره في بقية آل البيت (ع) فرأى الامام زين العابدين
وقد انهكتته العلة فسأله :

« من انت ؟ »

(١) المنتظم ٥ / ٩٨

« علي بن الحسين »
« أولم يقتل الله علي بن الحسين ؟ »
فأجابه الامام بأناة :
« كان لي أخ يسمى علياً قتلتموه ، وان له منكم مطالباً يوم
القيامة » (١) .

فثار ابن زياد في وقاحة وصلف وصاح بالامام :
« الله قتله »
فأجابه الامام بكل شجاعة وثبات :
« الله يتوفى الأنفس حين موتها ، وما كان لنفس أن تموت إلا
بإذن الله » .

ودارت الأرض باهن زياد ، واخذته عزة الاثم فقد غاظه أن يتكلم
هكذا الغلام الأسير بهذه الطلاقة وقوة الحججة ، والاستشهاد بالقرآن ،
فصاح به .

« وبك جرأة على رد جوابي ! ! وفيك بقية للرد علي ! ! »
وصاح الرجس الخبيث بأحد جلاديه :
« خذ هذا الغلام ، واضرب عنقه »
وطاشت احلام السيدة زينب ، والنبرت بشجاعة لا يرهبها سلطان
فأخذت الامام فاعتنقته وقالت لابن مرجانة :
« حسبك يا ابن زياد من دماننا ما سفكت ، وهل ابقيت احداً غير
هذا ، فان أردت قتله فاقتلني معه » .
وانخلد الطاغية ، وقال متعجباً :

(١) الحدائق الوردية ١ / ١٢٨

« دعوه لها ، يا للرحم وادت أنها تقتل معه » (١) .
ولولا موقف العقيلة لذهبت البقيسة من نسل الامام الحسين (ع)
التي هي مصدر الخير والفضيلة في الأرض ، وروى الجاحظ ان ابن مرجانة
قال لاصحابه في علي بن الحسين :
« دعوني اقتله فانه بقية هذا النسل - يعني نسل الحسين - فاحسم به
هذا القرن ، واميت به هذا الداء ، واقطع به هذه المادة » (٢) .
الا انهم اشاروا عليه بعدم التعرض له ، معتقدين أن ما ألم به من
الأمراض سوف تقضي عليه وقد انجاه الله منهم بأصحوبة .

ثورة ابن عفيف :

وتخدرت جماهير الكوفة تحت ضغط هائل من الارهاب والعنف ،
حتى تغيرت الأوضاع العامة تغيراً كلياً ، فلم تعد الكوفة كما كانت مسرحاً
للتيارات السياسية ، ومركزاً للجبهة المعارضة ، فقد قبعت بالذل ، والهوان
وسرت في اوردها اوبئة الخوف .
من يستطيع ان يتكلم والجو ملبد بالخاوف ، فرأس زعيم الأمة
وقائدها الأعلى على الحراب ، وعقائل الرسالة سباباً في المصر ، فلم يعد
في مقدور اي احد ان يتلفظ بحرف واحد فكمت الأفواه ، واخرست
الأسنن وملئت السجون بالرؤوس والضروس ، واستسلم الجميع لحكم ابن
مرجانة ، وقد جاء الطاغية مزهواً الى الجامع الأعظم حيث عقد فيه اجتماعاً
عاماً حضرته القوات المسلحة وسائر ابناء الشعب فاعتلى المنبر مظهراً فرحته

(١) تاريخ ابن الاثير ٢٧/٣

(٢) رسائل الجاحظ

الكبرى بهذا النصر الكاذب ، فقال - ويا لهول ما قال - :
 الحمد لله الذي اظهر الحق وأهله ، ونصر امير المؤمنين يزيد
 وحزبه ، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته .
 لقد قال هذه الكلمات في مجتمع عرف عدله علي وصدقته وخبر سيره
 ولده الامام الحسين فرآها مشرقة بالحق والصدق ، ولو قال ذلك في الشام
 أو في اقليم آخر لعل له وجهاً الا انه قال ذلك في الكوفة التي هي عاصمة
 اهل البيت . ولم يتم الخبيث كلماته حتى البرى إليه البطل الثائر عبد الله
 ابن عفيف الأزدي الغامدي ، وكان ضريراً ذهب احدى عينيه يوم الجمل
 والأخرى بصيرة مع الامام امير المؤمنين وكان لا يفارق المسجد يتعبد فيه
 فصاح فيه :

« يا ابن مرجانة الكذاب ابن الكذاب انت وابوك ، والذي ولاك
 واهوه ، يا ابن مرجانة ، اتقتلون اولاد النبيين وتكلمون بكلام الصديقين » (١)
 وطاش لب الطاغية فقد كانت هذه الكلمات كالصاعقة على رأسه
 فصاح بأعلى صوته كالكلب المسعور :

« من هذا المتكلم »

« أنا المتكلم يا عدو الله اتقتلون الدرية الطاهرة التي اذهب الله عنهم
 الرجس ، وتزعم انك على دين الاسلام ، واغوثاه ابن اولاد المهاجرين
 والانصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد رسول
 رب العالمين » .

وتبدد جبروت الطاغية ، وذهبت نشوة افراحه ، وهلا الضمجيج
 وتنتظلم الناس من جميع جنبات المسجد لتتنظر الى القائل الذي نرجم ما في

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١

عواطفهم فقد كانت هذه الصبيحة اول رد علمي على السلطة في قتلها
لريحالة الرسول .

وصاح ابن زياد بعنف ، وقد امتلأ غضبا
« علي هـ »

فبادرت اليه الجلاوزة لتختطفه ، فنادى ابن عفيف بشعار امرته .
« يا مبرور »

وكان في المجلس من الأزد سبع مائة ، فوثبوا إليه ، والقده من
أيدي الجلاوزة وجاؤا به الى منزله (١) ، وقال له عبد الرحمن بن مخنف
الأزدي مندداً به :

« ويح هيرك لمد اهلك نفسك وعشيرتك » (٢)

والتاع ابن زياد ، واضطرب ، فقد فتح عليه عبد الله هاب المعارضة
واطاح بهيبة الحكم ، ثم نزل من المنبر منضبا ودخل القصر وتسابق الاشراف
والعرفاء اليه فقال :

« اما رأيتم ما صنع هؤلاء »

« نعم »

واصدر اوامره الى اهل اليمن ، والى من كان معه بالقاء القبض على
ابن عفيف ، وأشار عليه عمرو بن الحجاج بحبس كل من كان في المسجد
من الأزد فحبسوا ، ثم التحم اهل اليمن مع الأزد التحاما شديدا ، وجرت
بينهم اعنف الممارك ، فقال ابن زياد لبعض شرطه انطلق ، والظر ما بينهم
فخف اليهم فرأى الحرب قائمة ، فقالوا له :

(١) انساب الاشراف ج ١ ق ١

(٢) رياض الاحزان (ص ٥٧)

« قل للأمير : إنك لم تبعثنا الى لبط الجزيرة ، ولا جرامة الموصل
انما بعثتنا الى الأردن اسود الأجم ليسوا بيضمة تحس ، ولا حرملة (١)
توطاً . . . » .

وقتل من الازد عبد الله بن حوزة الوالبي ، ومحمد بن حبيب ،
وكثر القتلى من الجانبين الا ان اليمانية قد قويت على الأزد فصاروا الى
حصن في ظهر دار ابن عفيف فكسروه ، واقتحموه ، وهجموا عليه
فبقى وحده فناولته ابنته سيفاً فجعل يذب به عن نفسه (٢) وهو يرتجز
ويقول :

انا ابن ذي الفضل العفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جندلته مفاور
وكانت ابنته تخاطبه بلذب روحها قائلة :

« ليتني كنت رجلاً اذب بين يديك هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة ،
واخذت ابنته تدله على المحاربين له فتقول له : « يا ايت اناك القوم
من جهة كذا » وتكاثروا عليه ، واحاطوا به من كل جانب ، فألقوا
القبض عليه ، وانطلقوا به الى ابن زياد وهو يقول في طريقه :

أقسم لو يفسح لي عن بصري شق عليكم موردي ومصدري (٣)

ولما مثل بين يدي الطاغية امرع الخبيث إليه قائلاً :

« الحمد لله الذي أخزأك »

فاجابه ابن عفيف ساخراً منه ومحتقراً له

« بماذا أخزاني ؟ »

(١) الحرملة : نبات حبه كالسمسم

(٢) (٣) انساب الاشراف ج ١ ق ١

واراد ابن مرجانة ان يستحل دمه فسأله عن عثمان لعله أن ينتقصه
فيتخذ من ذلك وسيلة الى اباحة دمه فقال له :

« ما تقول في عثمان ؟ »

وسدد له البطل العظيم سهاما من منطقه الفياض فقال له :
« ما أنت وعثمان أساء ام احسن ، اصليح ام افسد ، ان الله تعالى
ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق ، ولكن ساني عن أبيك
وعنك ، وعن يزيد وأبيه . »

ورأى الطاهية أنه امام يظل صعب المراس ، فقال له :

« لا سألتك عن شيء ، اوتذوق الموت غصة بعد غصة ، »

وانبرى إليه ابن عفيف قائلا :

« الحمد لله رب العالمين ، أما اني كنت اسأل ربي أن يرزقني
الشهادة من قبل ان تلدك امك ، وسألت الله ان يجعلها على يدي العن
خلقه ، وابغضهم إليه ، ولما كف بصري بثست من الشهادة أما الآن
والحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس ، وعرفني الاجابة في قديم دعائي » (١) .
والتاع الحبيث فأمر جلاديه بضرب عنقه ، وصلبه بالسبخة ففعلوا
ذلك (٢) .

وانتهت حياة هذا البطل العظيم الذي وهب حياته لله ، فقاوم المنكر
وناهض الجور ، وقال كلمة الحق في احلك الظروف واقساما .

(١) اللهوف (ص ٩٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٥٣

(٢) انساب الأشراف ج ١ ق ١

العفو عن ابن معقل :

كان ابن معقل من المشتركين في ثورة ابن عفيف ، فجيء به
مخفوراً الى ابن زياد فاصدر امرأ بالعلو عنه ، وقال له : قد تركناك
لاين عمك سفين بن عوف فانه خير منك (١) .

اللقاء القبض على جندب :

وامر الطاغية باللقاء القبض على جندب بن عبد الله الأزدي ، وهو
من اسرة عبد الله بن عفيف وكان من خيار الشيعة ومن اصحاب الامام
امير المؤمنين وجاءت به الشرطة مخفوراً فلما مثلُ عنده صاح به .

« الست صاحب أبي تراب في صلين ؟ »

فلم يحلل به البطل العظيم وقال له :

« نعم ، واني لأحبه ، وافتخر به ، وامتكتك واباك ، لاصيماً الآن ،
وقد قتلت سبط رسول الله وصحبه واهله ، ولم تخف من العزيز الجبار
المنتقم . » .

وثار ابن مرجانة ، وقال له :

« لانك لأقل حياءً من ذلك الأعمى - يعني ابن عفيف - ولاني
ما اراني الا متقرباً الى الله بدمك » .

« إذأ لا يقربك الله »

(١) انساب الاشراف ج ١ ق ١

وخاف الطاغية من أسرته فخلى عنه ، وقال : إنه شيخ ذهب عقله
وخرف (١) .

الطاغية مع قيس :

وحضر قيس بن عباد في مجلس الطاغية ، فقال له أمام جلاوزته :
« ما تقول في وفي الحسين ؟ »
« اعفني . . »
« لتقولان »
« يجيء أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويجيء أبوك فيشفع لك ،
واستشاط ابن زياد غضباً فصاح به :
« قد علمت ههنا وخبتك ، لئن فارقتني يوماً لأضعن بالأرض
أكثرك شعراً » (٢) .

وفرض عليه الرقابة والاقامة الجبرية في الكوفة

تقوير الرأس الشريف :

وأمر سليل الخيانة والغدر ابن مرجانة بتقوير رأس الامام (ع)

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ١٩٧ ، وجاء في وفيات الأعيان
٥ / ٣٩٥ ان عبيد الله بن زياد قال لحارثة بن بدر العدواني : ما تقول
في وفي الحسين يوم القيامة ؟ قال : يشفع له أبوه وجده ، ويشفع لك
أبوك وجدك فأعرف من هنا ما تريد .

فتحماماه الناس ، ولم يجسر أحد الى الاقدام عليه سوى طارق بن مبارك (١)
فاخذ الرأس الشريف ومثل به وقطع منه بعض الأجزاء فقام عمرو بن
حريث فقال لابن زياد .

« قد بلغت حاجتك من هذا الرأس ، فهب لي ما القيت منه » .

« وما تصنع به ؟ »

« اواريه »

فسمح له بذلك فاخذ القطع من رأس الامام وللمها في خارقة ودفنها
في داره التي تعرف بدار عمرو بن حريث (٢) .

الطواف بالرأس العظيم :

وأمر ابن مرجانة أن يطاف برأس الامام في جميع شوارع الكوفة
وازقتها (٣) وكان المناادي ينادي « قتل الكذاب ابن الكذاب » (٤)
وقد أراد بذلك اعلان النصر واذلال شيعة الامام ، ولم يدر في خلداه الله
قد أوسع المجال بذلك لنشر دعوة الامام واتمام رسالته فقد كان رأس
الامام يوحى للمسلمين كيف يجب أن تملو كلمة الحق ، وكيف تصان
رسالة الاسلام :

(١) طارق بن مبارك : جسد أبي علي كاتب عهد الله بن خاقان

وزير المتوكل .

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان (ص ٩٧) مرآة الجنان ١ / ١٣٥

(٣) الدر التنظيم (ص ١٧) مقتل الحسين لعبد الله

(٤) التأريخ السياسي للدولة العربية ٢ / ٧٦

وعلى أي حال فقد طيف برأس ریحانة رسول الله (ص) أمام أولئك الذين يدعون الاسلام ولم يهبوا للأخذ بثأره يقول دهبيل الخزاعي :
 رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال على قنائة برفم
 والمسلمون بمنظر وبمسمع لا جازع من ذا ولا متخشم
 لقد تخدر المسلمون بشكل رهيب ففقدوا ذاتياتهم ، واصبحوا اعصابها
 رخوة نخالية من الشعور والاحساس :

حبس عقائل الوحي :

وأمر الطاغية ابن مرجانة بحبس عقائل الوحي ومخدرات الرسالة ، ولما جيء بهن الى السجن كانت الشوارع مكتظة بالرجال والنساء ، وهن يضربن الوجوه ويبكين أمر البكاء - حسباً يقول الامام زين العابدين - وادخلت بنات رسول الله (ص) الى السجن وقد ضيق عليهن أشد التضيق ، وقد رفضت حفيدة الرسول (ص) ان تقابلها أي امرأة حرة وقالت :

« لا تدخل علينا الا أم ولد أو مملوكة فانهن سبين وقد سبيننا ،
 والقي على بنات رسول الله (ص) حجر قد ربط فيه كتاب جاء فيه ان البريد قد سار بامركم الى يزيد فان سمعتم التكبير فايقنوا بالهلاك وان لم تسمعوا بالتكبير فهو الامان ، وحددوا المجيء الكتاب وقتاً ، وذعرت النساء كأشد ما يكون الذهر ، وقبل قدوم البريد بيومين القي عليهم حجر آخر فيه كتاب جاء فيه « اوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد ، وبعد انتهاء المدة جاء أمر يزيد بحمل الأسرى الى دمشق (١) وتنص بعض

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٨

المصادر أن يزيد كان هازماً على استئصال جميع نسل الامام امير المؤمنين
الا انه بعد ذلك عدل عن نيته وعفا عنهم (١) :

اختطاف علي بن الحسين :

واختطفت بعض الكوفيين الامام زين العابدين واخطفاه في داره ،
وجعل يكرمه ويحسن إليه ، وكان كلما دخل عليه يجھش بالبكاء فظن
الامام به خيراً الا انه لم تمض الا فترة يسيرة من الزمن حتى نادى متادي
ابن زياد من وجد علي بن الحسين ، واتي به فله ثلاث مائة درهم فلما سمعه
الكوفي اسرع الى الامام فجعل في عنقه حبلاً وربط يديه بالحبل وسلمه
إليهم واخذ الدراهم (٢) وهذه البادرة الغريبة تعطينا صورة عن مدى
تهالك ذلك المجتمع على المادة وتفانيه في الحصول عليها بأي طريق كان .

ندم ابن سعد :

وندم الخبيث الدنس عمر بن سعد كأشد ما يكون الندم على اقراره
لنلك الجريمة النكراء وقد سأله بعض خواصه عند رجوعه من كربلاء
عن حاله فقال :

« ما رجعت احد إلى أهله بشر مما رجعت به أطعت الفاجر الظالم
ابن زياد ، وعصيت الحكم العدل ، وقطعت القرابة الشريفة وارتكبت

(١) الوافي ٣ / ٢٩٨

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأسيان (ص ٩٨) المنتظم الجزء

الخامس .

الأمر العظيم ، (١) .
وماذا يفيد الندم بعدما سفك دماء العترة الطاهرة ، وقطع أواصر
القربى التي أمر الله بمودتها .

ابن زياد يطالب ابن سعد بالكتاب :

وتعرض ابن زياد لحملة التقايد واسعة النطاق من جميع الأوساط ،
وقد رام أن يجعل تبعة ذلك على ابن سعد فهو المسؤول عن اقرار هذه
الجريمة دونه ، فبعث خلفه وقال له :

- علي بالكتاب

- مضيت لأمرك وضاع الكتاب

- لتجيئني به

- بعثته والله ليقراً على عجائز قريش اعتذاراً إليهن ، أما والله
لقد نصحتك في الحسين نصيحة لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص لكنت
قد أدبت حقه وكان في المجلس عثمان بن زياد فقال لاختيه عبيد الله :
« صدق والله لو ددت أنه ليس من بني زياد رجل الا وفي أنفه
خزامة الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل » .

وسكت الطاغية ولم يجبه بشيء (٢) أما الكتاب الذي بعثه ابن سعد
الى يثرب ليتقي به اللعنات التي تنصب عليه ، ويحمل اللذب على أميره
وسيده ابن مرجالة فهذا نصه :

(١) الأخبار الطوال (ص ٢٧١) سير اعلام النبلاء ٣ / ٢٠٣ ،

أنساب الأشراف ق ١ ج ١ .

(٢) المنتظم ٥ / ٩٨ ، الطبري ٦ / ٢٦٨ .

« من عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد ، أما بعد : فاني لم ابعثك الى حسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتتعد له عندي شافعاً ، انظر فان نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم الي سلما ، وإن أخوا فازحف إليهم حتى تقتلهم ، وتمثل بهم فانهم لذلك مستحطون ، فان قتلت حسيناً فاوطىء الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم . . فان أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعتزل عملنا وجندنا ، ونخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بأمرنا » (١) .

التنديد بان زياد :

وندد بالطاغية بقتله لريحانة رسول الله (ص) القريب والبعيد وفيما يلي بعضهم .

١ - مرجانة

وسخطت مرجانة على ولدها الباغي الأثيم على اقراره لهذه الجريمة التكرار فقالت له « يا خبيث قتلت ابن رسول الله ، والله لا رأيت وجه الله أهدأ » (٢)

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٩

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٨) تذهيب التهذيب

١ / ١٥٦ ، تذهيب التهذيب ٢ / ٣٥٧ .

٢ - عثمان بن زياد

وأذكر على الطاغية أخوه عثمان بن زياد وقال له : « والله لو ددت
أزه ليس من بني زياد رجلى الا وفي انفه خزامة الى يوم القيامة وان
الحسين لم يقتل » (١) .

٣ - معقل بن يسار

ومن لقم على ابن مرجانة معقل بن يسار فقد انتقده انتقاداً
لاذعاً ، وندد به وهجره . لقد كان قتل الامام من الأحداث الجسام التي
اهتز من هولها العالم الاسلامي ، وقد استعظمه المسلمون كأشد ما يكون
الاستعظام ، فقد انتهكت فيه حرمة الرسول (ص) التي هي اولى بالرعاية
والعطف من كل شيء .

الانكار على ابن سعد :

وأذكر الناس على ابن سعد جريمة النكراء ، فبغضوه ونبذوه ، وكان
كلما مر على ملاً من الناس لعنوه واذا دخل الجامع خرجوا منه (٢) .

الاستيلاء الشامل :

وأحدث قتل الامام استيلاءً شاملاً في جميع الأوساط يقول الحصين
ابن عبد الرحمن السلمي لما جاءنا قتل الحسين مكثنا ثلاثة أيام كأن وجوهنا

(١) الطبري ٦ / ٢٦٨

(٢) مرآة الزمان (ص ٦٨)

قد طلّيت رماداً (١) ويقول هبيرة بن خزيمة اخبرت الربيع بن خثيم
 بقتل الحسين فتغير وقرأ قوله تعالى : « اللهم فاطر السموات والأرض عالم
 الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون » (٢) ثم قال :
 « لقد قتلوا فتية لورآهم رسول الله (ص) لاحبهم وأطعمهم بيده
 واجلسهم على فخذه » (٣) .

واخبر الحسن البصري بقتل الحسين فبكى حتى اختلج جنباه وقال :
 « واذلاه لأمة قتل ابن دعيها - يعني ابن مرجانة - ابن لبيها (٤) والله
 لينتقم له جده وأبوه من ابن مرجانة » وقال عمرو بن معجزة :
 « أول ذلك دخل على العرب قتل الحسين وادعاء زياد » (٥) :
 لقد التاع المسلمون كاشد ما يكون الالتياح حزناً وألماً على قتل ربحانة
 رسول الله (ص) وبكوا أمر البكاء فكان الامام الشافعي يبكي اشد البكاء
 ويتلو هذه الأبيات :

تأوب همي والفؤاد كئيب وارق عيني والرقاد غريب
 ومما نفى نومي وشيب لمتي تصاريف أيام لمن خطوط
 تزلزلت الدنيا لآل محمد وكادت لها صمم الجبال تلدوب
 فمن مبلغ عني الحسين رسالة وان كرهتها أنفوس وقلوب
 قتيل بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الارجوان خضيب

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٨٢

(٢) طبقات ابن سعد ٦ / ١٩٠

(٣) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٤)

(٤) تفسير المطالب في أمالي أبي طالب (ص ٢٨٩)

(٥) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦ ، المعجم الكبير ١ / ١٤١

صلي على المختار من آل هاشم وتنزى بنيه ان ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد فذلك ذنب لست منه أتوب
هم شفعاثي يوم حشري وموقفي وحبهم للشافعي ذلوب (١)
وقد اجتاز الشاعر ابن الهبارية بكر بلا فجعل يبكي على الحسين وأهله
ونظم هذه الأبيات :

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسما يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبلدت في تنفيس كرهك جهد بلذ الباذل
وسقيت حد السيف من اعدائكم علا وحسد السمهري الذابل
لكنتني اخترت عنك لشقوتي فبلا بلي بين اللوي وبابل
هبني حرمت النصر من اعدائكم فاقل من حزني حزن ودمعي سائل
يقول المؤرخون انه نام في مكانه فرأى رسول الله (ص) في منامه
وقال له : جزاك الله هني خيرا فابشر فان الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي
الحسين (٢) .

ندم اهل الكوفة :

وندم أهل الكوفة كاشد ما يكون الندم ألماً وحزنا على ما افتروه
من عظيم الاثم ، فهم الذين الحوا على الامام بوفودهم ورسائلهم بالقدوم
إليهم فلما وافاهم خلدوه وقتلوه ، وبمن اظهر الندم منهم :

١ - البراء بن عازب

وندم على تركه لنصرة الامام البراء بن عازب ، فقد قال له الامام

(١) (٢) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٤)

امير المؤمنين (ع) :

« أبقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره ؟ »

« لا كان ذلك يا أمير المؤمنين »

ولما قتل الامام كان البراء يذكر قول الامام له وهو يتحسر ويقول :

اعظم بها حسرة اذ لم أشهده ولم اقتل دونه (١) .

٢ المسيب بن نجبة

وكان المسيب بن نجبة من أشد الناس حسرة علي عدم شهادته بين يدي ريحانة رسول الله (ص) ، وقد اعلن ندمه في خطابه الذي القاه على جموع التوابين فقد جاء فيه :

« فقد كنا مغرمين بتزكية انفسنا فوجدنا الله كاذبين في كل موطن من مواطن ابن بنت نبيه (ص) وقد بلغنا قبل ذلك كتيبه ورسله ، واعذر إلينا ، فسألنا نصره عوداً وبدءاً وعلانية ، فبخلنا عنه هأنلسنا حتى قتل الى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه هأنلسنا ، ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصر الى عشائرننا فما عذرنا عند ربنا ، وعند لقاء نبينا ، وقد قتل فينا ولد حبيبه ونسله ، لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والمؤيدين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك ولا أنا بعد لقائه لعقوبته بأمن » (٢)

وقد صورت هذه الكلمات مدى الأسى والحزن في نفس المسيب على ما فاته من شرف التضحية مع الامام .

(١) شرح النهج ١٠ / ١٤ - ١٥

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٣٢

٣ - سليمان بن سرد

ومن حزن أعمق الحزن على تركه لنصرة الامام سليمان بن سرد
فقد أخذ الألم يحز في نفسه وقد خطب في أصحابه من التواهبين وقال في
جملة خطابه :

« إنا كنا نمد اعناقنا الى قدوم آل بيت نبينا محمد (ص) نمنيهم
النصر ونحتهم على القدوم فلما قدموا ونبينا وعجزنا وأدعنا وتربصنا حتى
قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارتة ، وبضعة من لحمه ودمه ، إذ جعل
يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضاً للنيل ودرية
للمراح حتى اقتصدوه وعدوا عليه فسلبوه ، (١) .

٤ - عبد الله بن الحر

ومن أشد النادمين حسرة واعظمهم أسى عهد الله بن الحر الجملي الذي
قصده الامام وطلب منه النصرة فبخل بنفسه ، وقد أخذته خلجات حادة من
تأنيب الضمير على تركه لنصرته ، وقد نظم أساه وحزنه بهذه الأبيات :

فيا لك حسرة ما دمت حيا	تردد بين صدري والتراقي
غداة يقول لي بالقصر قولاً	أتركنا وتزعم بالفراق
حسين حين يطلب بدل نصري	على أهل العداوة والشقاق
فلو فلق التلهف قلب حراً	لهم اليوم قلبي بانفلاق
ولو واسيته يوماً بنفسي	لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن محمد تفديه نفسي	فودع ثم اسرع بانطلاق
لقد فاز الأولى نصروا حسيناً	ونخاب الآخرون ذوالنفاق (٢)

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٣٣

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ٢٢٨

وقد صور ابن الحر في شعره ما تفيض به نفسه من الألم العميق فهو
ما دام حيا تحز في نفسه الحسرات على ما فاتته من شرف الشهادة بين يدي
ابن رسول الله (ص) وانه لو نصره لماز بالجنان ، كما عرض لغبطته لأصحاب
الحسين الذين فدوه بنفوسهم فقد ظفروا بالأجر الجزيل والمقام العظيم
عند الله .

هؤلاء بعض النادمين على تركهم لنصرة الامام (ع) وعدم فوزهم
بالشهادة بين يديه وحينما اتاحت الفرصة ثاروا مع التوابين في الكوفة .

الهجرة من الكوفة :

وكره مكفى الكوفة بعض الأنخيار من المتحرجين في دينهم بهسد
ما عمد أهلها إلى قتل ريحانة رسول الله (ص) وكان من بينهم عبد الرحمن
القضاعي ، فقد هجر الكوفة وسكن البصرة وقال : لا اسكن بلداً قتل
فيه ابن بنت رسول الله (ص) (١) لقد اثار مذبحة كربلاء موجة عاتية
من الهلع والجزع في جميع أوساط الكوفة ، واستبان لاهلها عظم الجريمة
التي اقترفوها ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن دخول سبايا أهل البيت إلى
الكوفة وما رافق ذلك من الأحداث .

(١) المعارف (ص ٤٢٦)

سَبَائِلُ آلِ الرَّسُولِ ص
فِي دِمَشْقِ

وعانت عقائل الوحي ومخدرات الرسالة جميع ضروب المحن والبلاء
في تلك الأيام السود التي مرت عليهم في الكوفة ، فقد عانين مرارة الاعتقال
في السجن وشماتة الأعداء وذل الأسر في بلد كانت موطناً لشيعتهم ومركزاً
لدعوتهم ، وكن في حالة مشجية تدوب من هولها النفوس . . . ونعرض
إلى سير الأحداث الأليمة التي جرت عليهم حينما ارسلن الى دمشق .

تسيير الرؤوس :

وأمر ابن مرجانة بتسيير رؤوس العترة الطاهرة الى دمشق لتعرض
على أهل الشام كما عرضت على أهل الكوفة لتمتلئ قلوب الناس فزعاً
وخوفاً من بني أمية وليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالخروج عليهم ،
وقد سيرت مع زجر بن قيس الجملي وأبي بردة بن هوف الأزدي ،
وطارق بن ظبيان الأزدي ،

تسريح العائلة النبوية :

ومرحت عائلة آل النبي (ص) مع محضر بن ثعلبة من عائلة قريش
وشمر بن ذي الجوشن ، وقد أوثقت بالحباك ، واركبت على أقتاب الجبال
وهن بحالة تقشعر منها الأبدان يقول عبد الباسط الفياضوري :
« ثم أن عبید الله جهز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه
من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الأبدان وترتعد منها مفاصل الانسان
بل فرائص الحيوان » (١) .

(١) تحفة الأنام في مختصر تاريخ الاسلام (ص ٨٤)

تشجيع أهل الكوفة للأسرى :

وخرجت الكوفة بجميع طبقاتها لتوديع ركب أهل البيت وهم ما بين
هاك ونائح وقد غصت طرق الكوفة بالناس وهم يبكون عامة الليل ، فلم
تتمكن القافلة أن تسير من كثرة الزحام فاستغرب الامام زين العابدين (ع)
منهم وراح يقول : « هؤلاء قتلونا ويبكون علينا ! ! » (١) .

وعجت نساء همدان بالبكاء والنياحة (٢) وعلامن الصراخ والمويل
وأمر شمر بن ذي الجوشن أن يغل الامام زين العابدين بغل في عنقه
فغل (٣) وانطلقوا بالأسرى حتى التحقوا بالقافلة التي معها الرؤوس ،
ولم يتكلم الامام زين العابدين مع الجفاة بكلمة واحدة ، ولا طلب منهم
أي شيء طيلة الطريق (٤) وسارت القافلة لا تلوي على شيء حتى انتهت
الى القرب من دمشق فاقبمت هناك حتى تنزىن البلد بمظهر الزهو والأفراح .

تزيين الشام :

وأمرت حكومة دمشق الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والمحلات
العامة والخاصة بإظهار الزينة والفرح للنصر الذي احرزته في قتل ريحانة
رسول الله (ص) وسببي ذريته ، ويصف بعض المؤرخين تلك الزينة
بقوله :

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ٩٩)

(٢) الحدائق الوردية ١ / ١٢٩

(٣) الساب الأشراف ق ١ ج ١

(٤) الارشاد (ص ٢٧٦)

« ولما بلغوا - أي اسارى أهل البيت - ما دون دمشق بأربعة فراسخ ، استقبلهم أهل الشام وهم ينثرون النثار فرحاً وسروراً حتى بلغوا بهم قريب البلد فوققوهم عن الدخول ثلاثة أيام وحبسوهم هناك حتى تتوفر زينة الشام ، وتزويقها بالحلي والحللى والجريز والديباج والفضة والذهب ، وأنواع الجواهر على صفة لم ير الرآون مثلها لا قبل ذلك اليوم ولا بعده ، ثم خرجت الرجال والنساء والاصاغر والاكابر والوزراء والأمراء واليهود والمجوس والنصارى ، وسائر الملل الى التفرج ومعهم الطبول والدفوف والبوقات والمزامير ، وسائر الآلات اللهو والطرب ، وقد كحلوا العيون وخضبوا الأيدي ، ولبسوا أفخر الملابس وتزينوا أحسن الزينة ولم ير الرآون أشد احتفالا ولا أكثر اجتماعا منه ، حتى كأن الناس كلهم قد حُشروا جميعاً في صعيد دمشق ، (١) .

لقد اظهر ذلك المجتمع الذي تربى على بغض أهل البيت جميع الوان السرور والفرح بما أصابهم من القتل والسبي وجبىء بالرأس العظيم وسط هالة من التهليل والتكبير على هذا النصر الذي احوزه حميد أبي سفيان وكان خالد بن صفوان أو غفران في دمشق حينما أتى برأس الامام فاطهر الجزع والبكاء واختلمى عن الناس لثلا تقبض عليه عيون بني أمية ، وهو يقول :

جاءوا برأسك يا بن بنت محمد	متزمتلا بدمائه تزمتلا
وكأنما بك يا بن بنت محمد	قتلوا جهازاً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا	في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلنا وانما	قتلوا بك التكبير والتهليل (٢)

(١) حجة السعادة في حجة الشهادة

(٢) تاريخ ابن عساكر ٥ / ٨٥ ، مرآة الزمان (ص ١٠١)

ويقول سهل بن سعد : خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الألهار كثيرة الأشجار قد علقت عليها الحجب والديباج والناس فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول فقلت في نفسي : إن لأهل الشام عيداً لا نعرفه فرأيت قوماً يتحدثون فقلت لهم :

« الكم بالشام عيد لا نعرفه ؟ »

« نراك يا شيخ غريباً »

« أنا سهل بن سعد قد رأيت رسول الله »

« يا سهل ما أعجبك أن السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف

بأهلها ! ! » .

« وما ذاك ؟ »

« هذا رأس الحسين يهذى من أرض العراق ! ! »

« واعجباً يهذى رأس الحسين والناس يفرحون من أي باب يدخل »

وأشاروا إلى باب الساعات ، فأسرع سهل إليها ، وبينما هو واقفت

وإذا بالرايات يتبع بعضها بعضها ، وإذا بفارس بيده لواء مزروع السنان ،

وعليه رأس من أشبه الناس وجها برسول الله (ص) وهو رأس ريحانته

الحسين ، وخلفه السبايا محمولة على جمال بغير وطأ ، وهادر سهل إلى

أحدى النسوة فسألها :

– من أنت ؟

– أنا سكينه بنت الحسين

– الك حاجة ؟ فانا سهل صاحب جدك رسول الله (ص)

– قل لصاحب هذا الرأس أن يقدمه أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر

إليه ، ولا ينظرون إلى حرم رسول الله (ص) .

وأسرع سهول الى حامل الرأس فأعطاه أربعمائة درهم فباعه الرأس
عن النساء (١) .

الشامي مع زين العابدين :

وانبرى شيخ قد ضلته الدعوات الكاذبة فأخذ يشق الصفوف الحاشدة
حتى انتهى إلى الامام زين العابدين فرفع عقبرته قائلاً :
« الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم »
وبصر به الامام فرآه مخدوعاً قد خفي عليه الحق فقال له :
- يا شيخ قرأت القرآن ؟

- بلى

- أقرأت قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه أجرأ الا المودة في
في القربى » وقوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » وقوله تعالى :
« واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى »
وتهافت الشيخ فقال بصوت خافت :

« نعم قرأت ذلك »

قال له الامام : نحن والله القربى في هذه الآيات ، يا شيخ أقرأت
قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا . »

« بلى »

« نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير »

(١) مقتل الحسين لعبد الله نور الله

وسرت الرعدة في أوصال الشيخ وجمد دمه ، وقال للإمام هبرات

مرتعشة :

« بالله عليكم أنتم هم ؟ »

« وحق جدنا رسول الله (ص) إنا لنحن هم من غير شك »

وود الشيخ أن الأرض قد وارتته ، ولم يقل تلك الكلمات القاسية
والقى بنفسه على الامام وهو يوسع يديه تقبيلاً ، ودموعه تجري على مسحات
وجبه قائلاً :

« ابرأ الى الله من قتلكم »

وطلب الشيخ من الامام أن يمنحه العفو والرضا فعفا عنه (١) وكانت
الأكثريّة الساحقة من أهل الشام على غرار هذا الشيخ قد ضللتهم الدعاية
الأموية ، وحجبتهم عن معرفة أهل البيت عليهم السلام .

سرور يزيد :

وغمرت الافراح والمسرات يزيد حينما وافاه النبا بمقتل الامام وكان
في بستانه الخضراء (٢) فكبر لكبيرة عظيمة (٣) ولما جيء بالسبايا كان
مطلا على منظر في جيرون ، فلما نظر الى السبايا والرؤوس قد وضعت
على الجراب امتلاً سروراً وراح يقول :

(١) اللهوف (ص ١٠٠)

(٢) البستان الجامع لجميع تأريخ أهل الزمان (ص ٣٦)

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٢٢ ، مرآة الزمان

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت : قل أو لا تقل فلقد قضيت من الرسول ديوني (١)
لقد روى حفيد أبي مفيان أحقاده واستوفى ثأره من ابن فاتح مكة
ومحطم أوئان قريش فقد قتل العترة الطاهرة وسبى ذراريها تشفيا وانتقاما
من النبي (ص) .

رأس الامام بين يدي يزيد :

وحمل محمدر بن ثعلبة العائلي وشمر بن ذي الجوشن رأس ريحانة
رسول الله (ص) هدية الى الفاجر يزيد بن معاوية ، ولما انتهيا إلى البلاط
الأموي رفع محمدر عقيرته ليسمعه يزيد قائلا :
« جئنا برأس أحق الناس والأهم »
فأنكر عليه يزيد ورد عليه :

« ما ولدت أم محمدر الأم واحق ، ولكنه قاطع ظلم » (٢)
وأذن يزيد للناس اذا عامسا ليظهر لهم انه قهر آل النبي (ص)
وازدحم أهل الشام على القصر وهم يعلنون فرحتهم الكبرى ، ويهنونه بهذا
النصر الكاذب (٣) ووضع رأس ريحانة رسول الله (ص) بين يدي سليل

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ٤٣٧)

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٨ ، وفي البداية والنهاية ٨ / ٢٩٤
ان القاتل محمدر لا محمدر وفي الارشاد (ص ٢٧٦) ان الذي رد عليه
الامام زين العابدين .

(٣) البداية والنهاية ٨ / ١٩٧

الحياة والاجرام فجعل ينكت بمخصرته نغره الذي طالما كان النبي (ص) يترشفه ، وجعل يقول متشفياً وشامتاً :

« قد لقيت بغيرك يا حسين » (١)

ثم التفت الى من كان معه فقال لهم : « ما كنت أظن أبا عبد الله قد بلغ هذا السن ، وإذا لحيته ورأسه قد نصلتا من الخضاب الأسود » (٢) وتأمل في وجه الامام فغمرته هيبة فطلق يقول :

« ما رأيت مثل هذا الوجه حسناً قط ! ! » (٣)

وراح يوسع نغره الامام بالضرب وهو يقول : ان هذا وابانا كما قال الحسين بن الحمام :

أبي قومنا أن ينصفونا فانصفت قواضب في ايماننا تقطر الدما
يفلقن هامسا من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ولم يتم كلامه حتى انكر عليه أبو برزة الأسلمي فقال له :

« انتكمت بقضيبك في نغره الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك في نغره مأخذاً لربما رأيت رسول الله (ص) يرشفه ، أما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجيء هذا ومحمد (ص) شفيعه . »

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١ / ٥٦ وجاء في تلهيب التهذيب

١٥٧ / ١ عن ابن حمزة قال : رأيت امرأة من اعقل الناس واجملهن يقال لها « ربا » حاضنة يزيد بن معاوية وقد بلغت من العمر مائة سنة ، قالت دخل رجل على يزيد فقال له : ابشر فقد امكنتك الله من الحسين قتل وجيء برأسه إليك ووضع في طست فأمر غلامه فكشفه فحين رآه أحمر وجهه ، فقلت لربا : أفرع ثناياه بالقضيب ؟ قالت : أي والله .

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٥١

(٣) تاريخ القضاعي (ص ٧٠)

ثم قام منصرفاً (١) واندفع يحيى بن الحكم متأثراً وهو يقول :
لهام بجنب الطفت أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوهل
أمية أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل (٢)
فالتاع الطاغية منه ودفع في صدره ، وقال له : امكت لا أم لك (٣)
لقد تأثر كل من يملك ضميراً حياً من المصائب الأليمة التي صبها الطاغية
على آل البيت .

نصب الرأس في جامع دمشق :

وبعد ما قضى الأئيم وطره من العبث برأس سيد شباب أهل الجنة
نصبه في جامع دمشق في المكان الذي نصب فيه رأس يحيى بن زكريا (٤)
وقد علق ثلاثة أيام (٥) .

رأس الامام عند نساء يزيد :

وبعث الطاغية برأس ريحانة رسول الله (ص) الى نساته ليظهر مقدرته
وزهوه أمامهن ، فاحذته عاتكة وطيبته ، فأنكر يزيد ذلك وقال : ما هذا ؟

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٩٨

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٣٥٠ ، البداية والنهاية ٨ / ١٩٢ ،

الارشاد (ص ٢٧٦) .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١ / ١٤٠ ، تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٥

البداية والنهاية ٨ / ١٩٢ .

(٤) صبح الأعشى ٤ / ٩٧ (٥) تلهيب التهذيب ١ / ١٥٧

فقلت له :

و بعثت إلينا برأس عمي شعنا فلممته وطيبته ، (١)

السبايا في مجلس يزيد :

وسر الطاغية سروراً بالفا بسبايا أهل البيت فأوقفهم موقف السبي
بباب المسجد مبالغاً في اهانتهم واذلالهم (٢) وعمدت جلاوزته إلى بنات
رسول الله (ص) وسائر الصبية فرهقوهم بالحبال كما تربق الأغنام فكان
الحبل في عنق الامام زين العابدين إلى عنق عمته زينب وهاقي بنات
رسول الله (ص) ، وكانوا - فُيما يقول المؤرخون - كلما قصرُوا عن
المشي أو سعوهم ضربها بالسياط ، وجاءوا بهم على مثل هذه الحالة التي
تصدع من هولها الجبال ، وهم يكبرون ويهلملون فأوقفوهم بين يدي يزيد
فالتفت الامام زين العابدين فقال له :

« ما ظنك بجذنا رسول الله (ص) لو يرانا على مثل هذه الحالة ؟ »
فتأثر يزيد ولم يبق أحد في مجلسه الا بكى (٣) وقد تألم الطاغية مما رأى
فراح يقول :

« قبح الله ابن مرجانة لو كان بينكم وبينه قرابة لما فعل بكم هذا ، (٤)
ثم أمر بالحبال فقطعت عنهم والتفت إلى علي بن الحسين فقال له :
« أيه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطم رحمي ، وجهل حقي ،

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١

(٢) الكواكب الدرية ١ / ٥٦

(٣) الامام زين العابدين لأحمد فهمي (ص ٥٥)

(٤) تذكرة الخواص (ص ٤٩) المنتظم ٥ / ١٠٠

ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت ، .
 فأجابه شبل الحسين بكل هدوء وطمأنينة بقوله تعالى :
 « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من
 قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير لسكيبا نأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا
 بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) .
 وتميز الطاغية غضباً وذهبت لشوة أفراده ، وتلا قوله تعالى :
 « ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ، فقال له الامام :
 « هذا في حق من ظلم لا في حق من ظلم ، (١)
 وزوى الامام بوجهه عنه ولم يكلمه (٢) احتقاراً له واستهانةً بشأله

خطاب السيدة زينب :

واظهر الطاغية فرحه باهادته للعترة الطاهرة ، فقد حسب انه قد
 صفا له الملك واستوسقت له الأمور فأخذ يهز أعطافه جدلانا مسروراً .
 وتمنى حضور القتلى من أهل بيته يبدر ليريهم كيف أخذ بأرهم وانتقم من
 النبي (ص) في ذريته وعترة وراح يترنم بأبيات ابن الزهري وهو زمهوا
 لبت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأمل
 لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
 قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
 لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
 لست من خندق إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل (٣)

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ (ص ١٨٢)

(٢) الارشاد (ص ٢٧٦)

(٣) اعلام النساء ١ / ٥٠٤ البداية والنهاية ٨ / ١٩٢

ولما سمعت بظلة كربلاء هذه الأبيات التي نمت عن كفره وسروره
 بقتل عترة النبي (ص) انتقاماً منهم لقتلى بدر وثبت تزجره ، وتطعن
 كبريائه ، غير حافلة بجهروته وطغيانه ، فلم يدركها الهول والفرع ، وإنما
 كانت مثال الشجاعة فكأنها هي الحاكمة والمنتصرة ، والطاغية هو المخدول
 والمغلوب على امره ، قالت (ع) :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق
 الله سبحانه حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا
 بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن » اظننت يا يزيد حيث أخذت علينا اقطار
 الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا لساق كما تساق الاسارى أن بنا على الله
 هوأنا ، وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك
 ونظرت في عطفك جلالنا مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور
 متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً ، أنسيت
 قول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين كفروا انما نعلم لهم خيراً لأنفسهم
 انما نعلمي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين » .

أمن العسطل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك واماءك وسوك بنات
 رسول الله (ص) سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحديوهن
 الأعداء من بلد الى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل (١) ويتصفح
 وجوههن القريب والبعيد ، ليس معهن من حمانهن حمي ولا من رجالهن ولي
 وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الازكياء ، ونبت لحمه من دماء
 الشهداء ، وكيف يستبطل في بغضنا أهل البيت من نظر إينسا بالشنف

(١) المناهل : جمع منهل ، وهو موضع الشرب من العيون ، والمراد
 من يسكن فيها ، المعاقل : سكتة الحصون .

والشأن (١) والاحن والاضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واصتهلوا فرحا ثم قالوا : يا يزيد لا تثل

منحنيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكثها بمخصرتك
وكيف لا تقول ذلك ؟ : وقد تكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة بارأقتك دماء
ذرية محمد (ص) ونجوم الأرض من آل عبد المطاب ، وتهتفت بأشياخك
زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم ولتردن أنك شلت وبكمت
ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت اللهم خذلنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا
واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا .

فو الله ما فريت الا جلدك ، ولا حززت الا لحمك ، ولتردن على
رسول الله (ص) بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمة
في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون »
وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم
من سول لك وممكنك من رقاب المسلمين ، بشس للظالمين بدلا وأيكم شرمكانا
واضعف جندا .

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك اني لأستصغر قدرك ، واستعظم
تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حرى فالعجب
كل العجب ! ! لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه
الأيدي تنظف من دمائنا (٢) والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث
الطواهر الزواكي تذتابها العواسل (٣) ونعفرها امهات ،

(١) الشنف : البغض والعداء

(٢) تنظف : أي تستوفي من دمائنا

(٣) العواسل : جمع عاسل وهو الدئب

الفراعيل (١) ولئن اتخذتينا مغنيا ، لتجدنا وشيكا مفرما ، حين لا تجد
 الا ما قدمت يدك وماربك بظلام للعبيد ، والى الله المشتكى وعليه المعول :
 فكسد كبدك ، واسع سعيك ، وناصب جهديك . فوالله لا تمحو
 ذكرنا ، ولا تميت وحيننا ولا يرخص عنك عارها ، وهل رأيت الا فند
 وأيامك إلا عسدد ، وجمعك الا بدد ، يوم ينادي المنادي الا لعنة الله
 على الظالمين .

والحمد لله رب العالمين ، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا
 بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد
 ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، (٢)
 وهذا الخطاب أروع خطاب أثر في الاسلام ، وهو من متممات
 النهضة الحسينية الخالدة ، فقد دمرت فيه حفيدته الرسول (ص) جبروت
 الطاغية ، والحقت به الهزيمة والعار ، وعرفته ان دعاة الحق لا تنحني
 جباههم امام الطغاة والظالمين ، يقول الامام كاشف الغطاء رحمه الله :
 « أستطيع ريشة أعظم مصور وابدع ممثل أن يمثل لك حال يزيد
 وشموخه بأنفه وزهوه بعظفه وسروره وجلده بانساق الأمور ، وانتظام الملك
 ولذة الفتح والظفر والتشفي والانتقام - بأحسن من ذلك التصوير والتثيل -
 وهل في القدرة والامكان لأحد أن يدفع خصمه بالحجة والبيان والتقريع
 والتأنيب . وبلغ ما بلغته سلام الله عليها بتلك الكلمات وهي على الحال
 الذي عرفت ثم لم تقتنع منه بذلك حتى ارادت أن تمثل له وللحاضرين

(١) الفراعيل : جمع فرعل ولد الضبيع

(٢) اعلام النساء ٢ / ٥٠٤ ، بلاغات النساء (ص ٢١) مقتل

الخوارزمي ٢ / ٦٤ ، السيدة زينب واخبار الزينبيات (ص ٨٦) الحدائق

الوردية ١ / ١٢٩ - ١٣١ ، اللهوف (ص ٧٩ - ٨٠) .

هنده ذلة الباطل وعزة الحق وعدم الاكتراث والمبالاة بالقررة والسلطة ،
والهيبة والرهبة ، أرادت أن تعرفه خسة قدره ، وضعة مقسداره وشناعة
فعله ، ولؤم فرعه واصله ، (١) .
ويقول المرحوم الفكيكي :

« تأمل معي في هذه الخطبة النارية كيف جمعت بين فنون البلاغة ،
وأساليب الفصاحة ، وبراعة البيان ، وبين معاني الحماسة وقوة الاحتجاج
وحجة المعارضة والدفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة بصراحة هي انفلد
من السيوف الى أعماق القلوب ، واحد من وقع الأسنة في الحشا والمهج
في مواطن القتال ، ومجالات النزال ، وكان الوثوب على أنياب الأفاعي
وركوب اطراف الرماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ
الذي صرخت به ربيبة المجد والشرف في وجوه طواغيت بني أمية
وفراعنتهم في منازل عزهم ومجالس دولتهم الهرقلية الارستقراطية الكريمة .
ثم ان هذه الخطبة التاريخية القاصعة لا تزال تنطق ببطولات الحوراء
الخالدة وجراتها النادرة ، وقد احتوت النفس القوية الحساسة الشاعرة
بالمثالية الاخلاقية الرفيعة السامية ، وسبقى هذا الأدب الحي صارخاً في
وجوه للطغاة الظالمين على مسدى الدهر وتعاقب الأجيال وفي كل ذكرى
لواقعة الطف الدامية المفجعة » (٢) .

محتويات الخطاب :

وكان هذا الخطاب العظيم امتداداً لثورة كربلاء وتجسيداً رائعاً
لقيمها الكريمة وأهدافها السامية وقد حفل بما يلي :

(١) السياسة الحسينية (ص ٣٠)

(٢) مجلة الغري السنة السابعة العدد ٦

أولاً - انها دلت على غرور الطاغية وطيشه ، فقد حسب أنه هو المنتصر بما يملك من القوى العسكرية التي ملأت البيداء وضدت آفاق السماء ، الا انه انتصار مؤقت ، ومن طيشه انه حسب ان ما احزره من الانتصار كان لكرامة له عند الله وهوان لأهل البيت ، ولم يعلم ان الله انما يملي للكافرين في هذه الدنيا من النعم ليزدادوا اثمأ ولهم في الآخرة عذاب أليم .

ثانياً - انها نعت عليه سببه لعقائل الوحي ، فلم يرع قرابة رسول الله فيهم وهو الذي من على آهائه يوم فتح مكة فكان ابوه وجده من الطلقاء فلم يشكر للنبي هذه اليد وكافته باسوء ما تكون المكافئة .

ثالثاً - ان ما اقترفه الطاغية من سفك دماء العترة الطاهرة فانه مدفوع بذلك بحكم نشأته وموارثه فجذته هند هي التي لاكت كيد سيد الشهداء حمزة وجده ابوه سفيان العدو الأول للإسلام ، وابوه معاوية الذي أراق دماء المسلمين وانتهك جميع ما حرمه الله ، فاقراف الجرائم من عناصره وطباعه التي فطر عليها .

رابعاً - انها انكرت عليه ما تمثل به من الشعر الذي تمنى فيه حضور أشياخه الأمويين ليروا كيف أخذ بثأرهم من النبي (ص) بآبائه الا انه سوف يرد موردهم من الخلود في نار جهنم .

خامساً - ان الطاغية بسفكه لدماء العترة الطاهرة لم يسفك الا دمه ولم يفر الا جلده فان تلك النفوس الزكية حية وخالدة وقد تلمعت بالكرامة وبلغت قمة الشرف ، وانه هو الذي باء بالخزي والخسران .

سادساً - انها عرضت الى من مكن الطاغية من رقاب المسلمين فهو المسؤول عما اقترفه من الجرائم ، وقد قصدت عليها السلام مغزى بعيداً يفهمه كل من تأمل فيه .

سابعاً - انها اظهرت سمو مكانتها فكلمت الطاغية كسلام الأمير
والحاكم فاستهانت به ، واستصغرت قدره ، وتعالى عن حوارهِ ،
وترفعت عن مخاطبته ، ولم تحفل بسلطانه . . لقد كانت العقيلة على ضعفها
وما ألم بها من المصائب اعظم قوة وأشد بأساً منه .
ثامناً انها عرضت الى ان يزيد مهما بدل من جهد لمحو ذكر
أهل البيت (ع) فانه لا يستطيع الى ذلك سبيلاً لأنهم قائمون في قلوب
المسلمين وعواطفهم وهم مع الحق ، والحق لا يبد أن ينتصر ، وفعلاً قد
انتصر الحسين وتحولت مأساته الى مجد لا يبلغه أي انسان كان فأى نصر
أحق بالبقاء واجدر بالخلود من النصر الذي احرزهُ الامام
هذا قليل من كثير مما جاء في هذه الخطبة التي هي آية من آيات
البلاغة والفصاحة ، ومعجزة من معجزات البيان ، وهي احدى الضررات
القاضية على ملك بني أمية .

جواب يزيد :

وكان خطاب العقيلة كالصاعقة على رأس يزيد ففسد انهار غروره
وتحطم كبرياؤه ، وحاد في الجواب فلم يستطع ان يقول شيئاً الا أنه تمثل
بقول الشاعر :

يا صبيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح
ولم تكن آية مناسبة بين ذلك الخطاب العظيم الذي ابرزت فيه عقيلة
الوحي واقم يزيد ، وجردته من جميع القيم الانسانية ، وبين ما تمثل به
من الشعر الذي اعلن فيه أن الصبيحة تحمد من الصوائح ، وان النوح
يهون على النوائح ، فأى ربط موضوعي بين الأمرين .

صدى الخطاب :

وأحدث خطاب العقيلة موجة عاصفة في مجلس يزيد وأشاعت في نفوس
الجالسين. مشاعر الحزن والأسى والتدمر فقد أزاح عنهم حجب الشبهات
ونسف كل الوسائل التي صنعها معاوية لاقامة دولته وسلطانته وراح يزيد
يلتمس المعاذير ليبرر جريمته فقال لأهل الشام .

« أتدرون من أين أتى ابن فاطمة ؟ وما الحامل له على ما فعل ؟
وما الذي أوقعه فيما وقع ؟ » .

« لا »

« يزعم أن أباه خير من أبي وأمه فاطمة بنت رسول الله خير من أمي
وازه خير مني ، وأحق بهذا الأمر ، فأما قوله أبوه خير من أبي . فقد حاج
أبي إياه الى الله عز وجل ، وعلم الناس أيهما حكم له ، وأما قوله أمه خير
من أمي ، فلعمري ان فاطمة بنت رسول الله (ص) خير من أمي ، وأما
قوله جده خير من جدي : فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو
يرى ان ارسول الله (ص) فينا عدلا ولا ندا . ولكنه لما أتى من
قلة فقهه ، ولم يقرأ قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء » وقوله تعالى :
« الله يؤتي ملكه من يشاء » (١) .

لقد حسب الطاغية أن منطق الفضل عند الله انما هو الظفر بالملك
فراح يبني تفوقه على الامام بذلك ولم يعلم انه لا قيمة للملك عند الله فانه
يهبه للبر والمجاهر .

(١) الطبري ٦ / ٢٦٦

خطاب الامام زين العابدين :

وكان مجلس الطاغية حاشداً بجمهير الناس وقد أوعز إلى الخطيب أن يعنلي أهواد المنبر ايمجد الأمويين وينال من الحسين فاعتلى الخطيب المنبر فبالغ في الثناء على يزيد ونال من الامام امير المؤمنين وولده الحسين لينال هيات يزيد وعطاياه ، فانفض الامام زين العابدين وصاح به .

« ويلك أيها الخاطب اشتريت رضاء المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار . . . »

« والتفت الى يزيد فقال له :

« أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فانكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب . »

وهبت الحاضرون وبهروا من هذا الفتى العليل الذي ردهلى الخطيب والامير ، وقد رفض يزيد اجابته فالح عليه الجالسون بالسماح له ويعتبر ذلك بداية وهي عند اهل الشام فقال يزيد لهم .

« إن صعد المنبر لم ينزل الا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سليمان »

فقالوا له : وما مقدار ما يحسن هذا العليل .

انهم لا يعرفونه ، وحسبوا أنه لا يحسن شيئاً ، ولكن الطاغية بعرفه حقاً فقال لهم :

« إنه من اهل بيت قد زقوا العلم زقا »

وأخذوا يلحون عليه ، فانصاع لقلوبهم فسمح للامام ، فاعتلى أهواد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ويقول المؤرخون إنه خطب خطبة عظيمة أبكى منها العيون ، وأوجل منها القلوب ، وكان من جملة ما قاله :

« أيها الناس أعطينا ستاً ، وفضلنا بسبع : أعطينا العلم ، والحلم ،

والسماحة والمصاححة ، والشجاعة ، والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن
 منا النبي المختار محمد (ص) ومنا الصديق ، ومنا الطيار ، ومنا أسد الله
 وأسد الرسول ومنا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول ، ومنا سبطا هذه الأمة
 وسيدا شباب أهل الجنة .

فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي ، أنا
 ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم وللصلاة ، أنا ابن من حمل الزكاة بأطراف
 الرداء أنا ابن خير من ائزر وارثي ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى
 أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حج ولبي ، أنا ابن من
 حمل على البراق في الهواء ، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى
 المسجد الأقصى فسبحان من أسرى ، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدره
 المنتهى ، أنا ابن من دلى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من
 صلى بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن
 محمد المصطفى أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق
 حتى قالوا : لا إله الا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين
 وطعن برمحين وهاجر الهجرتين ، وبأبغ البيعتين ، وصلى القبلتين ، وقاتل
 ببدر وحنين ، ولم يكلمر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث
 النبيين ، وقاطع الملحدين ، ويمسوب المسلمين ، ونور المجاهدين وزين
 العاهدين ، وتاج البكائين ، وأصبر الصاهرين ، وأفضل القائميين من آل
 ياسين ، ورسول رب العالمين ، أنا ابن المؤيد بجبرئيل المنصور بميكائيل ،
 أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل الناكثين والقاسطين ، والمارقين
 والمجاهد أعداءه الناصبين ، وأفخر من مشى من قريش أجمعين ، وأول
 من أجاب واستجاب لله من المؤمنين وأقدم الساهقين ، وقاصم المعتدين ،
 ومببر المشركين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكمة

العابدين ، ناصر دين الله ، وولي أمر الله ، وبستان حكمة الله ، وعيبة علم الله ، سمح سخى بهلول زكي أبطحي ، رضي مرضي ، مقدم هام صابر صوام ، مهذب قوام ، شجاع قمام ، قاطع الأصلاب ، ومفرق الأحزاب ، أربطهم جناناً ، وأطلقهم عناناً ، واجراهم لساناً ، وأمضاهم عزيمة ، وأشدهم شكيمة ، أسد باسل ، وغيث هائل ، يطحنهم في الحروب ويلدرهم ذرو الرياح المشيم ، ليث الحجاز ، وصاحب الاعجاز ، وكبش العراق ، الامام بالنص والاستحقاق ، مكى مدني ، ابطحي تهامي ، خيلبي عقيبي ، بدري أحدي ، وشجري مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغى ليثها ، وارث المشعرين ، وابوا السبطين الحسن والحسين ، مظهر العجائب ، ومفرق الكتائب ، والشهاب الثاقب ، والنور العاقب ، أسد الله الغالب ، مطلوب كل طالب ، غالب كل غالب ، ذاك جسدي علي ابن أبي طالب .

أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة النساء ، أنا ابن الطهر البتول
أنا ابن بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (١) أنا ابن المزل بالدماء
أنا ابن ذبيح كربلاء ، أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء وناحت عليه
الطير في الهواء ، (٢) :

ولم يزل يقول أنا : حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي الطاغية من وقوع الفتنة وحدوث مالا تحمد عقباه ، فقد اوجد لخطاب الامام انقلاباً فكرياً في مجلس الطاغية ، وقد بادر بالايجاز الى المؤذن أن يؤذن ليقطع على الامام كلامه ، فصاح المؤذن :

« الله اكبر »

(١) مقتل الخوارزمي (٢ / ٦٩ - ٧٠)

(٢) نفس المهجوم (ص ٢٤٢)

فقال الامام : كبرت كبيراً لا يقاس ، ولا يدرك بالحواس ، لا شيء
اكبر من الله ، فلما قال المؤذن :
« اشهد ان لا اله الا الله »

قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وبشري ، ولحمي ودمي ،
ومخي وعظمي ، ولما قال المؤذن :
« اشهد ان محمداً رسول الله »
ثلثت علي بن الحسين الى يزيد فقال له :

« يا يزيد محمد هذا جدي أم جدك ؟ فان زعمت أنه جدك ، فقد
كذبت ، وإن قلت : إنه جدي فلم قتلت عثرته ؟ » (١) .
ووجم يزيد ولم يطلق جواباً ، واستبان لأهل الشام أنهم غارقون في
الجهالة والضلالة وان الحكم الأموي قد جهد على غوايتهم وشقائهم .
وقد اقتصر الامام في خطابه على التعريف بأسرته ونفسه ، ولم يعرض
لشيء آخر ، وقد كان ذلك من أروع صور الالتفانات وادقها وأعمقها ، فقد
كان المجتمع الشامي لا يعرف شيئاً عن أهل البيت ، ففسد اخفت السلطة
كل شيء عنهم ، وهدلهم بالولاء لبني أمية والحمد على أهل البيت .

صدي الخطاب :

واثر خطاب الامام تأثر آ بالفا في اوساط أهل الشام ، فقد جعل
بعضهم ينظر الى بعض ويسر بعضهم الى بعض بما آلوا إليه من الخيبة

(١) مقتل الخوارزمي (٢ / ٢٤٢)

والخسران ، حتى تغيرت أحوالهم مع يزيد (١) وأخذوا ينظرون إليه
نظرة احتقار وازدراء .

الشامي مع فاطمة :

ونظر بعض أهل الشام الى السيدة فاطمة بنت الامام امير المؤمنين
عليه السلام (٢) أو بنت الامام الحسين (٣) فقال ليزيد :
« هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي ،
وسرت الرعدة بجسمها ، فأخذت بثياب عمتها مستجبرة بها ، وانبرت
حليدة الرسول (ص) فصاحت بالرجل .
« كذبت ولؤمت ، ما ذلك لك ، ولا لأميرك ،
واستشاط يزيد غضباً لعدم ميلاة العقيلة به واستهانتها بشأنه ،
فقال لها :

« كذبت ، ان ذلك لي ، ولو شئت للعلت ،
فنهرت العقيلة متحدية له قائلة :
« كلا والله ، ما جعل لك ذلك ، الا أن تخرج من ملتنا ، وتدين
بغير ديننا . : »

وتميز الطاغية هيظاً حيث تحدته العقيلة أمام اشرف أهل الشام
فصاح بها :

« اياي استقبلين بهذا ؟ انما خرج من الدين أبوك وأخوك ،

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام (ص ١٢٨)

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٩٤ المنتظم ٥ / ١٠٠

(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٦٩

وانبرت العقيلة غير حافلة بسلطانه ولا بقدرته على البطش والانتقام
فردت عليه بثقة قائلة :

« بدين الله ودين أبي وجدي واخي اهتديت أنت وأبوك ان كنت
مسلماً . . . » .

وازال العقيلة بهذا الكلام الستار الذي تستر به يزيد بقتله للحسين
وأهل بيته من انهم خوارج خرجوا على امام زمانهم ، ولم يجد الرجس
جواهاً فقال وهو مغيب محنته :
« كذبت يا عدوة الله »

ولم نجد شقيقة الحسين جواباً تحسم به مهارت يزيد غير ان قالت :
« أنت امير مسلم ، تشتم ظلماً ، وتقهو بسلطانك »
ولهافت غضب الطاغية وأطرق برأسه الى الأرض ، واعاد الشامي
كلامه لى يزيد وكرر الشامي هذه المحاوره فصاح به يزيد :
« وهب الله لك حنتاً قاضياً ، (١) »

لقد احتفظت عقيلة الوحي بقواها الدائبة في تلك المحن الشاقة ،
وقابلت أعداء الاسلام بارادتها الصلبة الواعية التي ورثتها من جدها
الرسول (ص) ، يقول بعض الكتاب :

« وقد حققت زينب وهي في ضلعها واستكانتها أول نصر حاسم
على الطغاة ، وهم في سلطانهم وقوتهم ، فقد اقحمتها المرة بعد المرة ،
وقد أظهرت للملأ جهله ، كما كشفت عن قلة فقهه في شؤون الدين فان
نساء المسلمين لا يصبح مطلقاً اعتبارهن سبايا ومعاملتن معاملة السبي
في الحروب . »

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ /

وأكبر الظن ان هذا الخطاب من الشامي كان فاتحة انتقاد ليزيد
وبداية لتسرب الوعي عند الشاميين ، وآية ذلك انه كان يكفيه رد الخوراء
على يزيد بذلك الرد الذي أخرجه عن ريقه الاسلام إن استجاب لطلب
الشامي ، ووقوع الشجار العنيف بين الخوراء ويزيد ، مما يشعر منه أن
طلب الشامي كان مقصوداً لأجل بلورة الرأي العام وفضح يزيد
لا سيما ان هذا الطلب كان بعد خطاب السيدة زينب وخطاب الامام
زين العابدين (ع) وقد أحدثا وعيا عاما وموجة عاتية من السخط في
مجلس يزيد .

الامام السجاد مع المنهال :

والتقى الامام زين العابدين بالمنهال بن عمر فبادر إليه قائلا :

- كيف اسميت يا ابن رسول الله ؟

- أمسينا كمثل بني اسرائيل في آل فرعونذبجون ابناءهم ويستحيون
نساءهم . . . أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها ، وأمست
قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها ، وأمسينا معشر أهل بيته
مقتولين مشردين ، فانا لله راجعون ، (١) .

لقد كان الرسول الأعظم (ص) المصدر الأصيل لشرف الأمة
العربية الذي تفتخر به فهو الذي خطط للعرب حياة سادوا فيها جميع
شعوب الأرض ، وبنى لهم دولة كانت من أهدى دول العالم وأمنعها ، فكان
جزاؤه منهم ان عمدت قريش التي تفاخر العرب بأن محمداً منها إلى قتل
ذريته واستئصال شأفتهم وسبي نساءهم ، فهل هذا هو جزاء المنقذ والمحرر لهم ؟

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٣٤

النياحة على الحسين :

وطلبن بنات رسول الله (ص) من الطاغية أن يفرد لهن بيتاً ليقمن فيه مائماً على سيد الشهداء ، فقد نخر الحزن قلوبهن ، ولم يكن بالمستطاع أن يبدين بما ألم بهن من عظيم الأسى والشجون خوفاً من الجلاوزة الجفافة الذين جهدوا على منعهن من البكاء والنياحة على أبي عبد الله ، وقد أثر عن الامام زين العابدين (ع) أنه قال : كلما دمعت عين واحد منا فرعوا رأسه بالرمح ، واستجاب يزيد لذلك فأفرد لهن بيتاً ، فلم تبق هاشمية ولا قرشية الا لبست السواد حزناً على الحسين ، وخلدن بنات الرسالة الى النياحة سبعة أيام ، وهن يندبن سيد الشهداء هاشجى ندبة (١) وينحن على الكواكب من نجوم آل عبد المطلب ، وقد ذابت الأرض من حرارة دموعهن .

مكافأة ابن مرجانة :

وشكر الطاغية يزيد لابن مرجانة قتله لريحانة رسول الله (ص) وبالغ في تقديره وتكريمه فاستدعاه للحضور عنده في دمشق ليجازيه على ذلك ، وكتب اليه ما يلي :

« أما بعد : فانك قد ارتفعت الى غاية أنت فيها كما قال الأول :
رفعت فجاوزت للسحاب وفوقه فما لك الا مرتقى الشمس مقعد
فاذا وقفت على كتابي فاقدم علي لاجازيك على ما فعلت ،

(١) مقتل الحسين لعبد الله

وسافر ابن زياد مع أعضاء حكومته الى دمشق ولما انتهى إليها خرج لاستقباله جميع بني أمية ولما دخل على يزيد قام إليه واحتنقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه على سرير ملكه ، وقال للمغني غني وللساقى اسقي : ثم قال : اسقني شربة تروي فؤادي ثم صل واسق مثلها ابن زياد موضع السر والامانة عندي وعلى ثغر مغني وجهادي وأقام ابن مرجانة شهراً فاوصله بالفت الف درهم ، ومثلها لعمرو ابن سعد ، وأطلق له خراج العراق سنة (١) وقد بالغ في مودته فادخله على نسائه وعياله (٢) ولما وفد أخوه مسلم بن زياد على يزيد بجله وكرمه تقديراً لأخيه عبيد الله وقال له :

« لقد وجبت محبتكم على آل أبي سفيان ،

ونادمه يومه بأسره ، وولاه بلاد خراسان (٣) لقد شكر آل زياد ابادتهم لآل رسول الله وقد حسب النهم قد مهدوا له الملك والسلطان ، ولم يعلم أنهم قد هدموا ملكه ونسفوا سلطانه واخذوا له الخزي والعار .

ندم الطاغية :

وبعد أن نقم المسلمون على الطاغية بقتله لريحانة رسول الله (ص) ندم على ذلك وحاول أن يلصق بعمه تلك الجريمة باهن مرجانة ، وراح يقول : ما كان علي لو احتملت الأذى ، وانزلته - يعني الحسين - معي

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (ص ١٠٦)

(٢) ينابيع المودة ١ / ١٤٩ ، الصراط السوي في مناقب آل النبي

(ص ٨٥) .

(٣) الفتوح ٥ / ٢٥٤

في داري ، وحكمته فيما يريد ، وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في
سلطاني حفظا لرسول الله (ص) ورعاية لحقه وقرابته ، لعن الله ابن
مرجانة فقد بغضني بقتله الى المسلمين ، وزرع لي في قلوبهم العداوة ،
فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس في قتلي حسينا ، مالي ولابن مرجانة
لعنه الله وغضب عليه (١) .

واكبر الظن انه انما قال ذلك ليعبر نفسه من المسؤولية أمام المسلمين
ولو كان نادماً في قرارة نفسه لالتقم منه وعزله ، ولما شكره وأجزل له
العطاء وقربه ، وذلك مما يدل على رضاه وعدم ندمه فيما اقترفه .

منكرون وناقمون :

وسخط المسلمون وغيرهم كأشد ما يكون السخط على يزيد على قتله
لريحانة رسول الله (ص) وقصد أنكر عليه جمع من الأحرار وفيما يلي
بعضهم :

١ - ممثل ملك الروم

وكان في مجلس يزيد ممثل ملك الروم فلما رأى رأس الامام بين
يديه بهر من ذلك وراح يقول له :

- رأس من هذا ؟

- رأس الحسين

- من الحسين ؟

- ابن فاطمة

(١) تاريخ الطبري ٧ / ١٩ ابن الأثير ٣ / ٣٠٠

من فاطمة ؟

- اهنت رسول الله

- نبيكم ؟

- نعم

وفزع من ذلك وصاح به ا

و تبا لكم ولدينكم ، وحق المسيح إنكم على باطل ، ان عندنا في بعض الجزائر ديراً فيه حافر فرس ركبه المسيح فنحن نحج إليه في كل عام من مسيرة شهر وسنين ، ونحمل إليه النذور والأموال ، ونعظمه اكثر مما تعظمون كهبتكم ، أف لكم .
ثم قام من عنده وهو غضبان (١) قد افزعه ذلك المنظر الرهيب

٢ - حبر يهودي

وكان حبر يهودي في مجلس الطاهية فلما خطب الامام زين العابدين خطبته البليغة التي اثار الحماس وايقظت المجتمع ، التفت الحبر الى يزيد قائلاً ا

- من هذا الغلام ؟

علي بن الحسين

- من الحسين ؟

- ابن علي بن أبي طالب

- من أمه ؟

- بنت محمد

يا سبحان الله ! ! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه ، بشما خلفتموه

(١) مرآة الزمان (ص ١٠١) الصراط السوي (ص ٨٩)

في ذريته ، فو الله او ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطا لظننت أننا كنا
لعبيده من دون ربنا ، وأنتم فارقتكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه
سواة لكم من أمة .

وخصب الطاهية وامر به فوجيء في حلقه (١) فقام الحبر وقد رفع
عقبرته قائلا :

« إن شئتم فاقتلوني ، إني وجدت في التوراة من قتل ذرية نبي
فلا يزال ملعولاً أبداً ما بقي فاذا مات اصلاه الله نار جهنم ، (٢) .

٣ - قيصر ملك الروم

وتوالت صيحات الانكار على يزيد ، وكان ممن انكر عليه قيصر
ملك الروم فقد كتب إليه : « قتلتم نبيا أو ابن نبي ، (٣) .

٤ - رأس الجالوت

ومن الناقمين على يزيد رأس الجالوت فقد قال لمحمد بن عبد الرحمن
ان بني وهب داود سبعين أباً ، وان اليهود تعظمني وتحترمني وألتم قتلتم
ابن بنت نبيكم (٤) .

(١) فوجيء : ضرب ودق

(٢) الحسائق الوردية ١ / ١٣١ ، الفتوح ٥ / ٢٤٦ ، مقتل

الخوارزمي ٢ / ٧١ .

(٣) المحاسن والمساوي للبيهقي ١ / ٤٦

(٤) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٠) جواهر المطالب

في مناقب الامام علي بن أبي طالب (ص ١٣٦) .

٥ - وائلة بن الاسقع

ولما جيء برأس الامام إلى الشام كان الصحابي وائلة بن الاسقع هناك فتميز غيبظاً ، فالتقى به رجل من أهل الشام ، فاندفع يقول :
 « لا أزال أحب علياً والحسن والحسين وفاطمة أبداً بعدما سمعت رسول الله (ص) يقول فيهم : ما قال .
 « ما قال رسول الله (ص) فيهم ؟ »
 « جئت رسول الله (ص) وهو في منزل أم سلمة ، وجاء الحسن فاجلسه على فخذه اليمنى ، وجاء الحسين فاجلسه على فخذه الأيسر وقبله ثم جاءت فاطمة فاجلسها بين يديه ، ثم دعا بعلي فجاء ، وجعل عليهم كساءً خبيرياً ، كأبي انظر إليه ، ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (١) .

٦ - ابن عباس

ومن أشد الناقمين على يزيد عبد الله بن عباس ، فقد كتب إليه يزيد يستميل وده ، ويطلب منه مآزرتة على ابن الزبير فكتب إليه ابن عباس هذه الرسالة :

أما بعد : فقد جاءني كتابك فاما تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما ارجو بذلك برك ولا حمدك لكن الله بالذي أنوي عليم ، وزعمت انك لست بناس بري فاحبس أيها الانسان برك عني فإني حابس عنك بري ،

(١) فضائل الامام امير المؤمنين (ص ٢٦٤) لعبد الله بن أحمد ابن حنبل من مخطوطات مكتبة الامام الحكيم .

وسألت أن احبب الناس إليك ، وابفضهم واخلد لهم لابن الزبير فلا ولا سرور ولا كرامة ، كيف وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد الطالب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام ؟ غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء ، مقتولين بالظماء لا مكفنين ولا مسودين تسلي عليهم الرياح وينشئ بهم عرج البطاح حتى أتاح الله لهم يقوم لم يشركوا في دماهم كفنوهم واجنؤهم ، وبني وبهم لوعزت (١) وجلست مجلسك الذي جلست .

فما أنسى من الأشياء فلست بناس اطرادك حسيناً من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الى حرم الله وتسيرك الخيول إليه فما زلت بذلك حتى اشخصته الى العراق فخرج خائفاً يترقب فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فطلب اليكم المواعدة وسألكم الرجعة فاهتمتم فلة أنصاره واستئصال أهل بيته وعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك والكفر ، فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودي وقد قتلت ولد أبي وسيفك يقطر من دمي وأنت احد ثاري ، ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً ، (٢) .

وحفلت هذه الرسالة بانهام يزيد بأنه الذي أشخص الامام الحسين إلى العراق ليقتله ، وانه لم يخرج الا لمطاردة جيوش يزيد في المدينة وفي مكة ، ولم يكن خروجه إلى العراق استجابة منه لأهل الكوفة ، وانما ارغمته جيوش يزيد على ذلك .

(١) في رواية « وبني وبهم عززت »

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣١٨ ، ورواه اليعقوبي بصورة أخرى

ذكر فيه الأحداث المروعة التي اقترفها معاوية ويزيد .

٧ - ابن الزبير

ومن المنكرين على الأمويين عبد الله بن الزبير بقتلهم للإمام الحسين
فقد خطب في مكة فقال :

« ان أهل الكوفة شرارهم دعوا حسيناً ليولي عليهم ، وبقيم أمرهم
وبعيد معالم الاسلام ، فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه ، وقالوا له :
أما أن تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد فيرى فيك رأيه فاختار
الوفاة الكريمة على الحياة اللميمة فيرحم الله حسيناً وأخزى قائله ، ولعن
من رضي بذلك وأمر به » (١) .

وانما أبدى ابن الزبير الأسي على قتل الامام تصنعاً وتقرباً لعامة
المسلمين ، فقد كان في فرارة نفسه مسروراً لأنه تخلص من أعظم مناوئيه
ولو كان مؤمناً بما قاله لما آوى قنلة الحسين فقد ركن إليه والتحق به كل
من سلم من قبضة المختار كشبث بن ربعي وغيره ، وقد رحب بهم
وزج بهم لقتال المختار .

٨ - ابو برزة

ومن المنكرين على يزيد الصحابي أبو برزة الاسلمي حينما رآه ينكت
بمخصرته رأس الامام ، وقد ألعنا إلى حديثه في البحوث السابقة .

٩ - الاسرة الأموية

ولما قام الأمر على يزيد ، وتوالت عليه صيحات المنكرين ، فقد
نقمت عليه أسرته ومن بينها .

(١) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٤)

أ - يحيى بن الحكم

وكان من أشد المنكرين عليه يحيى بن الحكم فقد زقده في مجلسه ،
وقد دفع يزيد في صدره واوعز إلى شرطته باخراجه ، وقد ذكرنا لص
كلامه فيما تقدم .

ب - عاتكة بنت يزيد

وانكرت عليه عاتكة ابنته حينما ارسل الرأس الى حرمه ولسائه
فأخذته عاتكة فطيبته ، وقالت : رأس عمي ، وقد المعنا الى كلامها في
البحوث السابقة .

ج - هند

ونقمت عليه زوجته هند بنت عمرو ، فقد فزعت الى مجلسه وهي
مذعورة وقد رفعت صوتها :
« رأس ابن بنت رسول الله (ص) على باب دارنا ! ! »
فأسرع إليها الطاغية ، واسدل عليها حجابها ، وقال لها : اعولي
عليه يا هند فانه صريخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد (١) ،

١٠ - معاوية بن يزيد

ونقم معاوية على ابيه يزيد كما نقم على جده معاوية ، وقد رفض

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٢٨٤

الخلافة وزهد في الحكم ، وقد خطب في اهل الشام فندد في جده وأبيه وقال :
 « الا ان جدى معاوية نازع الأمر من كان اولى به منه لقرابته من
 رسول الله (ص) وقديمه وسابقته اعظم المهاجرين قديراً ، واولهم ايماناً ابن
 عم رسول الله (ص) وزوج ابنته جعله لها بعلا باختياره لها ، وجعلها
 له زوجة باختيارها له فهما بقية رسول الله (ص) خاتم النبيين ، فركب
 جدى منه ما تعلمون ، وركبتم معه مالا تجهلون (١) حتى اتته ميتته
 فصار في قبره رهينا بذنوبه واسيراً بجرمه ثم قلد أبي الأمر فكان خير أهل
 لذلك ، وركب هواه واخطله الأمل وقصر عنه الاجل وصار في قبره رهيناً
 بذنوبه واسيراً بجرمه ثم بكى وقال : إن من اعظم الأمور علينا علمنا بسوء
 مصرعه ، وبئس منقلبه ، وقد قتل حفرة رسول الله (ص) واباح الحرم
 وخرّب الكعبة ، (٢) .

وتهدم ملك آل أبي سفيان على يد معاوية بن يزيد ، وما كان يلبشه
 جده من استقرار الملك ودوامه في بيته ، فقد نسف قتل الحسين جميع
 ما بناه معاوية واسسه يزيد ، فقد احل ملكهم دار البوار ويقول المؤرخون :
 إن بني أمية قد قامت قيامتهم على أثر خطاب معاوية الذي فضح فيه جده وأباه
 فعمدوا إلى مؤدبه عمر القصوص فقالوا له : أنت علمته هذا ، ولقنته آياه
 وصددته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده ، وحملته على ماوسمنا به
 من الظلم ، وحسنت له البدع حتى لطق بما نطق ، وقال : بما قال ؛
 فانكر عمر ذلك ، وقال : والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبور على حب
 علي ، فلم يقبلوا ذلك منه واخجلوه فدفنوه حياً (٣) .

(١) جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب (ص ١٣٣)

(٢) النجوم الزاهرة ١ / ١٦٤

(٣) حياة الحيوان للدميري ١ / ٧٣

مخاريق وابطيل :

وحاول بعض المتعصبين لبني أمية قديماً وحينئذ تنزيه يزيد وتبريره من قتله لريحانة رسول الله (ص) والقاء التبعة والمسؤولية على ابن مرجانة ، وقد دعاهم الى ذلك الجهل والعصبية للعمياء التي حرفتهم عن الحق ولقتهم في شر عظيم ، ومن بين هؤلاء .

١ - ابن تيمية

وعظم حظ يزيد عند ابن تيمية ، فكان من أصلب المدافعين عنه فانكر أن يكون قد أمر بقتل الحسين وبالفج بجمرة في الدفاع عنه وقال :
« فيزيد لم يأمر بقتل الحسين ، ولا حمل رأسه بين يديه ، ولانكث بالقضيب على ثناياه ، بل الذي جرى هذا منه هو عبيد الله بن زياد ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري ، ولا طيف برأسه في الدنيا ولا سبي أحد من أهل الحسين » (١) .

وهذا القول مما يدعو الى السخرية والاستهزاء به ، فقد تنكر للضرورات التي لا يشك فيها كل من يملك وعيه واختياره ، فقد اعرض عن جميع ما ذكره المؤرخون من اقرار يزيد لهذه الجريمة للتكراء التي لا يقره عليها من يحمل وعياً دينياً أو روحاً اسلامية .

وقد عرف ابن تيمية بالتعصب المقيت حتى اعرض عن آرائه كل باحث حر ، وكاتب في التاريخ والبحوث الاسلامية ،

(١) سؤال في يزيد بن معاوية لابن تيمية (ص ١٦)

٢ - الغزالي

ومن المؤسف أن الغزالي قد هام حباً بحبب يزيد ، وغلّى في الاخلاص له والدفاع عنه فقال :

« ما صح قتله - يعني يزيد للحسين - ولا امره به - يعني لم يأمر يزيد ابن مرجانة بقتله ولا رضاه بذلك ، ومتى لم يصبح ذلك عنده لم يجز أن يقطن ذلك به ، فان اساءة الظن بالمسلم حرام قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من اللظن ان بعض الظن اثم ، (١) .

وسف الغزالي في كلامه على غير هدى فقد تنكر للبديهيات كما تنكر لها زميله ابن تيمية فهؤلاء المؤرخون أجمعوا على أن يزيد هو الذي أوعز لابن مرجانة بقتل الحسين وشدد عليه في ذلك وهدده بنفيه من آل أبي سفيان والحاقه بجده عبيد الرومي ان لم يخلص في حربه للامام ، وقد ذكرنا ذلك بما لا مزيد عليه في البحوث السابقة .

٣ - ابن العربي

وعرف ابن العربي بالبغض والكراهية لأهل البيت (ع) وقد ذهب الى أن يزيد امام زمانه وخليفة الله في أرضه وخروج الامام عليه كان غير مشروع وان الحسين قتل بشريعة جده (٢) حفنة من التراب عليه وعلى كل منحرف عن الحق وضال عن الطريق . بأي منطق كان يزيد القروء والمهود امسام المسلمين وخليفة الله في الأرض ، ابقته لسيد شباب اهل الجنة

(١) وفيات الأعيان ١ / ٤١٣

(٢) العواصم (ص ٢٣٢)

أم باباحته لمدينة الرسول (ص) وحرقه للكعبة كان اماماً للمسلمين ؟ وقد سمع عمر بن عبد العزيز شخصاً وصف يزيد بأمر المؤمنين فأمر بضربه عشرين سوطاً (١) .

ان الدفاع عن يزيد واضلاء الشرعية على حكومته ، وتبريره من الأثم في قتله لريخانة رسول الله (ص) انما هو دفاع عن المنكر ، ودفاع عن الباطل ، فيزيد وأمثاله من حكام الأمويين والعباسيين هم الذين عملوا على تأخير المسلمين وجروا لهم اللتن والخطوب والقوهم في شر عظيم .

٤ - ابن حجر

وانكر ابن حجر الهيثمي رضا يزيد او أمره بقتل الحسين (٢) وقد ساقته العصبية العمياء إلى هذا القول الذي يتنافى مع البديهيات من أن ابن مرجانة كان مجرد آلة من دون أن يكون له أي رأي أو ارادة في قتل الحسين ، وقد قال لمسافر بن شريح البشكري : اما قتلي الحسين فانه أشار علي يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله (٣) فلم يقدم ابن زياد على قتل الحسين إلا بعد أن هدده يزيد بالقتل إن لم يستجب له .

٥ - أنيس زكريا

ودافع انيس زكريا النصولي بحرارة عن يزيد فقال :
 و لا شك أن يزيد لم يفكر البتة بقتل الحسين ، ولم يأمل أن

(١) شذرات الذهب ١ / ٦٩

(٢) التتوى الحديثة (ص ٩٣)

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٢٤

تتطور المسألة العلوية فتلعب هذا الدور المهييب ، ويقدم ابن زياد
للفتك به « (١) .

٦ الدكتور النجار

ومن نزه يزيد الدكتور محمد النجار فقال : « ولا يتحمل يزيد بن
معاوية شيئاً من هذه التبعة - يعني تبعة قتل الحسين - لأنه على الرغم
من أن أُرِيحُه مَلطخ بالسواد إلا أنه - فيما يبدو - برىء من تهمة التحريض
على قتل الحسين ، (٢) .

٧ - محمد عزة دروزه

ومن أصلب المدافعين عن يزيد في هذا العصر محمد عزة دروزه
فقد أشاد بيزيد ونزاهه من هذه الجريمة ، كما نلنى المسؤولية عن ابن زياد
وسائر القوات المسلحة التي قتلت الحسين ولقى باللائمة على الحسين قال :
« وليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين الى يزيد فهو لم يأمر بقتاله فضلاً
عن قتله ، وكل ما أمر به أن يخاط به ولا يقاتل إلا إذا قاتل ومثل هذا
القول يصح بالنسبة لعبيد الله بن زياد فكل ما أمر به أن يخاط به ولا يقاتل
إلا إذا قاتل ، وان يؤتى به ليضع يده في يده أو يبيع ليزيد صاحب البيعة
الشريفة ، بل ان هذا يصح قوله بالنسبة لأمرأ للقوات المسلحة التي جرى
بينها وبين الحسين وجماعته قتال ، فانهم ظلوا ملتزمين بما أمروا به ، بل

(١) الدولة الاموية في الشام (ص ٥٨)

(٢) الدولة الأموية في الشرق (ص ١٠٤)

وكانوا يرغبون أشد الرغبة في أن يعافيههم الله من الابتلاء بقتاله فضلاً عن قتله ، ويبدلون جهلهم في اقتناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد فإذا كان الحسين أبي أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة فمقابلته وقتاله من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً « (١) . ويرى دروزه ان قتل ريحانة رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة كان سائغاً من الوجهة للشرعية والوجهة السياسية ، لا اكاد اعتقد ان السفكة الجلادين من قتلة الحسين اكثر حقداً وعداءً للامام من هذا اللسان الذي ران الباطل على ضميره فماج في تيارات سحيقة من المنكر والاثم .

رأي الدكتور طه حسين :

ويرى طه حسين ان يزيد مسؤول عن اراقة دماء الامام ، وليس من الصحيح القول بأن تبعة هذه الجريمة ملقاة على ابن مرجانة قال : « والرواة يزعمون أن يزيد تبرأ من قتل الحسين على هذا النحو فالقى عبء هذا الاثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ، ولكننا لا نراه لام ابن زياد ولا عاقبه ، ولا عزله عن عمله كله او بعضه ، ومن قبله معاوية قتل حجر بن عدي وأصحابه ، ثم القى عبء قتلهم على زياد وقال : حملني ابن سمية فاحتملت ، (٢) .

ان ابن زياد لم يفعل ما فعل الا بأمر قاطع من يزيد ، ولو كان لم يرض بذلك لحاسبه على جريمته وما جلس وإياه في مجلس الشراب ولما

(١) تاريخ الجنس العربي ٨ / ٣٨٣ .

(٢) الفتنة الكبرى ٢ / ٢٦٥ .

جزل له في العطاء فان ذلك يدل على رضاه بقتل الحسين وعدم ندمه
على مرارة المذبحة وهول الجناية .

كلمة التفتازاني :

قال التفتازاني : « اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو
أمر به أو اجازته أو رضي به والحق ان رضا يزيد بقتل الحسين
واستبشاره بذلك ، واهانته أهل بيت رسول الله (ص) مما تواتر معناه ،
وإن كان تلصبه آحاداً ، فنحن لا نتوقف في شأنه بل في كفره لعنة الله
عليه وعلى أنصاره واعوانه » (١) .

رأي اليافعي :

ويقول العلامة اليافعي : « واما حكم من قتل الحسين او امر بقتله
فهو كافر ، فمن استحل ذلك فهو كافر » (٢) .

رأي احمد بن حنبل :

وافق احمد بن حنبل بالامسك عن لعن يزيد يقول ابو طالب :
سألت احمد عن نال من يزيد بن معاوية فقال : لا تتكلم في هذا ، قال

(١) شلرات الذهب ١ / ٦٨

(٢) شلرات الذهب ١ / ٦٩

النبي : لعن المؤمن كقتله (١) ومن الغريب هذه الفتيا فقد جعل مدركها الحديث النبوي وهو لا ينطبق على يزيد فإنه لانصيب له من الايمان والاسلام بمسد اقرافه للجرائم الفظيعة كإهانة العترة الطاهرة وإباحة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وحرق الكعبة المقدسة فان كل واحدة من هذه الموهبات تخرجه من حظيرة الاسلام .

وقسد أنكر على أحمد ولده صالح فقد قال له : إن قوما ينسبوننا إلى تولي يزيد ؟ فقال له : وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله ؟ فقال له ولده .

- ولم لا تلعه ؟

- ومتى رأيتني لعنت أحداً ؟

- يا إلهة ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه ؟

- وابن لعن الله يزيداً ؟

- في قوله تعالى : « فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله » فهل يكون فساد أعظم من القتل . . وأمسك أحمد عن الجواب (٢) .

كلمة المعتضد العباسي :

وأصدر المعتضد العباسي كتاباً نشر فيه مخاوي بني أمية ، وأشاد فيه بآل البيت وأمر بإذاعته ونشره في النوادي الحكومية والشعبية والمجتمعات

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين الحنبلي ١ / ٣٠٤

(٢) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٥)

العامه أيام الجمعات والاهياد ، وقد جاء فيه مما يخص يزيد
 « ولما تكن الخلافة إلى يزيد طلب متحفظاً يطلب بثأر المشركين من
 المسلمين فأوقع بأهل المدينة وقعة الحرة الوقعة التي لم تمر على البشرية
 مثلها ، ولا على المسلمين أفصح واشم منها فشلتا عند نفسه هليله ، وظن
 انه انتقم لاشياخه من أولياء الله ، وبلغ الثأر لأهداء الله والرسول (ص)
 وأضاف يقول :

« ثم ان أهلظ ما انتهك واعظم ما اجترم سلكه لدم الحسين بن
 علي (ع) مع علمه بموقعه من رسول الله (ص) وسماحه منه أنه قال :
 « الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا ، الحسن والحسين سيدا شباب أهل
 الجنة ، اجترأ منه على الله ورسوله وعداوة منه لهما فما محاف من عمله
 ذلك لئمة ولا راقبه في معصية ، (١) .

لقد كان قتل ريحانة رسول الله (ص) من اعظم الاحداث الجفام
 التي روع بها المسلمون وامتحنوا بها امتحاناً شاقاً وحسباً ، كما انها من
 افجع الاحداث العالمية ، فقد كانت الفسوة التي قبولت بها حقرة النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم من افظع ما جرى في تاريخ العالم .

فقد مارس اولئك الجلمة الممسوخون من جيشن يزيد جميع ضروب
 الحسة وألوان اللؤم . وتكروا لجميع القيم الانسانية والاعراف السائدة ،
 وماقنته للناس من معاني الفضيلة والاخلاق ، فقتلوا الرجال والأطفال
 والنساء بعد أن حرموهم من الماء ومثلوا بتلك الجثث الزواكي ، وحلوا
 الرؤوس الطاهرة على الحراب ، وسبوا ودائع الرسول الأهم (ص)
 على اقتاب الجمال يطاف بهن في الاقطار والامصار ، ليظهر الطاهية
 قهره لآل النبي (ص) وتغلبه عليهم ، وكل هذه الاحداث جرت بأمره

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ٤٥٨

والخاحه ، فهو المسؤول عنها .
أما ابن زهاد فلم يكن سوى آلة واداة بيده ، ومنفد لرغباته كما دللنا
على ذلك في البحوث السابقة .
ان تنزيه يزيد ، والقاء المسؤولية على ابن مرجانة ماهو الا لون من
الوان الانحراف عن الحق ، والانقياد للعصبية العمياء التي لا يخضع لها
من يملك وعيه واختياره .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عما قيل في تبرير يزيد من المخاريق
والأباطيل ، وما أثر من الأعلام في تجريم يزيد وتحميله المسؤولية في
اراقة دم الامام ٥

المَثْبُوتُ

ولم يظن مكث اهل البيت في دمشق ، فقد خشي يزيد من وقوع الفتنة ، واضطراب الرأي العام ، ووقوع مالا نحمد عقباه ، فقد أحدث خطاب العقيلة زينب وخطاب الامام زين العابدين انقلابا فكريا في جميع الأوساط ، فقد انارت تلك الخطب المشرقة العقول ، وأثارت العواطف واصبحت حديث الأندية والمجالس فكانت تغلي كالحمم على تلك الدولة الغاشمة وهي تنذر بانفجار شعبي يكتسح دولة يزيد ، فقد عرفت اهل الشام لؤم يزيد ، وخبث عنصره ، وقلبت للرأي العام عليه فجوهه بالنقد حتى في مجلسه وسقط اجتماعيا ، وذهبت مكانته من النفوس .

اعتذار الطاغية من زين العابدين :

ودعا للطاغية الامام زين العابدين (ع) فأبدي له معاذيره ، والقي المسؤولية في هذه الجريمة على ابن مرجانة قائلا :
« لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو أني صاحبه ما سألتني خصلة أهدأ إلا اعطيته اياها ولدفعت الختف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ، ولكن قضى الله ما رأيت يا بني كاتبني بكل حاجة تكون لك (١) وانه سيكون في قومك أمور فلا تدخل معهم في شيء ، (٢) .
واعرض عنه الامام فلم يجبه بشيء ، ففسد عرف واقع اعتذاره ، وانه كان نهرها مما لحقه من العار والخزي .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٠٠

(٢) تلهيب التهذيب ١ / ١٥٧

عرض الأموال لآل البيت :

وأمر الطاغية بانطاع من الأبريسم ففرشت في مجلسه ، وصب عليها
أموالا كثيرة ، وقدمها لآل البيت لتكون دبة لقتلهم وعضوا لأموالهم
التي نهبت في كربلاء فقال :
« خذوا هذا المال عوض ما أصابكم »

رد السيدة أم كلثوم :

والتاعت شقيقة الحسين السيدة أم كلثوم وتميزت غيظاً فصاحت به .
« ما أقل حياءك ، وأصلف وجهك تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني
عوضهم » (١) .
وقالت سكينه :
« والله ما رأيت أفسى قلباً من يزيد ، ولا رأيت كافراً ، ولا مشركاً
شراً منه ، ولا اجفاً منه » (٢) .
وباء يزيد بالفشل ، فقد حسب أن أهل البيت تغريهم المادة ، ولم
يعلم أنهم من صنائع الله قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

طلبة الامام زين العابدين :

وعرض الطاغية على الامام زين العابدين أن يعرض عليه حاجته
فقال (٤) :

(١) (٢) مقتل الحسين لعبد الله

أريد منك أن تريني وجه أبي ، وأن تعيد على النساء ما أخذ منهن
ففيها مواريث الآباء والامهات ، وإذا كنت تريد قتلي فارسل مع العيال
من يؤدي بهن الى المدينة .

واكبر الظن ان الامام أراد من رؤية رأس أبيه ان يعطيه الرأس
الشريف ليواريه ، ولكن الطاغية لم يجبه إلى ذلك فقد أمر أن يطاف به
في جميع أنحاء البلاد لاشاعة الدعر والفرع بين الناس ، وحتى يكون عبرة
لكل من يخرج عليه ، وأما طلب الامام أن يعيد على النساء ما اخذ منهن
فلم يرد بذلك الحلي والحلل وغيرها من الأموال التي نهبت منهن في يوم
كرهلا ، وانما أراد أن يرد عليهم المواريث النفيسة التي ورثوها من
جدهم رسول الله (ص) كعمامته ودرعه وسيفه ، وغير ذلك مما هو
أثمن من المال .

واطرق الطاغية برأسه الى الأرض يفكر في طلب الامام (ع) ثم
رفع رأسه وقال له :

و اما وجه أبيك فلن تراه ، واما ما اخذ منكم فإريد إليكم ، واما
النسوة فلا يردهن غيرك ، وقد عفوت عن قتلك ، (١) ة

السفر الى يثرب :

وعهد الطاغية الى النعمان بن بشير ان يقوم برعاية ودائم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، ويصحبهم إلى يثرب (٢) و امر باخراجهم من

(١) مقتل الحسين لعبد الله

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٠٠

دمشق ليلا هوفاً من الفتنة ، واضطراب الأوضاع (١) .

وصول النبأ الى يثرب :

وانتهت الباء الكارثة الكبرى الى يثرب قبل وصول السبايا إليها ، وقد حمل النبأ عبد الملك بن الحارث السلمى بأمر من ابن زياد ، وقد اخذ يجد في السير حتى انتهى إليها ، وقد اعياه السفر فأسرع إلى حاكم المدينة الأشدق ، وقد لقيه رجل فرابه ما هو فيه من الارتباك فأسرع إليه قائلاً :

- ما الخبر ؟

- الخبر عند الأمير

وفطن الرجل لهول الأمر فقال :

« انا لله وانا إليه راجعون ، قُتل والله الحسين ، صدقت ام سلمة

بما لبأت به ، (٢) .

ووافى رسول ابن زياد حاكم المدينة فأخبره بمقتل الحسين فاهتز فرحاً

وسروراً وراح يقول :

« واعية براعية عثمان ، (٣) .

وامر الأشدق باذاعة ذلك بين الناس فهرعوا وقد علاهم البكاء

نحو الجامع النبوي ليتعرفوا على تفصيل الحادث الأليم .

(١) جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص ١٢٨)

(٢) زينب بنت علي لعبد العزيز سيد الأهل (ص ١٥٢)

(٣) مقتل الحسين لعبد الله

خطاب الأشدق :

واعلى الطاهية عمرو بن سعيد الأشدق اعراد المنبر وهو يهز اعطافه
مسروراً يقتل الامام ، وقد اظهر احقاده واضغاثه فقال :
« ايها الناس : إنها لدسة بلدمة ، وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد
خطبة ، حكمة بالغة فما نغني النذر ، لقد كان يسبنا ونمدحه ، ويقطعنا
ونصله ، كعادتنا وعادته ، ولكن كيف نهنم بمن سل سيفه علينا يريد
قتلنا الا ان ندفعه عن انفسنا . »

وقطع عليه عبد الله بن السائب خطابه الذي اظهر فيه الشماتة يقتل
ريحالة رسول الله (ص) ، فقال له :

« لو كانت فاطمة حية ورأت رأس الحسين لبكت عليه ،
وكان هذا الاستنكار بداية نقد يجابه به والي المدينة وهو يخطب وقد
لدهه نقده فصاح به . »

« نحن احق بفاطمة منك ابوها عننا ، وزوجها اخونا ، وامها
اهلنتنا ، ولو كانت فاطمة حية لبكت عينها ، وما لامت من قتله » (١) .
وقد شد الأشدق في قوله عن جميع الاعراف الاجتماعية فقد زهم
ان فاطمة لو كانت حية لما لامت قائل ولدها ، بل من المؤكد عنده انها
تبارك القاتل الأثيم لأن بذلك دعماً للحكم الأمري وبسطاً لسلطانهم الذي
يحمل جميع الانجاهات الجاهلية .

ان فاطمة لو كانت حية وشاهدت فلذة كبدها على صعيد كربلا
وهو يعاني من الحطوب والكوارث التي لم تجر على أي انسان لدايت نفسها
حسرات ، وقد روى علي عن رسول الله (ص) انه قال :

(١) مقتل المرقم (ص ٤١٧)

« تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ، ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق
بفاطمة من قوائم العرش ، فتقول : يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي
فيحكم لابنتي ورب الجنة » (١) :

فجيعة الهاشميين :

ووقع النبأ المؤلم بقتل الحسين كالصاعقة على رؤوس الهاشميين فقد
علا الصراخ والعهويل من بيوتهم ، وخرجت السيدة زينب بنت عقيل (٢)
ناشرة شعرها ، وهي تصيح :

« واحمداه ، واحسيناه ، واأخوتاه والاهيلاء » (٣) .

وجعلت تنظم ذوب روحها بايائها تخاطب بها المسلمين قائلة :

ماذا تقولون ، إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعزني وبانصاري وذريتي منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ماكان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلصوني بسوء في ذوي رحمي

فاجأها ابو الأسود وهو غارق في البكاء والشجون نقول :

« ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »
وعلاه الجزع وراح يقول :

(١) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٣)

(٢) زينب بنت عقيل تزوجت بهلي بن ركانة من بني عبد المطلب
اولدت منه ولداً ، ومن بناتها عبدة ، وهي أم أبي البخترى القاضي
المشهور جاء ذلك في انساب الاشراف ق ١ ج ١ .

(٣) مرآة الزمان في تواريخ الاهيان

أقول : وزادني حنقا وهبطا أزال الله ملك بني زياد
وابعدهم كما بعدوا وخافوا كما بعدت نمود وقوم هاد
ولا رجعت ركائبهم إليهم إذا وقفت يوم التناد (١)
رساد البكاء وعمت اللوعة وانتشر الحزن في جميع الحاء يثرب ،
فلم ير أكثر باك ولا باكية من ذلك اليوم .

مأتم عبد الله بن جعفر :

وأقام عبد الله بن جعفر مأتما للعزاء على ابن عمه الحسين فجعل
الناس يقدون عليه يعزونه بمصابه الأليم ، ويقول المؤرخون : انه كان له
مولى يسمى ابا السلاسل فقال له :
« هذا ما لقينا من الحسين ،

وقد حسب الغبي أنه يتقرب إليه بذلك لأنه لولا الحسين لما استشهد
ولداه ، ولما سمع ابن جعفر مقالته فقد أهابه ، وحلته بنعله قائلا :
« يا بن اللخناء تقول ذلك في الحسين ؟ والله لو شهدته لأحببت أن
لا افارقه حتى اقتل معه ، والله انه لما بسخي نفسي عن ولدي ، ويهون علي
المصاب بها أنها اصيبتا مع أخي وابن عمي مواسين له صابرين معه .
وأقبل علي حضار مجلسه فقال لهم :
« الحمد لله لقد عزّ علي المصاب بمصرع الحسين أن لا اكون
واسيته بنفسي فقلد واساه ولداي (٢) .

(١) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٩ ، معجم الكبير للطبراني ١ / ١٤٠

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٨

رزية ابن عباس :

ورزاً ابن عباس كأشد ما تكون الرزية محنة والمأ حينا سمع يقتل
الامام ، وكان في البيت الحرام فقد أسر إليه شخص ، وعرفه بالحادث
المؤلم فلذعر وفقد أهابه فقال له محمد بن عبد الله :

« ما حدث يا أبا العباس ؟ »

« مصيبة عظيمة نحتسبها عند الله »

ثم اجهش بالبكاء ، والصرف الى منزله حزينا كثيراً ، وأقام مأتماً
في بيته فأقبل عليه الناس يعزونه بمصابه العظيم ويشاركونه الأسى
واللوعة (١) .

مسور مع ابن الزبير :

ولما جاء نعي الحسين إلى مكة التقى مسور بابن الزبير فقال له مسور :

« قد جاء ما كنت تتمنى من موت الحسين بن علي »

فراوغ ابن الزبير وقال :

« يا أبا عبد الرحمن تقول لي هذا ؟ فوالله ليته ما بقي بالجما (٢)

حجر والله ما تمنيت ذلك »

ورد عليه مسور :

« أنت اشرت عليه بالخروج الى غير وجه »

« نعم اشرت عليه ، ولم ادر أنه يقتل ، ولم يكن بيدي أجله ،

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٨٦

(٢) الجما : هضبة قرب المدينة

ولقد جئت ابن عباس فعزيبته ، فعرفت أن ذلك يشغل عليه مني ، ولو
اني تركت تعزيبته قال : مثلي يترك لا يعزيبني بحسين ، فما اصنع ؟ اخوالي
وغرت صدورهم علي ، وما ادري على أي شيء ؟ ،
فاضدى له مسور النصيحة وقال له :
« ما حاجتك الى ذكر ما مضى دع الأمور تمضي ، وبر أحوالك
فأهوك أحد عندهم منك » (١) :

رأس الامام في يثرب :

وذهب اكثر المؤرخين إلى ان الطاهية بعث برأس ريحانة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إلى يثرب لاشاعة الرعب والخوف ، والقضاء
على كل حركة ضده ، ووجيء بالرأس الشريف الى حاكم المدينة عمرو بن
سعيد الأشدق فأذكر ذلك وقال :

« وددت والله إن امير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه ،

وكان في مجلسه الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم فصاح به :

« بشس ما قلت : هاله ،

وأخذ الوزغ الرأس الشريف وحمل يهز اعطافه بشراً وسروراً وهو

يقول بشماعة :

يا حبذا بردك في البدين ولونك الأحمر في الخدين

وجيء بالرأس العظيم فنصب في جامع الرسول (ص) وصرخت

نساء آل أبي طالب ، وهرعن الى القبر الشريفت ببكاء وهويل فقال مروان :

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٨٦ :

عجت نساء بني زبيد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب (١)
وراح مروان يبدي أفراده حينما سمع عويل الهاشميات قائلاً :
« والله لكأنني أنظر إلى أيام عثمان ، (٢)
والثقت الى قبر النبي (ص) فقال له :
« يا محمد يوم بيوم بدر ، (٣)
لقد ظهرت الأحقاد الأموية ، وظهر أنها لا تؤمن بالاسلام وانها
محتفظة بجاهليتها الأولى وقد استوفت ثأرها من النبي (ص) بإبادتها لعترته .
عودة السبايا الى كربلا :

وصرحت بعض المصادر أن سبايا آل البيت طلبوا من الوفد الموكل
بجراستهم أن يعرج بهم إلى كربلا ليجددوا عهداً بقبر سيد الشهداء فلبى
الوفد طلبهم فانعطفوا الى كربلا ، ولما انتهوا إليها استقبلن العلويات
مرقد أبي عبد الله (ع) بالصراخ والعيويل وسالت الدموع كل مسيل
وقضين أياماً ثلاثة كن من أثقل الليالي وأوجعها على أهل البيت فلم تهدأ
لهم عبدة حتى بعث الأصوات وتفتت القلوب .

وتصرح بعض المصادر ان الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري

(١) غداة الأرنب : اراد ان نساء أهل البيت عجنن بالبكاء كعجيج

نساء قریش بمصاب من قتل في بدر .

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ٥ / ١٠١

(٣) شرح النهج ٤ / ٧٢ ، ومن ذكر وصول الرأس الى يثرب البلاذري

في انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، والقاضي نعمان المصري في المثالب
والمناقب .

قد وفد الى التشرف بزيارة قبر أبي عبد الله فالتقى به الامام زين العابدين وأخذ يحدّثه عما جرى عليهم من صنوف الرزايا والنكبات ، ثم هادروا كربلا متوجهين الى يثرب (١) .

الى يثرب :

وانجه موكب اسارى أهل البيت الى يثرب فاحمد يمد في السير لا يلوي على شيء وقد جللته الاحزان والآلام ، وقد هامت عيون بنات رسول الله (صن) بالدموع وهن ينحن على فقسد الأحبة ويذكرن بمزيد اللوعة ما جرى عليهن من أسر الذك والهوان .

وكانت يثرب قبل قدوم السبايا إليها ترفل في ثياب الحزن على أم المؤمنين السيدة أم سلمة زوج النبي (ص) فقدمت بعد مقتل الحسين عليه السلام ، بشهر حزناً وكمداً عليه (٢) وهي التي انبأت الناس عن مقتله .

نعي بشر للامام :

ولما وصل الامام زين العابدين بالقرب من يثرب نزل فضرب فسطاطه وأنزل عمامته واخواته ، والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له :

(١) تفسير المطالب في أمالي أبي طالب (ص ٩٣) الحدائق الوردية ١ / ١٣٣ ، الامام زين العابدين لأحمد فهخي (ص ٥٩) مقتل الحسين لعبد الله ، مقتل المقوم .

(٢) مرآة الزمان (ص ١٠٣)

« يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟ »
« بلى يا بن رسول الله اني لشاعر »
« ادخل المدينة وانع ابا عبد الله »
والطلق بشر الى المدينة فلما انتهى الى الجامع النبوي رفع صوته
مشفوعا بالبكاء وهو يقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مسدرا
الجسم منه بكر بلا مخرج والرأس منه على القناة يدار
وهرعت الجماهير نحو الجامع النبوي وهي ما بين لائح وصائح
تنتظر من بشر المزيد من الأنباء فالتفت اليهم وهو غارق في البكاء قائلاً :
« هذا علي بن الحسين مع عماته واخواته قد حلوا بساحتكم ، وأنا
رسوله اليكم اعرفكم مكانه . »

وعج الناس بالبكاء وانطلقوا مسرعين يستقبلون آل الرسول (ص)
الذي برّ بدنيهم ودنياهم ، وانتشر الحزن وعمت الكتابة جميع الأوساط ،
فكان ذلك اليوم ، كما وصفه المؤرخون كاليوم الذي مات فيه
رسول الله (ص) (١) وازدحم الناس على الامام زين العابدين وهم
يعزونه بمصابه الأليم ، ويشاركونه الأسى واللوعة .

خطاب الامام زين العابدين :

ورأى الامام أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا
والنكبات ، وما عانوه من اسر الذك والهوان ولم يكن باستطاعته أن يقوم

(١) اللهوف (ص ١١٦)

خطيباً فقد ألت به الأمراض ، وانتهت الآلام فجيء له بكرسي فجلس عليه ، فقال (ع) :

والحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، هارياً الخلق أجمعين ، الذي بعد فارنم في السماوات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظام الأمور وفجائع الدهور ، والم فجائع ومضاضة اللواذع ، وجيل الرزء ، وعظيم المصائب الفاطمة الكاظة ، الفادحة الجائحة .

أيها القوم : إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الاسلام عظيمة ، قتل أبو عبد الله الحسين وعترته ، وسببت نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان ، من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس ، فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يجزن من أجله ، أم أية عين منكم تحبس دمعها ، وتضن عن انهاها فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأواجها ، والسماوات باركانها والأرض بارجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان في ليج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون ،

أيها الناس : أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحن اليه ، أم أي سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولا يصم .

أيها الناس : أصبحنا مشردين مطرودين ملودين شاسمين عن الامصار كأننا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الاسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين ، ان هذا الاختلاق ، والله لو ان النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا ، فانا لله وانا إليه راجعون من مصيبة

ما أعظمها وأفجعها واكظها وافظعها وامرها وأفدحها فعند الله نحتسب
ما أصابنا وما بلغ فإنه عزيز ذو انتقام .
وعرض الامام في خطابه إلى الخطوب السود التي عانتها الأسرة النبوية
وما جرى عليها من الظلم الهائل . . وانبرى إليه صمصمة فألقى إليه
مماذيره لأنه كان زمناً ، فقيل الامام عذره وترحم على أبيه ، ثم زحفت
الامام مع عماته واخواته إلى يثرب وقد احتفت به الجماهير وقد حلا منها
البكاء والصراخ ، ولما انتهوا إلى الجامع النبوي اخذت عقيلة آل أبي طالب
بعضادتي باب المسجد ، وجعلت تخاطب جدما الرسول (ص) قائلة :
« يا جداه اني ناعية إليك أخي الحسين » (١) .
وخلدن بنات رسول الله الى الحزن فأقمن المآتم على سيد الشهداء
وايسن السواد وأخذن يندبنه بأقسى واشجى ما تكون الندبة .

مكافأة الحرس :

وشكرن العلويات رئيس الحرس الذي قام برعايتهن من دمشق الى
يثرب فقد قام هن بخدمات جليلة تقضي مكافأته فقالت فاطمة بنت الامام
امير المؤمنين لأختها زينب .

« لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء ؟ »

« والله ما معنا شيء نصله به إلا حلينا »

« نعم هو ما تقولين »

وأخرجتا سوارين ودمالجين لهما ، وبعثتا بهما إليه ، واعتدرا في
أدب ، وتأثر الرجل من هذا الكرم الغامر وهو يعلم ما هن فيه من ضيق

(١) مقتل المكرم (ص ٤٧٢)

شديد ، فرده لبيها وقال باحترام :
« لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما يرضيني ، ولكن
والله ما فعلته الا الله ولقرابتكم من رسول الله (ص) » (١) .

حزن الامام زين العابدين :

وخلد الامام زين العابدين الى البكاء على أبيه ايلاً ونهاراً يقول الامام
الصادق (ع) : ان جدي علي بن الحسين بكى على أبيه عشرين سنة ،
وما وضع بين يديه طعام إلا بكى (٢) وعلاه بعض مواليه فقال له :
« لاني أخاف عليك أن تكون من الهالكين ،
فقال له الامام برفق :

« يا هذا انما اشكو شي وحزني إلى الله ، واعلم من الله ما لا تعلمون
ان يعقوب كان نبياً فغيب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر ولداً
وهو يعلم أنه حي فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن ، واني نظرت
الى أبي واخوتي وعمومي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني ؟
واني لا أذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى
عماتي واخواتي ذكرت فرارهن من خيمة الى خيمة » (٣) .

وبزاد وجيب الامام ، وتتضاعف آلامه حينما كان ينظر إلى ديار
أهله ، وهي خالية موحشة تنعى أهلها ، فقد رحلت عنها تلك الكواكب
التي كانت نضياء للناس حياتهم المكربة والاجتماعية ، وفيها يقول الشاعر ،

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٦ ، ابن الأثير ٣ / ٣٠٠

(٢) الامام زين العابدين لأحمد فهمي (ص ٣١)

(٣) مقتل المرقم (ص ٤٧) وقريب منه جاء في حلية الأولياء ٣ / ١٣٨

مررت على أبيات آل محمد فلم أر مثلها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغم تخلت
وفيها يقول دهب الخزامي :
مدارس آيات خلعت من للاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

لوعة الهاشميين :

وحزن الهاشميون على سيد الشهداء كأشد ما يكون الجزن والوعة
فاستمروا في النياحة عليه ثلاث سنين وكان مسور بن مخزوم وابو هريرة
والشيخة من أصحاب رسول الله يأتون متسترين فيستمعون لدهتهم ، ويبكون
بكاءً مرأ (١) .

حزن العقيلة :

وخلدت عقيلة آل أبي طالب الى البكاء والنياحة على انقراض أهلها (٢)
وكانت لا تجف لها عبرة ، ولا تفر عن البكاء ، وكلما نظرت الى ابن
اخيه زين العابدين يزداد وجيبها وحزنها (٣) وقد نخببت المصائب قلبها
حتى صارت كأنها جثة هامدة ، ولم تبق بعد الكارثة الا سلتين حتى سميت
روحها الى الرفيق الأعلى .

(١) دعائم الاسلام ١ / ٢٣٠

(٢) الوافي في المسألة الشرقية ١ / ٤٣

(٣) مقتل الحسين لعبد الله

لوحة الرباب :

ووجدت عليه زوجته الرباب وجداً شديداً ، وحزنت عليه حزناً عميقاً ، وقد اهدت من الوفاء ما لم ير مثله ، وقد خطبها الاشراف من قريش فابت وقالت : ما كنت لانتخذ حمواً بعد رسول الله (ص) وبقيت بعسده سنة لم يظلمها سقف حتى ماتت كمدأ (١) ويقول المؤرخون انها رثته رثاءً حزيناً فقالت فيه !

ان الذي كان نوراً يستضاء به	هكرهلا قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحه	عنا وحببت خير الموازين
قد كنت جبلا صعبا الوذيه	وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من الليتامى ومن للسائلين ومن	يغني ويأوي إليه كل مسكين
والله لا ابتغي صهراً بصهركم	حتى اغيب بين الرمل والطين (٢)

ويقول بعض المؤرخين إنها اقامت على قبره الشريف سنة ثم انصرفت وهي تقول :

الى الحول ثم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وهذا القول بعيد فان العائلة الحسينية بعد اليوم العاشر كلها رحلت
من كرهلا ، ولم يتخلف احد منها حسب ما اجمع عليه المؤرخون .
ويبلغ من وفاء ازواجه ان زوجته السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو
ابن نفيل كانت تنوح عليه ، وقد رثته بذوب روحها قائلة :

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٠٠ ، جواهر المطالب (ص ١٤١)

(٢) الاغانى ١٤ / ١٥٨

واحسينا فلا نسيت حسيننا اقصدته اسنة الأعداء
مادروه بكر بلا صريعا لاسقى الغيث بعده كربلاء (١)

احزان أم البنين :

وخلدت ام البنين الى البكاء والنياحة على ابنائها البررة اللذين استشهدوا مع اخيهم الحسين فقد نخب الحزن قلبها ، وراحت تبكيهم بلذوب روحها ويقول بعض المؤرخين : انها كانت تخرج الى البقيع فتندبهم بأشجى وأوجع ما تكون الندبة ، وكان الناس يجتمعون حولها فيسمعون رثاءها الحزين لابنائها فيبكون ، وكان ممن يبجيء لذلك مروان بن الحكم فيتأثر على قسوة قلبه وشدة عداوته لأهل البيت (٢) وقد نفي المحقق العلامة المغفور له السيد عبد الرزاق المقرم أن تكون أم البنين حية بعد كارثة كربلاء ، وانها توفيت قبل ذلك (٣) وقد صرح ابو الفرج وغيره من المعينين بهذه البحوث بانها كانت حية .

مصير الرأس العظيم :

وانطوت السنون والاجيال والناس يتسألون بلهفة أين دفن رأس الحسين ؟ بعدما أصبح جسده الطاهر مزاراً في كربلاء يطيف به الناس

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٤٤

(٢) مقاتل الطالبين

(٣) مقتل الحسين (ص ٤٢٠ - ٢٢٤)

متفقين ومختلفين ، وقد كثرت أقوال المؤرخين في المكان الذي حظي به
وهذه بعضها :

١ - في كربلا :

والمشهور عند الشيعة الامامية ان الرأس العظيم اعيد الى كربلا ،
ودفن مع الجسد الطاهر ، وقد ذكر السيد رضي الدين علي بن طاووس
ان عمل الطائفة على ذلك (١) ومن نص على ذلك المجلسي (٢) وابن
نما (٣) كما اشتهر ذلك عند فريق كبير من علماء السنة منهم الشبراوي (٤)
وابن الجوزي (٥) والبروني (٦) والقزويني (٧) وغيرهم ومما لا شبهة
فيه ان علماء الشيعة الامامية معنيون بالاهتمام والبحث عن هذه الجهة
اكثر من غيرهم ، فهم ادري بواقع الحال واكثر وقوفاً عليه من أي
باحث آخر .

أما كيفية نقل الرؤوس الشريفة الى كربلا ودفنها مع الاجساد الطاهرة
ففيما نحسب انه يمتثل أحد أمرين :

الأول - ان الامام زين العابدين التمس من يزيد أن يسمح له

-
- (١) اللهوف (ص ١١٢)
 - (٢) البحار ، اعلام الورى
 - (٣) مثير الاحزان (ص ٥٨)
 - (٤) الانتحاف بحب الأشراف (ص ١٢)
 - (٥) تذكرة الخواص (ص ١٥٠)
 - (٦) الآثار الباقية ١ / ٣٣١
 - (٧) عجائب المخلوقات (ص ٦٧)

بهذا فاجابه إليه ، وقد اخذ يزيد يتطلب مرضاة الامام بعد ان نقم عليه عليه المسلمون وكرهوا خلافته ، وعلى هذا فيطرح ما روي ان الامام (ع) لما طلب منه ان يريه وجه أبيه فلم يجبه إلى ذلك ، ويحتمل انه احابه اليه بعد رفضه .

الثاني - ان الامام زين العابدين طلب من حاكم المدينة حينما حملت إليه الرؤوس أن يواربها مع الأجسام فأجابه الى ذلك ، فأخذها ورجم الى كربلا وواراها مع الاجساد الطاهرة .

٢ - في البقيع :

وذهب فريق من المؤرخين الى ان الرأس الشريف دفنه حاكم المدينة في البقيع الى جانب أمه (ع) (١) .

٣ - في النجف :

واثرت مجموعة من الاخبار عن الامام الصادق (ع) تنص على أن الرأس الشريف دفن في الغري ، وهذه بعضها :

١ - روى عمرو بن طلحة قال : قال لي أبو عبد الله (ع) ا وهو بالحيرة أمسا تريد ما وعدتك قلت : بلى - يعني الذهاب الى قبر امير المؤمنين (ع) قال فركب وركب اسماعيل وركبت معها حتى اذا جاز الثوية وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض نزل ونزل اسماعيل

(١) شذرات الذهب ١ / ٦٧ ، مرآة الجنان ١ / ١٤٦ - ١٣٦ ،

البداية والنهاية ٨ / ٢٠٤ ، وسيلة المآل (ص ١٩٤) المنتظم .

ونزلت معها فصلى وصلى اسماعيل وصليت فقال لاسماعيل : قم فسلم
على جدك الحسين ، فقلت ، جعلت فداك اليس الحسين بكر بلا ؟ فقال :
نعم ، وليكن لما حمل رأسه سرقه مولى لنا فدفننه بجنب أمير المؤمنين (١) .

٢ - روى ابان بن تغلب قال : كنت مع أبي عبد الله (ع) فمر
بظهر الكوفة فصلى ركعتين ثم تقدم قليلا فصلى ركعتين ، ثم سار قليلا
فنزل فصلى ركعتين ، ثم قال هذا موضع قبر أمير المؤمنين ، قلت :
والموضعين اللذين صليت فيهما قال : موضع رأس الحسين وموضع منزل
القائم (٢) .

٣ - روى علي بن اسباط بسنده قال : قال ابو عبد الله (ع) :
إنك اذا أتيت الغري رأيت قبرين قبرا كبيرا وقبرا صغيرا ، اما الكبير
فقبر أمير المؤمنين (ع) وأما الصغير فرأس الحسين (ع) (٣) .
هذه بعض الأخبار التي نصح بأن الرأس الشريف قد دفن في
الغري ولكن التعبير في بعضها بأنه موضع الرأس لا يدك على أنه قد
دفن فيه .

٤ - في دمشق :

وذهب جمهور من المؤرخين الى أن الرأس الشريف قد دفن في
دمشق ، وقد اختلفوا في المكان الذي حظي به وهذه بعض الأقوال :

(١) وسائل الشيعة ١٠ / ٣١٠

(٢) فروع الكافي ٤ / ٥٧٢

(٣) وسائل الشيعة ١٠ / ٣١١

- أ - ذفن في حائط بدمشق
ب - في دار الامارة
ج - في المقبرة (١)
د - في داخل باب الفراديس ، ويعرف بمسجد الرأس (٢)
ه - في جامع دمشق (٣)
وهناك أقوال أخر غير هذه
ه - في فارس :

ذكر ذلك احمد عطية (٤) وهو قول شاذ لم يذكره أحد من المؤرخين .

٦ - في مصر :

وذهب بعض المؤرخين إلى أن الرأس الشريف قد حظيت به القاهرة
أما كيفية نقله لها ففيها قولان :
١ - ما ذكره الشعراني أن العقيلة زينب (ع) نقلته إلى مصر ودفنته
فيه (٤) وهذا القول شاذ لا يعول عليه .

(١) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٢) للبداية والنهاية ٨ / ٢٠٤

(٣) تأريخ الصحابة (ص ١٤) لابن حيان احمد التميمي مخطوط

(٤) دائرة المعارف الحديثة (ص ١٥٢)

(٥) الطبقات ١ / ٢٣

٢ - ما أفاده المقريري انه نقل من عسقلان إلى مصر سنة (٨٥٤٨)
في اليوم العاشر من شهر جمادى الآخرة ، وقد نقله سيف المملكة مع
القاضي المؤمن بن مسكين ، وجرى له استقبال ضخم (١) .
هذه بعض الأقوال التي ذكرت في مواراة الرأس العظيم ، وقد
شيد في اغابها مزار يطوف به المسلمون ، وهو من مواضع الاعتزاز والفخر
لكل بلد حظي بهذه النسبة .
وعلى أي حال فالحسين قائم في عواطف الناس وقلوبهم فلهي اعماق
النفوس قبره وذكره فهو اسمى صورة قدسها الناس في جميع الأحقاب
والآباد .

وقد سئل أبو بكر الألويسي عن موضع رأس الحسين فقال :
لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وخرجوا نحوي فمشهده بقلبي (٢)
وقال الحاج مهدي الفلوجي :

لا تطلبوا رأس الحسين فانه لا في حمى ثاو ولا في واد
لكننا صفو الولاء يدللكم في أنه المقبور وسط فؤادي (٣)

لقد احتل الامام الحسين عليه السلام مشاعر الناس وثوى في أفئدتهم
فهاموا في حبه وتقديسه ، وقد فجعوا بما جرى عليه من عظيم الرزايا
والخطوب ، وظلت رزقته تنخر في القلوب ، وتذوب النفوس من هولها

(١) نور الأبصار (ص ١٢١)

(٢) البابليات ٣ / ١٢٨

(٣) شعراء الحلة ٥ / ٣٧١

أسى وحرزنا ، وهم يحجون لكل مرقد يحمل شرف الانتساب بأئمه مرقد
رأس الامام عليه السلام ، وقد ازدحم المرقد العظيم بالقاهرة بالزائرين
وهم يتبركون به ، ويعدون زيارته من أفضل الطاعات والقربات إلى
الله تعالى .

مُعْطَاةُ الثَّوْرَةِ

وليس في تاريخ هذه الدنيا ثورة هزت العالم ، ومجّدت الحق ،
وسجلت فخراً للإنسان مثل ثورة الإمام الحسين ، فجميع فصولها أور ،
وكل آفاقها شرف ومجد ، وقد حطت بالدروس الخالدة عن العقيدة التي
لا تضعف ، والإيمان الذي لا يقهر ، والاباء الذي لا يذل . وقد
فتحت لأمم العالم وشعوب الأرض عصراً جديداً اتم بروح الثورة والتمرد
على الظلم والطغيان ، ومقاومة الاضطهاد ومناهضة الفساد :
لقد كانت ثورة ابي الأحرار هي الثورة الاولى في التاريخ البشري
وذلك بما حققته من المكاسب على الصعيد الفكري والاجتاهي والسياسي
والتي كان من بينها .

انتصار القضية الاسلامية :

واحرز الامام العظيم بشهادته النصر الهائل الذي لم يجرزه أي ثائر
في الأرض فقد انتصرت أهدافه ومبادئه التي ناضل من اجلها ، وكان من
أهمها انتصار القضية الاسلامية في صراعها السافر مع الأموية التي عبثت
بمقدرات الاسلام ، وراحت تستأصل جميع جذوره حتى لا يعد له أي ظل
على واقع الحياة ، وقد اخذ الحسين على عاتقه مصير الدين الاسلامي
فاستشهد في سبيله ، وقد اعاد سلام الله عليه للاسلام نضارته ، وأزال عنه
الخطر الجاثم عليه ، يقول الفيلسوف الألماني مارين : « لا يشك صاحب
الوجدان اذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر وكيفية نجاح بني أمية
في مقاصدهم ، واستيلائهم على جميع طبقات الناس ونزول المسلمين . .
ان الحسين قد أحميا بقتله دين جده وقوانين الاسلام ، ولو لم تقع تلك
الواقعة ، ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين . . . ولولا قتل
الحسين لم يكن الاسلام على ما هو عليه قطعاً ، بل كان من الممكن ضياع

رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ حديث العهد :
ويكفي الحسين ربما في شهادته انه احيا الاسلام وفداه بدمه ، وقد
المع الى ذلك الامام زين العابدين حينما سأله ابراهيم بن طلحة بن عبد الله
فقال له :

« من الغالب ؟ »

(اذا دخل وقت الصلاة فاذن واقم تعرف الغالب) (١)
لقد كان الحسين هو المنتصر والغالب لأنه اعاد للاسلام حياته ونضارته
فكان هو المجدد وامل الرسول الاعظم (ص) عنى هذه الجهة بقوله :

« حسين مني وأنا من حسين »

انه لولا تضحية الحسين (ع) أضاعت جميع جهود الرسول (ص)
وما جاء به من خير وبركة ورحمة للناس فان بني أمية حملوا معول الهدم
على جميع المبادئ التي جاء بها هذا الدين فاعلنوا الكفر والحاد وساسوا
الناس بسياسة لا تظلم فيها لحكم القرآن .

هزيمة الأمويين :

وكان من أوليات ما احرزها الامام من الانتصارات الرائعة هزيمته
للأمويين ، فقد نسفت تضحيته جميع الأسس والقواعد التي اقامها معاوية
لتوطيد الملك في آل أبي سفيان ، يقول بعض الكتاب : « ان ما بناه
معاوية لابنه يزيد في احوام هدمه الحسين في أيام ، ونظر الناس الى الخليفة
نظرة الآفن والاستهتار فنفر المسلمون من سياسته ، ولصوق هذا بدولتهم
ووسمه الواسمون بسمات الخديعة والمكر والظلم والجور ، وذلك كله

(١) امامي الشيخ الطوسي

بفضل هدي الحسين ، وحسن سمته ، وما رسمه من سياسة حكيمة في الوقوف أمام ظلمهم ، وما اختطه من خطة قوية في دفع عنهم وبقيهم وما أبداه في حركاته من حزم وإيثار ، (١) .

لقد أطاح الامام بنهضته المباركة بتلك الرؤوس التي نفخها الكبر واثقلها الغرور ، واعماها الطيش ، يقول السيد مير علي الهندي : « إن مذبح كربلا قد هزت العالم الاسلامي هزاً عنيفاً مما ساعد على تقويض دعائم الدولة الأموية ، (٢) .

أما مظاهر الهزيمة الأموية بعد قتل الامام (ع) فهي :

أ - تجريدهم من الواقع الاسلامي

اتخذت مجزرة كربلا الرهبة على تجريد الأمويين من الاطار الاسلامي ، وأثبتت أنهم على وثنيتهم وجاهليتهم ، فان ماجرى على آل الرسول (ص) من الاهداء الشاملة بعد أن حرمت عليهم القيادة العسكرية المأهولة ، وما جرى على ریحانة رسول الله (ص) من التمثيل بعد القتل ، وسبب حرائر النبوة وعقائل الوحي يطاف بهن من بلد الى بلد ، وهن بحالة تقشع منها الأبدان ليظهروا قهر آل النبي (ص) ، واهداء التشفي منهم أمام الرأي العام ، وما تمثل به يزيد من الشعر الذي انكر فيه نبوة الرسول (ص) وانه انما اهاد عمرته طلباً بثأر من قتل من الأمويين في واقعة بدر كل ذلك قد جرد الأمويين من كل نزعة اسلامية ، ودلل على مروفتهم من الدين .

(١) ریحانة الرسول (ص ١٧٦)

(٢) مختصر تاريخ العرب

ب - شيوع النعمة والانكار عليهم

وكان من مظاهر المذبذبة الساحقة التي مُني بها الأمويون شيوع النعمة والانكار عليهم في جميع الاوساط فقد تعالت موجات عارمة من الانكار على يزيد حتى من عائلته وامرته ، وقد فزع من ذلك كأشد ما يكون الفزع ، وندم على ما اقترفه ، وساءت العلاقة بينه وبين ابن مرجانة فيما يقول المؤرخون :

ه - تحول الخلافة عن بني امية

وهزمت ثورة الامام الحكم الاموي ، ونسفت جميع معالمه ، وجعلته يعيش في ثورات متلاحقة قامت بها الشيعة ، وغيروا حتى انهار صرح ذلك الحكم الأسود بقيام الدولة العباسية ، وسنذكر عرضا لذلك .

التدليل على واقع أهل البيت :

ودلت ثورة أبي الشهداء (ع) على الواقع المشرق لأهل البيت ، وكشفت للعالم الاسلامي الطاقات الهائلة التي يملكونها من الثبات على الحق والصمود أمام الأحداث ، وتبني القضايا المصيرية للأمة ، مما جعلت جمهرة المسلمين يكتفون لهم أعظم الود وخالص الحب والولاء .
لقد اظهرت كارثة كربلاء للعيان أن أهل البيت هم المثلى الأعلى للقيادة الروحية والزمنية لهذه الأمة ، وانهم الرواد للحق والعدل في الأرض .

تركيز التشيع :

ومن معطيات الثورة الحسينية انها ركزت التشيع في اطاره العقائدي واصبح عقيدة راسخة في نفوس الشيعة ، يقول فيليب حتى : (لقد وُلدت الشيعة في اليوم العاشر من المحرم ، ومن ذلك اليوم اصبحت الامامة في سلالة علي قاعداً من قواعد العقيدة الشيعية ، كما كانت نبوة محمد (ص) قاعداً من قواعد الاسلام (١)) ويقول بعض المستشرقين : (لولا مقتل الحسين لما كانت هناك شيعة في الاسلام) (٢) ويقول سنرثمان : لقد كانت دماء الحسين التي سالت على سيوف القوات الحكومية هي النواة التي انبتت العقيدة الشيعية اكثر من دماء علي الذي اغتالته يد متآمر خارجي .

ويقول الشيخ التستري : انه لو لم يتحمل الحسين لهذه المصائب لم يظهر دين للشيعة ، وذلك لأن بني أمية لما استولوا على البلاد واظهروا الفساد ، وسعوا في اخطاء الحق ، حتى شبهوا الأمر على الناس ، فجعلوا سب علي من اجزاء الصلاة ، وادخلوا في اذهان الناس أن بني أمية أئمة الاسلام ، ورسخ ذلك في عقائد الناس من زمن طفولتهم حيث انهم القوا ذلك الى المعلمين ليقدوا الاطفال في مكاتبهم ومدارسهم ، فاعتقد الناس حقيقة ان هؤلاء أئمة الدين ، وان مخالفهم على ضلال . . ولما قتل الحسين بتلك الكيفية وسببت هياله تنبسه الناس الى أن هؤلاء لو كانوا أئمة حق ما فعلوا ذلك ، وان فعلهم لا يطابق ديناً ولا مذهباً ولا عدلاً ولا يطابق جور الجائرين (٣) .

(١) تاريخ العرب ١ / ٢٣٧

(٢) الحسين بن علي لعمر ابو النصر (ص ١٠)

(٣) خصائص الحسين (ص ٨٩)

لقد اذكت تلك الدماء الزاكية روح الولاء والاخلاص لأهل البيت عند جمهور المسلمين ، وقد انضم تحت اوائهم في ذلك العصر الكثيرون ممن كانوا يقفون موقف الحياد بين الأحزاب المتطاحنة على الحصول على الحكم (١) ان ما جرى على ریحانة رسول الله (ص) من المصائب المدهلة قد حبر العقول ، وطاش بالألباب ، واذهل كل كائن حي .

توحيد صفوف الشيعة :

وعملت كارثة كربلا على توحيد صفوف الشيعة ، وخلق روح التضامن فيما بينهم بعد أن كانوا ينقصهم الحماس وبذل النفس في الدفاع عما يؤمنون به من أن الخلافة حق شرعي خاص لأهل البيت وقد تبدل ذلك الشعور فكانوا أقوى قوة فعالة تصدت للاطاحة بحكم الأمويين ، فقد هبوا جميعاً وشعارهم :

« يا لثارات الحسين »

يقول بعض الكتاب : « لقد كان هذا الحادث البشع المنكر مذكياً للتشيع إلى أقصى حد ، وكان عاملاً على وحدة الشيعة وحماسهم لنصرة مذهبهم ، وسبباً في ثوراتهم الجارفة ليثأروا من قتلة الحسين » (٢) ، وأكد ذلك بروكلمان بقوله : « لقد اذكت تلك الدماء التي روت أرض كربلا روح التشيع في نفوس الشيعة ، وجعلتهم يشعرون بوجود توحيد صفوفهم » .

(١) اتجاهات الشعر العربي (ص ٣٠)

(٢) أدب السياسة في العصر الأموي (ص ٤٠) .

لقد اثارت مذبحه كرهلا العواطف والأحزان في نفوس الشيعة
وجعلتهم يؤمنون قبل كل شيء بضرورة انقاذهم الأخذ بثأر الامام العظيم
الذي ثار من أجل العدل واعادة حقوق المظلومين والمضطهدين .

تكوين الحس الاجتماعي :

وعملت نهضة الامام على تكوين الحس الاجتماعي وخلق روح
الثورة في النفوس ، وقد تغيرت الأمة تغيراً كاملاً فتسلحت بعد
خمودها بقوة الايمان وقوة العزم والتصميم ، وتحررت من جميع السلبات
التي كانت ملمة بها ، فقد اخذت تنادي بحقوقها ، وتعمل جاهدة على
اسقاط الحكم الأموي ، وهي تقدم - بسخاء - القرايين في ثورات
متلاحقة تمثل سخطهم العارم وكرهيتهم الشاملة لبي أمية ، ولم يعد هناك
أي ظل للخوف والفرع فيهم ، حتى اكتسحت مشاعر الزهو الأموي ،
واطاحت بجزوت الأمويين وطفبانهم .

لقد قلبت ثورة الامام الحسين مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت
سائدة في الأمة الى مبادئ الثورة والنضال والتحرر من ربة اللد
والعبودية ، فقد أعطاهم الامام قوة دافعة ، وامدهم بروح وثابة لمقارعة
الظلم والظلمين .

تفجير المواهب :

ومن معطيات الثورة الحسينية انها فجرت المواهب والمبقرات ،
فبرزت طاقات هائلة من الأدب الرفيع في طليعة الأدب العالمي رقة

وزوعة وجمالاً .

لقد حفل أدب الثورة الحسينية بأروع ما حفل به الأدب السياسي في الإسلام ، ففيه مناجم اخاذة تعد من أوفر المناجم الفكرية عطاءً واغزرها فناً ، ومن بين ما حفل به .

أولاً - الاشادة بالعدالة الاجتماعية والقيم الانسانية التي ناضل من أجلها الامام العظيم .

ثانياً - شجب الظلم ومقارعة الطغيان ، ومناهضة الغرور والطيش
ثالثاً - بعث المجتمع نحو العزة والاباء اقتداءً بالامام الحسين سيد الأباة ورائد الكرامة الانسانية .

رابعاً . عرض الانجازات الفكرية والعقائدية التي يحملها الامام العظيم .

خامساً - تمجيد الامام بما لم يمجّد به أحد من شهداء الإصلاح الاجتماعي ، فقد تفاعلت مبادئه مع عواطف شعراء الشيعة ، وأدركوا المد الانساني في نهضته الخالدة فراحوا يقدسونه بأروع ما يقدر به أي مصلح اجتماعي في الأرض .

سادساً - الحط من الأمويين والتشهير بجرائمهم المعادية للإسلام .

سابعاً ؛ عرض ماجرى على أهل البيت من المحن والخطوب يقول السيد محمد سيد السكيلاني : « جاء الأدب الشيعي صورة صادقة لما وقع على العلويين من اضطهاد . ويقول : كانت مجزرة كربلاء التي قتل فيها الحسين وما حل بالعلويين بعدها دافعاً قويا للشعراء انطقهم بكثير من القصائد التي تسيل العبرات ، وتذيب القلوب وتفتت الأكباد ، ولا غرابة في ذلك فهي صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب ، والأشلاء التي تناثرت ، وتركت على الأرض طعاماً للطير . . وقد كثر الشعر في

رثاء آل البيت كثرة هائلة ، وكله صادر من أعماق النفوس ، منبعث من قرارة الأئمة ، فكان للأدب العربي من ذلك ثروة لا تقدر ، (١) .
 ثامناً - جمال الروعة في ادب الثورة الحسينية وحرارة العاطفة ، يقول بعض الكتاب : والشعر الذي رثي فيه الحسين حار ملتهب لأنه تعبير عن عواطف قوية ، وتنفيس عن نفوس متأججة نائرة فهم غضاب ساخطون لأن بني أمية سلبوهم حقهم وغصبوهم مكانهم فصوروا غضبهم في شعر حائق على الأمويين (٢) .

ان الشعر الحسيني يمثل للصدق في وصف العاطفة الملتهبة وان أصحابه لم يكونوا متكلفين ولا متحليين ، وانما كانوا متأملين كأشد ما يكون التألم فيصفون الامام وصفاً صادقاً . لقد كان ذلك الادب الحي من اثرى الوان الأدب العالمي ، ومن أبرز القيم الثقافية في الاسلام .
 ومما تجدر الاشارة اليه الى أن الأدب الحسيني لم يصطنع بهذه الصبغة ويتبوء مكانه الأعلى في الأدب الاسلامي الا بعد حقبة طويلة من الزمن ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما ذكره ابو الفرج الى أن الشعراء كانوا لا يقدمون على رثاء الحسين مخافة من بني أمية .

منابر الوعظ والتوجيه :

ومن أروع النتائج التي حققتها ثورة أبي الأحرار هي المنابر الحسينية التي أصبحت منطلقاً لتوجيه الامة وارشادها وذلك بما يبثه السادة الخطباء من الوعظ والارشاد وعرض مأساة أبي الشهداء التي هي من أروع الدروس

(١) اثر التشيع في الأدب العربي (ص ٢٣)

(٢) أدب السياسة (ص ١٨٩)

وأثمنها للتضحية في سبيل الحق والعدل ، وقد وصف الكاتب الالماني مارتن هذه المنابر بأنها من أهم الاسباب لتقدم المسلمين إن هم أحسنوا تنظيمها والاستفادة منها ، إن مأساة أبي عبد الله (ع) جزء لا يتجزأ من رسالة الاسلام وهي تمثل كفاحه ونضاله ضد الطغاة ووقوفه الى جانب المظلومين والمضطهدين ، ويقول جون اشرا : ان مأساة الحسين تنطوي على أسى معاني الأستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي (١) ،

إن المنابر الحسينية من أهم المكاسب ومن اروغ المعطيات في ثورة أبي الشهداء (ع) فقد عملت على غرس النزعات الخيرة في النفوس وابعادها عن عوامل الشلوذ والانحراف ، وتوجيهها الوجهة الصالحة التي تنسم بالاستقامة وحسن السلوك ، كما انها من المدارس السيارة لنشر الايمان بالله واذاعة القيم الاسلامية بين الناس .

امتداد الثورة :

لقد أثارت كارثة كربلاء موجة رهيبية من القلق النفسى والانفعالات العميقة سيطرت على نفوس المسلمين ، ودفعتهم إلى العمل السياسي والتكتمل الاجتماعي للاطاحة بالحكم الاموي و الانتقام من السفكة المجرمين .

لقد كانت الارض تستعر حرها منذ قتل الحسين (٢) فقد هبت الشعوب الاسلامية كالمارد الجبار وهي تعلن سحقها العارم على الحكم الاموي وتعمل على سقوطه ، ومن بين هذه الثورات :

(١) رحلة الى العراق

(٢) الذهب المسبوك للمقرئبي (ص ٢٧)

١ - ثورة عبد الله بن عفيف :

وهي أول ثورة في الكوفة بعد قتل الامام مباشرة ، قام بها البطل العظيم عبد الله بن عفيف الازدي ، فكان أول من اطلق شرارة الثورة وأحال النصر الكاذب الذي احرزته ابن مرجانة الى هزيمة ، وقد تحدثنا عن فصولها في البحوث السابقة .

٢ - ثورة المدينة :

والشيء المحقق أن الثورة في يثرب كانت امتداداً لثورة أبي الشهداء (ع) فقد كانت النفوس تغلي كالمرجل غيظاً وحنقا على يزيد لانتهائه حرمة رسول الله (ص) في قتله لعترة وسببه لدراريه .

وقد أفعمت القلوب حزناً وألماً حينما رجعت سبابا أهل البيت (ع) إلى المدينة وجعلت تقص على أهلها ماجرى على ربحانة رسول الله (ص) من عظيم الرزايا وفوادح الخطوب ، وما عانته عقائل النبوة ومخدرات الوحي من الأمر والسبي .

لقد كانت شقيقة الحسين وحليدة الرسول (ص) زينب تلهب العواطف للطلب بثأر أخيها .

وقد رأى أهل المدينة أن الخروج على يزيد واجب شرعي فخلعوا بيعته رسمياً وأعلنوا الثورة على حكومته ، وقد عهد يزيد الى المجرم الاثيم مسرف بن عقبة المري باجتلال يثرب وضم اليه جيشاً مكثفاً قوامه اثنا عشر الفا من أهل الشام ، وقد أمره أن يبيعها لجنده ثلاثة أيام يصنعون بأهلها ما يشاءون وينهبون من أموالهم ما يحبون .

وزحف مسرف بجنوده الى المدينة فاحتلها ، وقد أباحها لجنده ثلاثة أيام فقتلوا ونهبوا واستباحوا كل ما حرمه الله ، ثم أخذ البيعة من أهلها على أنهم خول ليزيد ، ومن أبي ضربت عنقه ، وقد حدثت من الرزايا في تلك الواقعة ما تدوب منه النفوس ، وقد ذكر المؤرخون صوراً مروعة ومحنة مما حل بالمدينين فكانت هذه الكارثة كفاجعة كربلاء وقد دفعت الشعوب الاسلامية إلى التكتل السياسي للعمل ضد الحكم الأموي والاطاحة به .

٣ - ثورة التوابين :

وندم أهل الكوفة أشد الندم على خذلانهم للإمام وجعلوا يتلاومون على ما اقترفوه من عظيم الأثم وقد أجمعوا على اقرارهم بالدلب في خذلانه ولزوم التكفير عنه بالمطالبة بثأره وقد خاطب أحدهم اهتبه فقال لها : يا بنية إن أباك يفر من ذنبه إلى ربه (١) وقد عقدوا مؤتمراً في منزل سليمان بن صرد الخزاعي ، وهو شيخ الشيعة وصاحب رسول الله (ص) وذوالسابقة والقدم في الاسلام ، فقد تداولوا الحديث فيما بينهم ورؤوا أنه لا يغسل عنهم العار والاثم الا بقتل من قتل الحسين (ع) .

وقد القيت في قاعة الحفل عدة خطب حماسية وهي تدعو الى التلاحم ووحدية الصف للأخذ بثأر الامام العظيم ، وكان انعقاد المؤتمر فيما يقول المؤرخون في سنة (٦١ هـ) وهي السنة التي قتل فيها الحسين .

(١) تاريخ الطبري

(٢) أنساب الأشراف ق ١ ج ١

قرارات المؤتمر :

- ١ - وانخذ المؤتمر بالاجماع عدة قرارات ومن بينها
انتخاب سليمان بن صرد قائداً عاماً للثورة ليتولى وضع المخططات السياسية والعسكرية .
 - ٢ - مراسلة المناطق التي تضم الشيعة في العراق وخارجه واعلامها بما أجمعوا عليه من الأخذ بشار الامام والمطالبة بالانضمام اليهم .
 - ٣ - تأجيل الثورة إلى مدة أربع سنين على أن تكون السنوات الأربع فترة تأهب واستعداد للقتال .
 - ٤ - أن تكون النخيلة هي المركز الرئيسي الذي تعلن فيه الثورة .
 - ٥ - احاطة الثورة بالسر والكتمان .
- وتفرق اعضاء المؤتمر وكان عددهم فيما يقول المؤرخون مائة شخص وقد أخذوا يواصلون العمل فيجمعون التبرعات لشراء الأسلحة ، ويدعون الناس إلى الالتفاف حولهم والانضمام اليهم .

اعلان الثورة :

وفي سنة (٨٦٥ هـ) اعلن النوابون ثورتهم العارمة على الحكم الاموي وكان عددهم فيما يقول المؤرخون أربعة آلاف ، وقد أرسل زعيم الثورة سليمان بن صرد الى الكوفة الحكيم بن منقل الكندي ، والوليد بن عصبير الكنتاني وامرهما أن يجوها في مدينة الكوفة ويناديا بشعار الثورة .

« بالثارات الحسين »

وحيثما انتهيا إليها ناديا بذلك ، ولأول مرة دوى هذا النداء المؤثر في سماء الكوفة فكان كالهصاعقة على رؤوس السفكة المجرمين ، كما كان يلبسها لقلوب المؤمنين والمسلمين ، وقد التحق قسم كبير من الناس بالنخيلة فخطب فيهم سليمان بن صرد خطاباً مؤثراً ، وأعرب لهم أنه لا ينشد مغنماً أو مكسباً ، وإنما يلتمس وجه الله والدار الآخرة ، ويرجو أن يكفر الله عنه وعن اخوانه ما اقترفوه من عظيم الذنب في خذلانهم لريحانة رسول الله (ص) .

في كربلا :

وصمم التوابون على المضي الى كربلا لزيارة قبر أبي الشهداء (ع) ليعلنوا التوبة الى الله عند مرقده .
وسارت كتائب التوابين إلى كربلاء فلما وصلوا اليها صاحوا صيحة واحدة « يا حسين » واغرقوا بالبكاء والنحيب ، واخذوا يتضرعون الى الله ليتوب عليهم ، ويغفر لهم ، وقد قالوا عند ضريح الامام :
« اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد ، المهدي ابن المهدي ، الصديق ابن الصديق .
اللهم انا نشهدك انا على دينهم وسبيلهم ، وأعداء قاتلهم ، وأولياء محبيهم .

اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا ، وتب علينا فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وانا نشهدك انا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (١) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ /

وازدحموا على القبر الشريف اكثر من الازدحام على الحجر الأسود
وهم يبكون ويتضرعون إلى الله ليغفر ذنوبهم ويمنحهم التوبة ، ثم رحلوا
إلى الأنبار :

في عين الوردة :

وسارت كتائب التوابين حتى انتهت الى عين الوردة فاقامت فيها
وزحفت إليهم جنود أهل الشام والتحمت معهم التحاما رهيباً ، وجرت
بينها اعنف المعارك واشدها ضراوه ، ومُنِي الجيشان بنحسائر كبيرة في
الأرواح ، واستشهد قادة التوابين كسليمان بن صرد ، والمسيب بن نجبة
وعبد الله بن سعد وغيرهم .

ولما رأى التوابون أنهم لا قدرة لهم على مقابلة أهل الشام ، تركوا
ساحة القتال ، ورجعوا في غلس الليل إلى الكوفة ، ولم تتعقبهم جيوش
أهل الشام ، وقد مضى كل إلى بلده ، وانتهت بذلك معركة التوابين ،
وقد ادخلت الفرع على الأمويين ، وكبدتهم أفدح الخسائر .

٤ - ثورة المختار :

والمختار من اشهر الشخصيات العربية التي عرفها التاريخ الاسلامي
وقد لعب دوراً خطيراً في الأحداث السياسية والاجتماعية في ذلك
العصر كما كان من ألمع السياسيين في رسم المخططات ووضع المناهج ،
والسيطرة على الموقف ، وقد اثبتت كفاءته أنه رجل الفكر والعمل ،
يقول بعض الكتاب عنه : « انه كان على جانب كبير من الدارية بعلم

النفس والامام بوسائل الدعاية والاعلام ، فقد كان يخاطب عواطف الناس كما كان يخاطب عقولهم ، وكان لا يكتفي بوسائل الدعاية المعروفة حينئذ كالمخطابة والشعر بل لجأ إلى وسائل كثيرة للدعاية منها التمثيل والمظاهرات والاشاعات ، كما لجأ إلى ما نسميه الآن بالانقلاب العسكري حينما انتزع الكوفة من ابن الزبير ، (١) .

وكان علماً من اعلام الشيعة ، وسيفاً من سيوف آل رسول الله (ص) وكان يتحرق كأشد ما يكون التحرق ألماً وجزعاً على العترة الطاهرة التي أهدتها سيوف الباطل ، وقد سعى جاهداً للاستيلاء على الحكم لا لرغبة فيه ، وانما ليأخذ ثأر آل البيت وينتقم من قتلهم .

وقد اتهم هذا العملاق العظيم باتهامات رخيصة كاتهامه بادعاء النبوة وغيرها من النسب الباطلة التي هي بعيدة عنه وهو برىء منها ، وانما اتهموه بذلك لأنه طلب بثأر الامام العظيم ، وزعزع كيان الدولة الاموية ، وأسقط هيبة حكمها وساوى بين العرب والموالي ، فلم يزل أحداً على أحد ، وقد رام السير في أيام حكمه على ضوء منهاج سياسة الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، والافتداء بسلوكه في سياسته الاقتصادية والاجتماعية .

وكان على جانب كبير من التقوى والحريجة في الدين ، ويقول المؤرخون إنه كان في أيام حكومته القصيرة الاملد يكثر من الصوم شكراً لله تعالى على توفيقه للأخذ بثأر العترة الطاهرة ، وابدائه للارجاس من السفكة المجرمين .

لقد أصقوا بهذا العملاق العظيم التهم الزائفة للحط من شأنه والتقليل من أهميته ، وانا بعد دراستنا لشؤونه رأيناه من أفذاذ التاريخ ومن اعلام

(١) المختار (ص ٤٣)

الامة الاسلامية بما يملك من طاقات هائلة من الفضل والتقوى واصالة
الفكر وعمق الرأي وحسن التدبير ، قل أن يتصف بمثلها عظماء الرجال
وعباقرة الدهر . . وكان بودي أن أطيل الوقوف للتحدث عن معالم
شخصيته السكريمة ، والتحدث عن ثورته وكيفية استيلائه على الحكم إلا ان
ذلك يستدعي وضع كتاب خاص به ، وعسى أن أوفق إلى ذلك ان
شاء الله ، وقبل أن أقفل الحديث عنه اشبر على سبيل الإيجاز إلى بعض
الجهات التي تمت إلى الموضوع .

فرع السفكة المجرمين :

وساد الرعب واستولى الخوف على نفوس السفكة المجرمين من قتلة
ريحانة رسول الله (ص) فقد كانوا على يقين أن ثورة المختار انما قامت
للانتقام منهم ، فهام بعضهم من خوفه في البيداء ولم يعلم له خبر ،
وفر آخرون إلى عبد الملك ليحميهم من سطوة المختار وغضبه ، وقد
خاطبه شخص منهم قائلاً :

اد نو لتر حمي وترتق خلتي وأراك تدفعني فاين المدفع (١)

وجاء إليه عبد الملك بن الحجاج التغلبي لاجئاً فقال له :

« اني هربت اليك من العراق »

فصاح به عبد الملك بن مروان :

« كذبت ليس لنا هربت ، ولكن هربت من دم الحسين وخطت

على دمك فلجأت إلينا » (٢) .

(١) (٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ / ١٠٣

كما هرب بعضهم إلى ابن الزبير وانضم إلى جيشه وقاتل معه لا
إيماناً بقضيته ولكن خوفاً من المختار ، وقد عمد المختار إلى هدم دورهم
والاستيلاء على جميع ممتلكاتهم ، وقد هدم دار محمد بن الأشعث وأخذ
انقاضها وبني بها دار الشهيد العظيم حنجر بن عدي وكان قد هدمها زياد
ابن أبيه (١) .

وأما الخبيث الدنس عمر بن سعد فقد قبع في بيته فزاعاً مرعوباً ،
وهو يزوج بالشخصيات للتوسط لدى المختار في أخذ الامان له والعفو عنه
وكتب له المختار الامان بشرط أن لا يحدث حدثاً ولكنه وارى في ذلك
وأراد أن لا يدخل بيت الخلاء .

لقد اربع المختار قلوب المجرمين من قتلة الامام حتى زلزلت
الارض تحت أقدامهم واجتاحهم موجات عاتية من الخوف والارهاب
فلم يهناً أحد منهم يعيش فقد خيم عليهم شبح الموت .

الابادة الشاملة :

وأسرع المختار إلى تنفيذ حكم الاعدام بكل من اشترك في قتل
ريحانة رسول الله (ص) فقد جهد على الانتقام منهم وتطهير الأرض
من أولئك الأرجاس ، وقد قتل منهم فيما يقول الطبري في يوم واحد
مائتين وثمانين رجلاً ، ولم يفلت أحد من قادتهم وزعمائهم ، فقتل المجرم
الخبيث عبيد الله بن زياد ، وعمر بن سعد مع ولده حفص ، وقتل الأبرص
شمر بن ذي الجوشن ، ورميت بجيفته إلى الكلاب ، وقتل قيس بن الأشعث

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٣٧١

والحصين بن لمير ، وشبث بن ربعي ولغيرهم (١) .
وقد استجاب الله دعوة الامام العظيم في اوائك السفكة المجرمين
فقتلهم قتلة بقتلة ، وسقاهم كأساً مصبرة ، وانتقم منهم كأشد ما يكون
الانتقام ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ
القرى وهي ظالمة ان أخذته اليم شديد ، ويقول الزهري : لم يبق من
قتلة الحسين أحد الا هوقب في الدنيا أما بالقتل أو العمى أو سواد الوجه
أو زوال الملك في مدة يسيرة (٢) .
لقد حقت عليهم كلمة العذاب في الدنيا ، وهم في نار جهنم
خالدون ، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ثورة المختار التي هي من البلب الثورات
واكثرها اصالة في الاسلام فقد استهدفت الأخذ بئار العترة الطاهرة التي
هي عديلة القرآن الكريم حسبما يقول الرسول (ص) كما استهدفت نشر
المساواة والعدالة الاجتماعية بين الناس .
فتحيات من الله ورضوان على المختار بوم ولد ويوم استشهد ويوم
يبعث حيا .

استمرار الثورة :

ولم يؤد القضاء على ثورة المختار من قبل ابن الزبير إلى ضعف
الروح الثورية. عند الشيعة ، فقد كانت هناك ثورات أخرى فجرها احفاد
الامام الحسين واحفاد أخيه الامام الحسن ، فقد هب لمقارعة الظلم والجور

(١) تاريخ الطبري ، تاريخ ابن الاثير ، الأخبار الطوال

(٢) جواهر المطالب (ص ٩٢)

الثائر العظيم زيد بن علي ، واشعل نار الثورة من بعده ولده يحيى وهم ينادون بمبادئ الحسين ويطالبون بثأره ، واستمرت الثورات حتى تدفقت الرايات السوداء مع طلائع الجيوش الاسلامية بقيادة أبي مسلم الخراساني فاطاحت بالعرش الأموي ، وقضت على معالم زهوه وجبروته .

وهذا ينتهي بنا البحث - بإيجاز - عن معطيات الثورة التي تحققت على الصعيد الفكري والاجتماعي وبها تطوى الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب ، وكرر ما اعلنته غير مرة من أن هذا المجهود بما فيه من سعة وشمول واستيعاب فانه لا يمثل الا صفحة من حياة هذا الامام العظيم الذي احتل مشاعر الناس وعواطفهم ، وقام في قلوبهم وافكارهم ، واني على ثقة أن جميع ما الف فيه وما سيؤلف لا يستوعب جميع لواحي شخصيته أو يلم بواقع حياته التي هي امتداد لحياة جده الرسول (ص) وما ينشده من الخير والتوجيه لصالح الانسان .

وان من أصدق الوفاء أن اذكر بمزيد من الولاة والعرفان ما قام به سيادة المحسن الكبير الحاج محمد رشاد عجيبة من اللطاف في نشر هذا الكتاب ، فقد جهد على نشر مآثر أهل البيت (ع) وابرز فضائلهم إيماناً منه بأن ذلك من أئمن الخدمات التي تقدم للأمة واجدوها بالنفع والبقاء وقد أرصد لنفقات طبعه من المبرات التي اوصى بها والده المرحوم الحاج محمد جواد عجيبة ، واني آمل من الله ان يحظى عمله بالقبول وان تناله مغفرة من الله كما آمل ذلك لنفسي واخي الهادي الذي له الفضل في مزاجعة كثير من المصادر والاشراف على بحوث هذا الكتاب فجزاه الله عني خير ما يجزي أخا عن أخيه .

مَصَادِرُ الْحَبِيبِ

« أسماء المصادر »

« التي ورد ذكرها في اجزاء الكتاب »

اسم المؤلف	(أ)	اسم الكتاب
للبلاذري	ج ١ مخطوط	أسباب الإشراف
للدينوري		الأخبار الطوال
للقرماني		أخبار الدول
لابن الأثير		أسد الغابة
لابن حجر العسقلاني		الإصابة
للصدوق		أمالي الصدوق
للكليني		أصول الكافي
للمقرزي		امتناع الأسماع
ليحيى بن الحسين	تأريخ الأئمة السادة مخطوط	الافادة في تأريخ الأئمة السادة مخطوط
للشيخ المفيد		الارشاد
للثعالبي		الاعجاز والابجاز
مؤسسة اليونسكو		أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث
لسعيد الخوري		أقرب الموارد
للواحدى		أسباب النزول
محمد تقي الحكيم		الأصول العامة للفقه المقارن
لابن عبد البر المالكي		الاستيعاب

اسم المؤلف	اسم الكتاب
للشبراوي	الانحاف بحب الأشراف
للسيد محسن العاملي	أعيان الشيعة
لبهاء الدين الهاملي	الأربعين
لياقوت المستعصمي	أسرار الحكماء
للشيخ عباس القمي	الألوار البهية
للديلمي	الإرشاد
لابن طاووس	الإقبال
محمد سيد الكيلاني	أثر التشيع في الأدب العربي
لابن قتيبة	الإمامة والسياسة
للزركلي	الإعلام
للكحالة	أعلام النساء
لشمس الدين الحنبلي	آداب الشرعية والمنح المرعية
محمد مصطفى هدارة	الجهادات الشعر العربي
للشيخ محمود أبو رية	أبو هريرة
لفرج انطون	ابن رشد وفلسفته
للعقاد	أبو الشهداء
لزكريا القزويني	آثار البلاد
للبلوي	الف باء
للطبرسي	أهلام الوري
خالد محمد خالد	أبناء الرسول في كربلاء
للمليد	الإمامي مخطوط

اسم المؤلف	اسم الكتاب
لابن الفرج الاصفهاني	الأغاني
احمد محمد الحوفي	أدب السيادة في العصر الأموي
محمد كرد علي	الإدارة الإسلامية
للسيد المرتضى	أمالي المرتضى

(ب)

للكفعمي	البلد الأمين
لاحمد بن أبي طاهر	بلاغات النساء
لبنت الشاطيء	بطلة كربلاء
للجاحظ	البيان والتبيين
لعهد الدين الأصفهاني	البستان الجامع لجميع توار يخ أهل الزمان مخطوط
لعهد الواحد مظفر	بطل العلقمي
للسيد عبد الحسين	بغية النبلاء
لعهد الدين النجفي	بحر الأنساب
للمجلسي	بحار الأنوار
للكفعمي	البلد الأمين
لليقبوبي	البيابيات

(ت)

محمد بن أحمد القرطبي	تفسير القرطبي
لابن كثير	تفسير ابن كثير
للازدي	تفسير الرازي
محمد بن جرير الطبري	تفسير الطبري

اسم المؤلف	اسم الكتاب
محمود بن عمر الزمخشري	تفسير الكشاف
عبد الله بن عمر الشيرازي	تفسير البيضاوي
جلال الدين السيوطي	تفسير الجلالين
للإمام العسكري	تفسير العسكري
محمد بن جرير الطبري	تأريخ الطبري
لابن الأثير	تأريخ ابن الأثير
أحمد بن واضح اليعقوبي	تأريخ اليعقوبي
لابن عساكر	تأريخ ابن عساكر مخطوط
للخطيب البغدادي	تأريخ بغداد
عمر بن الوردي	تأريخ ابن الوردي
خليفة بن خياط	تأريخ خليفة خياط
لابن خلدون	تأريخ ابن خلدون
حسن بن محمد الديار بكري	تأريخ الخميس
لابي اللداء	تأريخ أبي اللداء
فيليب حتى	تأريخ العرب
محمد بن سلامة القضاعي	تأريخ القضاعي مخطوط
لابراهيم بن عبد الله الحموي	تأريخ المظفري مخطوط
محمد الحضري	تأريخ الأمة الاسلامية
لابي حيان أحمد التميمي	تأريخ الصحابة مخطوط
يوليوس فلهوزن	تأريخ الدولة العربية
ابراهيم حسن	تأريخ الاسلام السياسي
محمد عزة دروزة	تأريخ الجنس العربي

اسم المؤلف	اسم الكتاب
السيوطي	تأريخ الخلفاء
لمؤلف مجهول	تأريخ الخلفاء
علي حسني الخربوطي	تأريخ العراق في ظل الحكم الأموي
سريرس سبايكس	تأريخ إيران
كارل بروكلمان	تأريخ الشعوب الإسلامية
ريچيس بلاشر	تأريخ الأدب العربي
عبد المنعم ماجد	التأريخ السياسي للدولة العربية
احمد شبلي	التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
ت ج . دي بور	تأريخ الفلسفة الإسلامية
لابن حجر	تهذيب التهذيب
للذهبي	تذهيب التهذيب مخطوط
لشمس الدين الذهبي	تلخيص المستدرک
لابن شدقم	تحفة الأزهار وزلال الأنهار مخطوط
لابن الجوزي	تذكرة الخواص
لابن الديبغ	تيسر الوصول
للجاحظ	التاج في اخلاق الملوك
الحسن بن علي الحراني	تحف العقول
شوقي ضيف	التطور والتجديد في الشعر الأموي
للصفدي	تمام المتون
لابن حجر	تطهير الجنان واللسان
مصطفى فهمي	التكيف النفسي
جورج زيدان	النمدن الإسلامي

اسم المؤلف	اسم الكتاب
للفاخوري	تحفة الامام في مختصر تاريخ الاسلام
لعبد الواحد مظفر	توضيح الغامض
للدهبي	تذكرة الحفاظ
ابراهيم بيضون وسهيل زكار	تاريخ العرب السياسي
لل امام محمد عبده	تفسير المنار
(ث)	
للسيوطي	الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة مخطوط
محمد عبد الباقي سرور	الثائر الأول في الاسلام
للشيخ المفيد	الثاقب في المناقب مخطوط
(ج)	
للقراغولي	جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام
للنراقبي	جامع السعادات
للشيخ محمد حسن الجواهري	جواهر الأحكام
لشمس الدين أبو البركات	جواهر المطالب في مناقب الامام علي
	ابن أبي طالب مخطوط
احمد زكي صفوة	جمهرة الخطب
لابن أبي حاتم الرازي	الجرح والتعديل
للإمام كاشف الغطاء	جنة المأوى
(خ)	
لابن نعيم الاصفهاني	حلية الاولياء
للمديري	حياة الحيوان
بندلي جوزة	الحركات الفكرية في الاسلام

اسم المؤلف	اسم الكتاب
آدم منز	الحضارة الاسلامية
اسماعيل سرهنك	حقائق الاخبار عن دول البحار
ليوسف خليل	حياة الشعر في الكوفة
لحميد بن زيد اليماني	الحداثق الوردية مخطوط
للجاحظ	حياة الحيوان
للمؤلف	حياة الامام الحسن
للمؤلف	حياة الامام موسى بن جعفر
محمد حسين الزبيدي	الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة
لاعتاد السلطنة	حجة السعادة في حجة الشهادة مخطوط
لعمر و أبو النصر	الحسين بن علي
للعائلي	الحسين بن علي
حسين علي جلال	الحسين بن علي
نودا بنحش	الحضارة الاسلامية

(خ)

يحيى بن آدم القرشي	الخراج
للسيوطي	الخصائص
عبد القادر بن عمر البغدادي	خزانة الادب البغدادي
لتوماس	الخلافة
ماسينيون	خطط الخلافة
محمد حلمي	الخلافة والدولة في العصر الاموي
لقدامة بن جعفر	الخراج وصنعة الكتابة

اسم المؤلف	اسم الكتاب
محمد طاهر دروش	الخطابة في صدر الاسلام
للمقرزي	خطط المقرزي
للمصدق	الحصا
(د)	
لدعبل بن علي الخزامي	ديوان دعبل
لمحمد مهدي الجواهري	ديوان الجواهري
للسيوطي	الدر المنثور
السيد حيدر الحلي	ديوان السيد حيدر
للفرزاق	ديوان الفرزاق
للاخطل	ديوان الاخطل
للسيد عليخان	الدرجات الرفيعة
ليوسف بن حاتم الشامي	الدر النظيم مخطوط
أنيس زكريا	الدولة الأموية في الشام
للحر العاملي	الدر المسلوكة في أحوال الانبياء والاصياء مخطوط
للتعمان بن بشير الانصاري	ديوان التعمان بن بشير
لابي الاسود الدؤلي	ديوان أبي الاسود
احمد بن يحيى الهروي	الدر النصيب
فنسك وآخرون	دائرة المعارف الاسلامية البريطانية
فريد وجدي	دائرة المعارف الاسلامية
للبيستاني	دائرة المعارف
احمد عطية	دائرة المعارف الحديثة
لمحمد بن جرير الطبري	دلائل الامامة

اسم المؤلف اسم الكتاب

محمد النجار	الدولة الاموية في الشرح
لابي الفتح بن صدقة	درر الابتكار في وصف الصلوة الاخيار مخطوط
عثمان بن حسن الخوري	درة الناصحين
لابي حنيفة المغربي	دعائم الاسلام

(ذ)

عبد الدين الطبري	ذخائر العقبي
لاسماعيل بن القاسم القالي	ذيل الامالي
للشيخ حبيب العاملي	ذكرى الحسين
سيد مجيد الحائري	ذخيرة الدارين
أغا بزرك الطهراني	الدرية في تصانيف الشيعة
محمد بن أحمد الدولابي	الدرية الطاهرة مخطوط
للمقريزي	الذهب المسبوك

(ر)

محمد بن عمر الكشي	رجال الكشي
محمد مهدي بحر العلوم	رجال بحر العلوم
أحمد فهمي	ريحانة الرسول
احمد بن عبد الدين الطبري	الرياض النضرة
ترجمة عزار حداد	رحلة بنيامين
السيد مير علي الهندي	روح الاسلام
محمد باقر الخونساري الموسوي	روضات الجنات
لابن نما الحلبي	رياض الاحزان
للنجاشي	رجال النجاشي

اسم المؤلف	اسم الكتاب
للجاحظ	رسائل الجاحظ
جس بكنغهام	رحلة إلى العراق
اسماعيل حقي	روح البيان
محمود الآلوسي	روح المعاني
(ز)	
لمحصري	زهر الآداب
عبد العزيز صيد الامل	زينب بنت علي
للمجلسي	زاد المعاد
للعبيدي	زينب وأخبار الزينبيات
(س)	
لابن ماجة	سنن ابن ماجة
للمهي	سير أعلام النبلاء
لابي داود	سنن ابي داود
للشيخ عباس القمي	سفينة البحار
حسين محمد يوسف	سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي
لعمر و أبو النصر	السياسة عند العرب
لابن هشام	سيرة ابن هشام
عبد الحفيظ أبو السعود	سبط الرسول
للإمام كاشف الغطاء	السياسة الحسينية
عبد الملك العصامي	سمط النجوم العوالي
لابن تيمية	سؤال في يزيد بن معاوية
للحلي	السيرة الحلبية

اسم المؤلف	اسم الكتاب
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي	سنن الدارمي
للبيهقي	سنن البيهقي
محمد بن يزيد القزويني	سنن ابن ماجه

(ش)

لابن أبي الحديد	شرح نهج البلاغة
للمقرم	الشهيد مسلم بن عقيل
محمد بن الحسين	شرح شافية ابي فراس مخطوط
ابن عماد الحنبلي	شذرات الذهب
محمد جواد مغنية	الشيعة في الميزان
محمود أبو رية	شيخ المضيرة
لويس شيخو اليسوعي	شعراء النصرانية بعد الاسلام
للخاقاني	شعراء الحلة

(ص)

لابن حجر	الصواعق المحرقة
للقلقشندي	صحيح الاعشى
لمحمود القادري	الصراط السوي في مناقب آل النبي مخطوط
للجوهرى	الصحاح
لترمذى	صحيح الترمذى
لمسلم	صحيح مسلم
للبخارى	صحيح البخارى
لابي داود	صحيح ابي داود
بديع شريف	الصراع بين الموالي والعرب

اسم المؤلف

اسم الكتاب

(ف)

أحمد بن حجر العسقلاني	فتح الباري
مرضى الحسين القيروابادي	فضائل الخمسة من الصحاح الستة
للمناوي	فيض القدير
أحمد بن إسماعيل الكوفي	الفتوح
لابن الصباغ	الفصول المهمة
للبلاذري	فتوح البلدان
محمد بن شاکر الکتبي	فوات الوفيات
لعبد القاهر البغدادي	الفرق بين الفرق
لابن النديم	فهرست ابن النديم
للطوسي	فهرست الطوسي
لمحمد بن علي العلوي	فضل زيارة الحسين مخطوط
لعبد الله بن أحمد بن حنبل	فضائل الامام أمير المؤمنين مخطوط
أحمد بن زيني دحلان	الفتوحات الإسلامية
للكليني	فروع الكافي
لاحمد مفتاح	مفتاح الافكار

(ق)

مجد الدين الفيروز اباذي	القاموس المحيط
لمحمد جاد المولى وغيره	قصص العرب

(ك)

علي المنقي الهندي الحناني	كنز العمال
للاربلبي	كشف الغمة

اسم المؤلف	اسم الكتاب
للإمام شرف الدين	الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء
محمد بن يوسف القرشي الكنجي	كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب
لأبي بشر الدولابي	الكنى والأسماء
للمبرد	الكامل
لابن قولويه	كامل الزيارات
للمناوي	الكواكب الدرية

(ل)

لابن حجر	لسان الميزان
لابن منظور	لسان العرب
لابن طائوس	اللهوف

(م)

للحسين بن الحكم	ما نزل في القرآن في أهل البيت ، مخطوط
للبيهقي	مصابيح السنة
عبد الرحمن بن علي الجوزي	مختصر صلة الصفوة
للحموي	معجم الأدباء
للحموي	معجم البلدان
للحاكم	مستدرک الصحيحين
للإمام شرف الدين	المراجعات
للهبشمي	مجمع الزوائد
للقسطلاني	المواهب اللدنية
للمشعودي	مروج الذهب
للإمام أحمد	مسند أحمد

اسم المؤلف	اسم الكتاب
لابن تيمية	منهاج السنة
كمال الدين الشافعي	مطالب السؤل
شهدار الشافعي	مسند الفردوسي مخطوط
محمد محسن مرتضى الكاشاني	معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة
للخوارزمي	مقتل الحسين
المقرم	مقتل الحسين
لمالك بن أنس	الموطأ
لشهرستاني	الملل والنحل
للقاضي نعمان المصري	المناقب والمثالب مخطوط
لابن دريد	المجتبي
لشكري فيصل	المجتمعات الاسلامية في القرن الأول
للعقاد	معاوية في الميزان
عبد الله البحراني	مقتل العوالم مخطوط
لابن الجوزي	المنتظم مخطوط
محمد الغزالي	من معالم الحق
القاسم بن علي الحريري	مقامات الحريري
لابن الفقيه	مختصر كتاب البلدان
عمر رضا كحالة	معجم قبائل العرب
لابن الفقيه	مختصر البلدان
للهمداني	مختصر كتاب البلدان
لشيخ العراقيين	مجلة القرى
محمد حسين الكلبدار	مدينة الحسين

اسم المؤلف	اسم الكتاب
للطبراني	معجم الطبراني مخطوط
لليافعي	مرآة الجنان
محمد حسن آل ياسين	مجلة البلاغ
لابن الجوزي	مرآة الزمان في زوايخ الأعيان مخطوط
للامام الخوئي	معجم رجال الحديث
لابن نما	مثير الأحزان
لابن قتيبة	المعارف
للمصدق	مجالس الصدوق
لابن الأعرابي	معجم ابن الأعرابي
للسيد مير علي الهندي	مختصر تاريخ العرب
لابن المغازلي	المناقب مخطوط
للشيخ عباس القمي	مفاتيح الجنان
للامام زيد	مسند الامام زيد
للطحراوي	مشكل الآثار
محمد بن حبيب البغدادي	المنمق في أخبار قريش
لعلي درة الخنفي	محاضرات الأوائل والواخر
للطبرسي	مجمع البيان
أسد حيدر	مع الحسين في نهضته
للطريحي	المنتخب
لأبي مخنف	مقتل الحسين مخطوط

اسم المؤلف	اسم الكتاب
المرزباني	معجم الشعراء
(ن)	
علي ابراهيم حسن	نساء هن في التاريخ الاسلامى نصيب
للشبلخي	نور الأبصار
للمؤلف	النظام التربوي في الاسلام
للمؤلف	نظام الأسرة في الاسلام مخطوط
عبد الرحمن الصنفوي	زهوة المجالس
محمد بن عقيل الملوي	النصائح الكافية لمن يتولى معاوية
للمقرزي	النزاع والتخاصم
محمود صبحي الصالح	نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية
محمد عبده	نهج البلاغة
لباقر المحمودي	نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة
للمشهرستاني	نهضة الحسين
للمشيخ عباس القمي	نفس المهموم
للامام شرف الدين	النص والاجتهاد
لابن الأثير	النهاية
احمد ابن عبد الوهاب النويري	نهاية الارب
ليوسف رزق الله غنيمة	زهوة المشتاق في تاريخ يهود العراق
مصعب بن عبد الله الزبيري	نسب قریش
ديمومين موريس عود فروا	النظم الاسلامية
الحسين بن محمد الحلواني	زهوة الناظر في تنبيه الخاطر

اسم المؤلف	اسم الكتاب
يوسف بن تغري بردى	التجوم الزاهرة
(أ)	
للكميت	الهاشميات
(و)	
لابن خلكان	وفيات الأعيان
علي بن احمد السهورى	وفاء الوفاء
للجهشياري	الوزراء والكتاب
لمحمد بن زكريا	وقعة الجمل
نصر بن مزاحم	وقعة صفين
محمد بن يوسف الكندى	الولاية والقضاة
لصفي الدين	وسيلة المآل في هد مناقب الآل مخطوط
لامين شميل	الوافي في المسألة الشرقية
للحر العاملي	وسائل الشيعة
لابن تيمية	الوصية الكبرى
(ى)	
سليمان حنفي	بنابيع المودة

المختارات

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة
تقديم		٥
	اختيار الهجرة الى العراق عرض للاسباب التي أدت الى اختيار الامام	٩
	الهجرة إلى العراق دون غيره	
	الاعراض عن الحجاز	١٥
	الاعراض عن مصر	١٧
	الاعراض عن اليمن	١٧
	الاعراض عن فارس	١٨
	الاعراض عن البصرة	١٩
	مشفقون ومنددون	٢١
مشفقون		٢٣
	(١) المسور بن سخرمة (٢) عبد الله بن جعفر (٣) عبد الله بن عباس (٤) أبو بكر المخزومي (٥) عبد الله بن جعدة (٦) جابر بن عبد الله (٧) عبد الله بن مطيع (٨) عمرو بن سعيد (٩) محمد بن الحنفية (١٠) السيدة أم سلمة (١١) عبد الله بن الزبير	
منددون		٣٥
	عبد الله بن عمرو (٢) سعيد بن المسيب (٣) أبو واقد الليثي (٤) أبو سلمة (٥) أبو سعيد (٦) عمرة بنت عبد الرحمن	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٣٨		المستحدثون من المنددين
	(١) الشيخ محمد الحضري (٣) محمد النجار	
	(٣) محمد الغزالي (٤) احمد شبلي	
٤١	الى العراق	
٤٤		رسالته لبني هاشم
٤٥		التحاق بني هاشم به
٤٦		أسباب الهجرة من مكة
	(١) الحفاظ على الحرم (٢) الخوف من	
	الاهتيال (٣) رسالة مسلم	
٤٧		خطابه في مكة
٥٠		اتمام العمرة
٥١		الخروج قبل الحج
٥٣		مع ابن الزبير
٥٣		السلر إلى العراق
٥٤		ملاحقة السلطة له
٥٥		اتصال دمشق بالكوفة
٥٧		موقف الأمويين
	(١) رسالة الوليد بن عتبة إلى ابن زياد ، اشتباه	
	ابن كثير (٢) رسالة الأشدق الى ابن زياد	
٥٩		مصادرة أموال ليزيد
٦٠		مع الفرزدق

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٦٢	كتاب الحسين لأهل الكوفة	
٦٤	مع أبي هريرة	
٦٥	مع بعض مشايخ العرب	
٦٦	فزع السيدة زينب	
٦٦	مع زهير بن القين	
٦٨	النبأ المفجع بمقتل مسلم	
٧٠	وصول النبأ بمصرع عبد الله	
٧٢	رؤيا الامام الحسين	
٧٣	الالتقاء بالحر	
٧٥	خطاب الامام	
٧٦	خطبة الامام	
٧٧	المشادة بين الحسين والحر	
٧٨	قول شاذ	
٧٩	خطأ ابن عتبة	
٨٠	خطبة الامام	
٨٢	التحاق جماعة من الكوفة بالامام	
٨٣	مع الطرماح	
٨٦	مع عبد الله بن الحر	
٨٨	مع عمرو بن قيس	
٨٩	رسالة ابن زياد للحر	
٩١	وصول الامام إلى كربلاء	
٩٢	موضع الخيام	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٩٥	في كربلاء	
٩٨		خطابه لأصحابه
١٠٠		انقطار الأسدي للامام
١٠٠		رسالة الامام لابن الحنفية
١٠١		مع هرثمة بن سلمى
١٠٢		التحاقق انس بن الحارث بالامام
١٠٣	زحف الكوفة للحرب	
١٠٥		انتخاب ابن سعد قائداً عاماً
		أخبار النبي بسوء عاقبته ، كراهية سعد له
		لعن الرشيد له ، توثيق العجلي لابن سعد
١٠٩		نزعات ابن سعد
		(أ) الخنوع للسلطة (ب) التهالك عليها
		(ج) خسة الطبع (د) الجبن (هـ) الشك
		في البعث والنشور
١١٢		دوافع انتخابه
١١٣		حيرة ابن سعد
١١٤		الماذلون له
١١٤		الاستعراض العسكري
١١٥		خطبة ابن مرجانة
١١٦		تحريض سمرة لحرب الامام ، تمارض شبث بن ربعي

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
١١٦		النفي العام
١١٧		الرقابة الدقيقة على الكوفة
١١٨		هرب الجنود
١١٩		الطاغية في النخيلة
١١٩		محاولة لاغتيال ابن زياد
١١٩		عدد الجيش الأموي
١٢١		التحقيق في الموضوع
١٢٢		القادة العسكريين
١٢٤		أدوات الحرب
	(١) الرماة (٢) الجوالة (٣) المجففة	
١٢٥		عدد اصحاب الحسين
١٢٦		رسول ابن سعد مع الامام
١٢٨		ابن سعد مع الامام ، رسالة ابن سعد لابن زياد
١٢٩		اقتراء ابن سعد
١٣٠		افساد الشمر لمهمة السلام
١٣١		رفض ابن زياد الحلول السلمية
١٣٣		الامام مع ابن سعد
١٣٤		امان الشمر لآخوة العباس
١٣٥		منع الامدادات
١٣٥		احتلال الفرات
١٣٧		الطباع اللثيمة
١٣٨		الانكار على ابن سعد

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
١٤٠		العثور على عين ماء
١٤١		القتال على الماء
١٤١		استنجد حبيب بأسرته
١٤٣	مع المعسكرين	
١٤٥		المعسكر الحسيني
١٤٥		الأهداف العظيمة
	(١) الدفاع عن الاسلام (٢) حماية الامام (٣) تحرير الأمة	
١٤٨		التزعات الفذة
	(١) الالباء والعزة (٢) البسالة والصمود	
١٥٢		عناصر جيش الامام
١٥٣		المعسكر الاموي
	(١) فقدان الارادة (٢) القلق والحيرة (٣) الفسق	
١٥٦		عناصر الجيش
	(١) الانتهازيون (٢) المرتزة (٣) المسوخون (٤) المكروهون (٥) الخوارج	
١٥٩	المأساة الخالدة	
١٦١		زحف الجيش
١٦٥		تأجيل الحرب إلى الصبح

الصلحة	محتويات الكتاب	الموضوع
١٦٥	الامام يأذن لاصحابه بالتفرق	
١٦٧	جواب أهل بيته	
١٦٧	جواب أصحابه	
١٧٠	الامام يكشف مكيدة أهل الكوفة	
١٧٠	مع محمد بن بشير	
١٧١	انهزام فراس المخزومي	
١٧١	الامام لا يأذن بالشهادة لمن كان عليه دين	
١٧٢	الامام ينعى نفسه	
١٧٤	التخطيط العسكري	
١٧٥	احياء الليل بالعبادة	
١٧٥	استبشار أصحاب الامام	
١٧٦	سخرية الشمر بالامام	
١٧٧	رؤيا الامام الحسين ، فزع عقائل الروحي	
١٧٨	تطيب الامام وحنوطه	
١٧٨	يوم عاشوراء	
١٨٠	دعاء الامام	
١٨٠	اشعال النار في الخندق	
١٨١	هرير المسوخين	
١٨٢	القبضة العامة في المعسكرين	
١٨٣	الاحتجاجات الصارمة	
١٨٤	خطبة الامام	
١٨٨	خطاب زهير	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
١٩١		خطاب بربر
١٩٢		خطاب الامام الحسين
١٩٥		استجابة الحر
١٩٧		خطاب الحر للجيش
١٩٨		التحاق ثلاثين فارسا بالامام
١٩٩		الحرب
٢٠١	مصارع الأصحاب	
٢٠٣		المجموع العام
٢٠٤		عدد الضحايا من أصحاب الامام ، المباراة بين المسكرين
٢٠٦		مجموع فاشل
٢٠٧		مباينة بربر ليزيد
٢٠٨		مصرع بربر
٢٠٩		شهادة عمرو الانصاري
٢١٠		رفض الجيش الأموي للمبارزة
٢١١		مجموع عمرو بن الحجاج
٢١٢		مصرع مسلم بن عوسجة
٢١٣		مجموع الشمر
٢١٤		مصرع عبد الله الكلبي
٢١٥		استنجد عروة
٢١٦		فتح جبهة ثانية ، محاولة الشمر لاحراق حرائر الوحي
٢١٧		انكار حميد بن مسلم
٢١٨		توبيخ شيب بن رهي ، انتصاف النهار

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٢١٩		مصرع حبيب
٢٢١		مصرع الحر
٢٢٢		أداء فريضة الصلاة
٢٢٤		مصرع زهير
٢٢٥		مصرع نافع بن ملال
٢٢٧		عابس مع شوذب
٢٢٧		مصرع عابس الشاكري
٢٢٩		هزيمة الضحاك ، شهادة جون
٢٣١		شهادة حنظلة الشامي
٢٣٢		مصرع الحجاج
٢٣٣		مصرع عمرو بن جنادة
٢٣٤		مصرع الس الكاهلي
٢٣٥		مصرع أبي الشعثاء ، مصرع الجابريين
٢٣٦		مصرع الغفاريين ، مصرع الانصاريين ، شهادة أنيس
٢٣٧		مصرع قرة الغفاري
٢٣٨		مصرع يحيى المازني ، الامام مع أصحابه
٢٣٩		شهادة عبد الله الزني
٢٣٩		الامام مع الشهداء
٢٤١	مصارع العترة الطاهرة	
٢٤٣		علي الأكبر
٢٤٩		مصارع آل عقيل

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
	عبد الله بن مسلم ، جعفر بن عقيل ، عبد الرحمن ابن عقيل ، محمد بن عقيل ، عبد الله الأكبر محمد بن أبي سعيد بن عقيل ، محمد بن مسلم علي بن عقيل	
٢٥٤		أبناء الحسن
	عبد الله بن الحسن ، القاسم بن الحسن ، الحسن بن الحسن ، عبد الله بن الحسن	
٢٥٨		أبناء عبد الله بن جعفر
	عون بن عبد الله ، محمد بن عبد الله عبيد الله بن جعفر	
٢٦٠		اخوة الحسين
٢٦٠		العباس مع أخوته
٢٦١		مصرع عبد الله بن أمير المؤمنين
٢٦٢		مصرع جعفر ، مصرع عثمان
٢٦٣		مصرع العباس
٢٦٩		محمد الأصغر
٢٧٠		أبو بكر ، العباس الأصغر
٢٧١	مصرع الامام العظيم	
٢٧٤		استغاثة الامام
٢٧٥		مصرع الرضيع
٢٧٦		صمود الامام
٢٧٨		موقف المكرهين

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٢٧٩		فزع ابن سعد
٢٨٠		استيلاء الامام على الماء
٢٨٠		المهجوم على خيم الحسين
٢٨٢		خطابه الأخير ، الامام يطلب ثوباً خلقاً
٢٨٣		وداعه لعيله
٢٨٧		الامام مع ابن رباح
٢٨٨		مناجاته مع الله
٢٨٩		المهجوم عليه
٢٩٠		خروج العقيلة ، اللاجعة الكبرى
٢٩٢		القاتل الاثيم
٢٩٦		عمر الامام وسنة شهادته
٢٩٧		امتداد الحمرة في السماء
٢٩٨		فرس الحسين ، حرق الخيام
٢٩٩		سلب جثة الامام
٣٠٠		سلب حرائر النبوة
٣٠٢		المهجوم على زين العابدين
٣٠٣		الخيل تدوس الجثمان العظيم
٣٠٤		العقيلة أمام الجثمان العظيم
٣٠٥		سنان يطلب الجائزة
٣٠٦		القبائل تقسم الرؤوس
٣٠٧		عودة الطاغية إلى الكوفة
٣٠٨		ليلة الحادي عشر

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة
عدد الضحايا من أهل البيت		٣٠٩
الجرحي من أصحاب الامام		٣١٢
	(١) سور بن حمير الجابري (٢) عمرو بن عبد الله (٣) الحسن بن الحسن	
الناجون من القتل		٣١٢
	(١) عقبة بن سمان (٢) المرقع بن قمامة (٣) مسلم ابن رباح (٤) الامام زين العابدين (٥) الحسن بن الحسن (٦) عمرو بن الحسن (٧) القاسم بن عبد الله (٨) محمد بن عقيل (٩) زيد بن الحسن	
خسائر ابن سعد		٣١٤
رؤيا ابن عباس		٣١٥
رؤيا أم سلمة		٣١٦
خولى يحمل رأس الامام		٣١٨
الطاغية مع قاتل الامام		٣١٩
تشفي ابن زياد برأس الامام		٣٢٠
رجوع القوات المسلحة		٣٢١
جزع الامام زين العابدين		٣٢٢
مواراة الجثث الطاهرة		٣٢٣
فضل زيارة الحسين		٣٢٧
دعاء الامام الصادق لزوار الحسين		٣٢٨
سبايا أهل البيت في الكوفة		٣٣١
دخول السبايا الى الكوفة		٣٣٣

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٣٣٥	خطاب السيدة زينب	خطاب السيدة زينب
٣٣٦	صدى الخطاب	صدى الخطاب
٣٣٧	خطاب السيدة فاطمة	خطاب السيدة فاطمة
٣٤٠	صدى الخطاب ، خطاب السيدة أم كلثوم	صدى الخطاب ، خطاب السيدة أم كلثوم
٣٤١	خطاب الامام زين العابدين	خطاب الامام زين العابدين
٣٤٣	في مجلس ابن زياد ، الطاغية مع عقيلة الوحي	في مجلس ابن زياد ، الطاغية مع عقيلة الوحي
٣٤٥	الطاغية مع زين العابدين	الطاغية مع زين العابدين
٣٤٧	ثورة ابن عفيف	ثورة ابن عفيف
٣٥٢	العفو عن ابن معقل ، لقاء القبض على جندب	العفو عن ابن معقل ، لقاء القبض على جندب
٣٥٣	الطاغية مع قيس ، تفوير الرأس الشريف	الطاغية مع قيس ، تفوير الرأس الشريف
٣٥٤	الطواف بالرأس العظيم	الطواف بالرأس العظيم
٣٥٥	حبس عقائل الوحي	حبس عقائل الوحي
٣٥٦	اختطاف علي بن الحسين ، ندم ابن سعد	اختطاف علي بن الحسين ، ندم ابن سعد
٣٥٧	ابن زياد يطالب ابن سعد بالكتاب ، نص الكتاب	ابن زياد يطالب ابن سعد بالكتاب ، نص الكتاب
٣٥٨	التنديد بابن زياد	التنديد بابن زياد
	(١) مرجانة (٢) عثمان بن زياد	
	(٣) معقل بن يسار	
٣٥٩	الانكار على ابن سعد ، الاستيلاء الشامل	الانكار على ابن سعد ، الاستيلاء الشامل
٣٦١	ندم أهل الكوفة	ندم أهل الكوفة
	(١) البراء بن عازب (٢) المسيب بن نجبة	
	(٣) سليمان بن صرد (٤) عبد الله بن الحر	
٣٦٨	الهجرة من الكوفة	الهجرة من الكوفة

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٣٦٥	سبايا آل الرسول في دمشق	
٣٦٧	تسير الرؤوس ، تسريح العائلة النبوية	
٣٦٨	تشيعم أهل الكوفة للاسرى ، تزيين الشام	
٣٧١	الشامي مع زين العابدين	
٣٧٢	سرور يزيد	
٣٧٣	رأس الامام بين يدي يزيد	
٣٧٥	نصب الرأس في جامع دمشق ، رأس الامام عند نساء يزيد	
٣٧٦	السبايا في مجلس يزيد	
٣٧٧	خطاب السيدة زينب	
٣٨١	محتويات الخطاب	
٣٨٣	جواب يزيد	
٣٨٤	صدى الخطاب	
٣٨٥	خطاب الامام زين العابدين	
٣٨٨	صدى الخطاب	
٣٨٩	الشامي مع فاطمة	
٣٩١	الامام السجاد مع المنهال	
٣٩٢	النياحة على الحسين ، مكافأة ابن مرجانة	
٣٩٣	ندم الطاهية	
٣٩٤	منكرون وناقمون	
	(١) ممثل ملك الروم (٢) حبر يهودي (٣) قيصر	
	ملك الروم (٤) رأس الجالوت (٥) وائلة بن الاسقع	
	(٦) ابن عباس (٧) ابن الزبير (٨) أبو برزة	
	(٩) الأسرة الأموية (أ) يحيى بن الحكم (ب) عائكة	
	بنت يزيد (ج) هند (د) معاوية بن يزيد	
٤٠٢	مخاريق وأباطيل ، المدافعون عن يزيد	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
--------	----------------	---------

	(١) ابن تيمية (٢) الغزالي (٣) ابن العربي	
	(٤) ابن حجر (٥) انيس زكريا (٦) الدكتور	
	النجار (٧) محمد عزة دروزة	
٤٠٦	رأي الدكتور طه حسين	
٤٠٧	كلمة التفتازاني ، رأي الرافعي ، رأي أحمد بن حنبل	
٤٠٨	كلمة المعتضد العباسي	
٤١١	الى يثرب	
٤١٣	اعتذار الطاغية من زين العابدين	
٤١٤	عرض الاموال لآل البيت ، رد السيدة أم كلثوم ، طلبه زين العابدين	
٤١٥	السفر الى يثرب	
٤١٦	وصول النبأ الى يثرب	
٤١٧	خطاب الأشدق	
٤١٨	فجيرة الهاشميين	
٤١٩	مأتم عبد الله بن جعفر	
٤٢٠	رزقة ابن عباس ، مسور مع ابن الزبير	
٤٢١	رأس الامام في يثرب	
٤٢٢	عودة السبايا الى كربلاء	
٤٢٣	الى يثرب ، نعي بشر للامام	
٤٢٤	خطاب الامام زين العابدين	
٤٢٦	مكافأة الحرس	
٤٢٧	حزن الامام زين العابدين	
٤٢٨	لوعة الهاشميين ، حزن العقيلة	
٤٢٩	لوعة الرباب	
٤٣٠	أحزان أم البنين ، مصير الرأس العظيم	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
	(١) في كربلاء (٢) في البقيع (٣) في النجف	
	(٤) في دمشق (٥) في فارس (٦) في مصر	
٤٣٧	معطيات الثورة	
٤٣٩	انتصار القضية الاسلامية	
٤٤٠	هزيمة الأمويين ، مظاهر هزيمتهم	
	(أ) تجريدهم من الواقع الاسلامي (ب) شيوع	
	النقمة والانكار عليهم (ج) تحول الخلافة عن بني أمية	
٤٤٢	التدليل على واقع أهل البيت	
٤٤٣	تركيز الولاء لآل البيت	
٤٤٤	توحيد صفوف الشيعة	
٤٤٥	تكوين الحس الاجتماعي ، تفجير المواهب	
٤٤٧	منابر الوعظ والتوجيه	
٤٤٨	امتداد الثورة	
٤٤٩	(١) ثورة عبد الله بن عفيف	
٤٤٩	(٢) ثورة المدينة	
٤٥٠	(٣) ثورة التوابين	
	مؤتمر التوابين ، قرارات المؤتمر ، اعلان	
	الثورة ، في كربلاء ، في عين الوردة	
٤٥٣	(٤) ثورة المختار	
٤٥٥	فزع السفكة المجرمين	
٤٥٦	الابادة الشاملة	
٤٥٧	استمرار الثورة	
٤٥٩	مصادر الكتاب	
٤٧٩	محتويات الكتاب	

